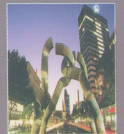


العدد (٨٢) محرم ١٤٢٣ هـ - إبريل ٢٠٠٢ م

البطل المنتظر ؟



ألمانيا تحاسب تعليمها

موعدكم 2004!



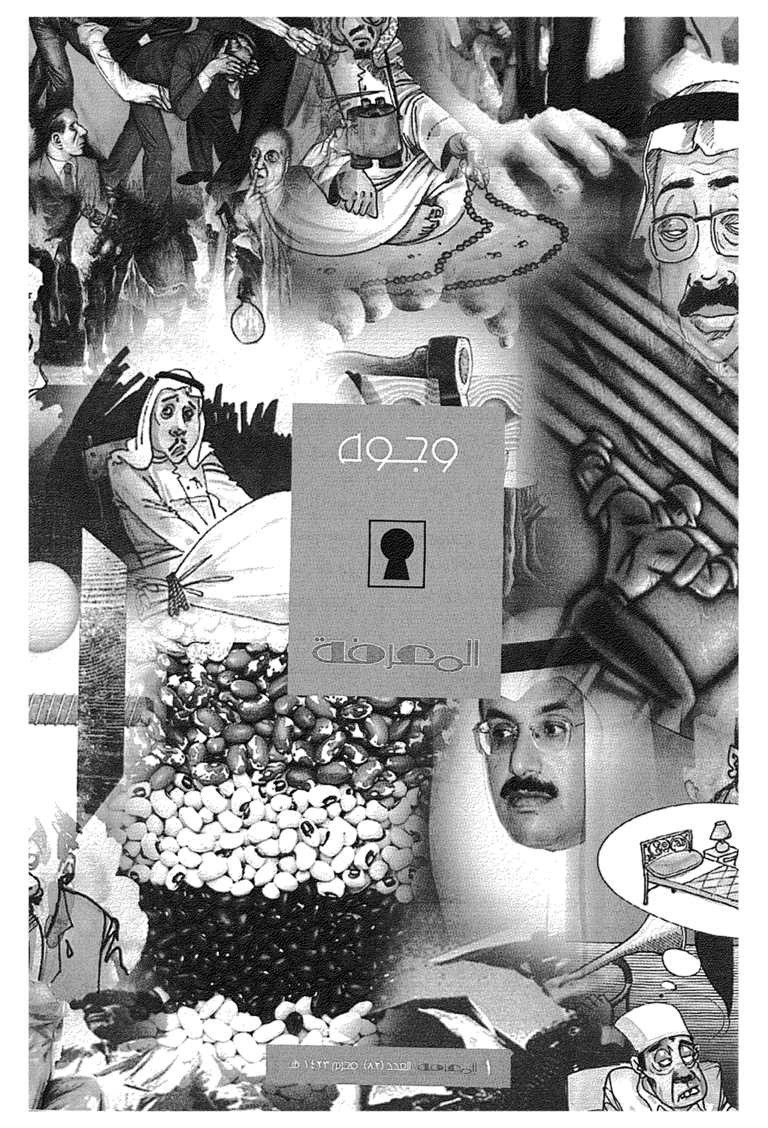
دراسات

تشومسكي وموقفه من الصهيونية



محمد سعيد طيب

ما زلنا نكذب على شبابنا !



وجوه
المعرفة



مجلة شهرية تصدر عن
وزارة المعـــارف
المملكة العربية السعودية

العـــدد (٨٢) - محـــرم ١٤٢٣ هـ - ابريل ٢٠٠٢م

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عـهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عـبد العزيز
وأعـيد إصـدارها عـام ١٤١٧ هـ في عهـد خـادم الحرمـين الشريفين الملـك فهـد بن عـبدالعـزيز

إدارة النشر



ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحصة الأولى

عندما طرح موضوع الغلاف «البطل المنتظر» في اجتماع أسرة التحرير حشدت أسماء كثيرة، وكان المتوقع أن يتجاوب بالمساهمة في الملف ما يقارب «نصف» أعداد المكتَتَبين!

ولكننا «لم ننتظر» طويلاً فقد بدأ «الأبطال»/الكتاب يمطروننا بمشاركاتهم بلا هوادة، حتى كدنا نقول لمن لم يرسل مشاركته بعد.. توقف فقد تكاثر «الأبطال» وأصبحوا أكثر عددًا من أفراد الأمة التي «تنتظرهم».

بماذا تفسرون هذا التجاوب الكبير؟ ألأن الموضوع مهم، أم توقيته، أم أن المثقفين تشدهم الكتابة في مثل هذه الموضوعات التي تستفز قدراتهم وتختبر الرؤية لديهم ويجدون فيها فرصة مواتية ليقولوا كلمتهم؟.

أيًا كان السبب فقد سعدنا بتلك المشاركات، ونأمل أن تجدوا فيها ما يحد البصر في النظر لواقعنا ويجلو البصيرة في التطلع لمستقبلنا.

وكل شهر ونحن نسعد بكم.

وكل شهر وأنتم «تنتظرون» المعرفة.

وكل عام والأمة بخير.. مؤسسات وأبطالاً وأفرادًا.

المعرفة

في هذا العدد

المراسلات

باسم :رئيس التحرير

ص.ب ٧ - الرياض ١١٣٢١

هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩

فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠

Letters should be sent to:

Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277

الأسعار

السعودية: ٨ ريالات، الإمارات: ١٠ دراهم،
الكويت: ٧٥٠ فلساً، البحرين: ٥٠٠ فلس،
قطر: ١٠ ريالات، سلطنة عُمان: ٨٠٠ بيسة،
اليمن: ١٠٠ ريال، مصر: ١,٥ جنيه، المغرب: ٨ دراهم،
سوريا: ١٤ ليرة، الأردن: ٧٥٠ فلساً،
لبنان: ٣٠٠٠ ليرة، السودان: ٣٥ جنيهاً،
أمريكا: ٣ دولارات، بريطانيا: ١,٥ استرليني،
فرنسا: ١٥ فرنكاً.

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي: مئة ريال سعودي للأفراد،
ومئتا ريال للمؤسسات،
بريدياً أوعن طريق شركة التوزيع.
قيمة الاشتراك السنوي خارج المملكة ٤٠ دولاراً
«شاملة أجرة البريد»، (عن طريق الناشر).



محمد بن أحمد الرشيد

التفوق .. من الرصد إلى التخطيط والتحفيز (٤-٦)

هجرة علماء وصعود القوى العظمى وسقوطها :

بمناسبة مواصلة حديثي عن التفوق لو قامت مجموعة بحثية من شبابنا النابهين لرصد ودراسة حركة وهجرة العلماء لاكتشاف مدى الرابطة بينها وبين حركة صعود القوى العظمى (أو الوسطى) أو سقوطها وتفككها في الستين عامًا الماضية المائجة بالأحداث الكبرى، ولا بد أن يكون أهم عناصر الدراسة تصاعد القوة الأمريكية.

وميلاد أوروبا الموحدة، وتزايد قوتها، وصعود النجم الياباني، وصراعه على القمه الاقتصادية مع أمريكا، وميلاد وظهور ما سمي بالنمور الآسيوية. وتفكك الاتحاد السوفيتي وميلاد دول آسيا الوسطى الإسلامية مرة أخرى، وانضمام هونج كونج إلى الصين، وتصاعد قوتها المتزامن مع تطوراتها الفكرية، وتوحيد الألمانيتين مرة أخرى.

يشير الإعلام في يومياته لهجرات كثير من علماء الاتحاد السوفيتي سابقًا إلى خارجه بعد سقوطه وتفككه، وإلى تسابق كثير من الدول لاجتذابهم إليها. نريد أن نرصد حركة العلم والعلماء والتفوق المختلفة خلف هذه الأحداث الكبرى، لأنه قرين تكوُّن القوة وتحللها.

الموضوع متشابك ودقيق، لا تتسع له هذه الأوراق المحدودة، وإنما يكفيني وضع بعض الشواهد على نهايات مسارات التفوق بعد الرصد والكدح والإنماء والإنفاق والتوجيه.. فهؤلاء العلماء هم ثمار رحلة التفوق الطويلة.. والمهم في النهاية أن نسأل: من يجني الثمار؟

ويكفي أن أشير هنا إلى أن ٧٠٪ من العلماء العرب غير السعوديين والعرب من سكان بقية دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الذين يتدربون في الخارج لا يعودون إلى بلادهم كما توثق ذلك بعض المؤلفات التي تتناول الموضوع.

ولا شك أن من أوجه إحسان الرؤية لحركة قيام الدول العظمى في تاريخنا العظيم وإتمامها، إنجاز دراسات وبحوث مرموقة لحركة هؤلاء العلماء بين هذه الدول العظمى التي تنقلت عواصمها بين المدينة المنورة ودمشق وبغداد والقاهرة والمغرب العربي عبورًا إلى الممالك العظمى في الأندلس في تاريخها الزاهر وامتدادًا إلى حدود فرنسا حينما أطل الغافقي على جبال البيرنيه... في الجناح الغربي لدول الإسلام.

ثم مرورًا بفتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح في الجناح الشرقي للإسلام، ووصولاً إلى أسوار «فيينا»، ثم حركة العلم والعلماء والترجمة من الغرب وإليه.

إن حركة التفوق وأمواجها من العلماء تحتاج إلى رصد فرق من الباحثين تمد جامعاتنا العربية والإسلامية بمدد لا ينفد لعالمنا المتشوق للتفوق، وليغذي أيضًا روح التفوق في أجيالنا في كل زمان ومكان.

نحتاج إلى ذلك لتحقيق بقاء في الحاضر ووجود في المستقبل، ذلك لأن المستقبل لن يسمح لأحد بمكان لائق كريم إلا للأقوى.

*** حكاية لا أنساها في اجتماع قديم لرؤساء دول السوق الأوروبية:**

لقد استقر في الذاكرة حدث لا يمكن نسيانه على الرغم من مرور ثمانية عشر عامًا على تاريخ وقوعه، أذكر أنه في دبلن عام ١٩٨٤م اجتمع رؤساء

وزراء دول السوق الأوروبية وكان مدخل الاجتماع، وأرقه ولبه هو «تفوق» الولايات المتحدة الأمريكية واليابان على «المريض الكبير» في نظر أصحابه أي أوروبا أو «مجموعة» الدول الأوروبية.

وكانوا يتساءلون في ذلك الحين تساؤلاً صدمتني لهجته، وبلا وجل أو مجاملة، قالوا: هل بدأت أوروبا عصر الانحطاط؟

وأتذكر أن أحد رؤساء الوزارات آنذاك كان يسألهم: ما مرضنا؟ أين تسكن العلة فينا؟

ويعلن أحدهم في فزع: لقد أصبحت أوروبا مجردة من السلاح؟ يقصد بطبيعة الحال سلاح التفوق وبالتالي التقدم.

ويصرح آخر فيقول: إن أمريكا واليابان قد سلبتانا التفوق التقني!! ودون مواربة يضيف رئيس وزراء آخر ما اعتبر في ذلك الوقت بيت القصيد فيقول: إن التشخيص الدقيق يقول لك: إن المرض الأساسي في مجتمعاتنا، يستقر تمامًا في جوف النظام التعليمي!!

وكنت أقرأ أخبارهم وأستعذب هذا الأرق الجماعي!

ولعلكم قد توافقونني على أن أهم ما استطعت الخروج به من هذا التذكر ملاحظات عدة، وقد مضى على هذا الحدث الآن ثمانية عشر عامًا تطورت فيه أوروبا كما تعلمون على نحو أبرز القوة الأوروبية المتحدة التي ارتقت في مدارج القوة، على نحو يؤهلها للمشاركة في بناء القرن الحادي والعشرين، وهو ما يؤسف له أننا اكتفينا نحن بالاستمتاع بهذه التسمية وبترديدها في كتاباتنا ومؤلفاتنا.

وأولى هذه الملاحظات:

أن الذين كانوا يطرحون «قضية الأنظمة التعليمية» من خلال رؤيتهم لما أصابهم من «انحطاط» كانوا على مستوى رؤساء الوزارات في دول السوق الأوروبية كلها، وهي أعلى السلطات التي يمكن أن تفكر وتقرر وتنفذ وبطبيعة الحال من خلال أنضج ما يقدم لها من أفكار وحقائق وبدائل.

الثانية: أن «أوروبا الموحدة» أو التي هي في الطريق المدروس إلى الوحدة، والتي يراها المراقبون تتمخض عن ملامح آتية لقوة عظمى في القرن الحالي تستشعر بحساسية فائقة ومطلوبة - لهم ولغيرهم -: التفوق الأمريكي والياباني، وتبلور توجهها الأساسي في اجتثاث «خمول التفكير»، و«الركود» وتبني التفوق بعد المقارنة، عن طريق مراجعة الأنظمة التعليمية أو تغييرها. أي أن الحساب الختامي بالمقارنة مع الآخرين قد خرجوا منه بوجوب التغيير في المفردات المعروفة مثل المعلم، والمنهج، والمدرسة... إلخ. في داخل منظومة متكاملة على طريق تحقيق التفوق على الآخرين وسبقهم.

الثالثة: أن التشوق للصعود إلى مدارج «القوة» و«التفوق»، والخروج من أزمات «الخمول» و«التخلف» يحتاج كي يلحق بالعصر إلى ما يأتي:

- لحاق بقاء ووجود.
- ثم لحاق استمرار وجود.
- وانتهاء إلى لحاق محاكاة ثم تنافس.

المشغول حقيقة لا وهمًا بهذه العمليات الحيوية الكبرى، لا يتوقف كثيرًا أو لا ينبغي له أن يتوقف ولا أن يتراجع عن تحديد المريض وتشخيص المرض، مهما كانت تسمية ذلك المريض محرجة، ومهما كان تشخيص ذلك المرض صعبًا، وعليه أن يكون مستحضرًا الحكمة العظيمة التي أظن أن ذاك الحكيم حينما قالها كان يتطلع إلى آفاق أخرى أبعد بعيدًا من الأمراض والمرضى والمداواة بالإضافة إلى معناها الضيق.

أما الحكمة فتقول:

اعرف الماضي..

شخص الحاضر..

تنبأ بالمستقبل!!

الرابعة: أن «مدخل الداخل» كان في نظرهم هو الأنظمة التعليمية، وهو مدخل شامل يمكن أن يقود التفوق في سائر الجبهات، والأغلب أنهم أوكلوا إليها الكثير في تحقيق عمليات الانسجام والدمج لإنجاز الوحدة الأوروبية.

الخامسة: أنني ذكرت من قبل، وأكرر للتذكر، أن هؤلاء بمجرد انتهائهم من الدراسة والرصد والمقارنة واستشعارهم للانزعاج من تفوق الآخرين من جانب وانحطاطهم من جانب آخر. وضعوا نصب أعينهم تكثيف المعرفة، وتيسيرها، وسرعة وصولها لجميع الراغبين في الاطلاع عليها عامة والباحثين خاصة.

ومن ثم كان قرارهم بإنشاء شبكة المكتبات المتصلة على مستوى دول السوق، قرارًا يعني إرادة التفوق، وقد تكلف تنفيذه عن طيب خاطر خمسة آلاف مليون وحدة نقد أوروبية، يقوم بخدمة طلاب المعرفة، وفي هذه الشبكة مئتان وخمسون ألفًا من المتخصصين (لم أكتبها رقميًا خشية أن يتبادر الشك بوقوع خطأ في طباعة الرقم!!) ولا تسل عن المترددين عليها، فهم تعداد سكان دول السوق!!، ولا أكتمكم أنني أغبط هؤلاء على أنهم وفروا بهذا الربط في تلك

الشبكة مليارين ومائة مليون كتاب، لكل راغب في البحث والتفوق. وهذا الموضوع فيه من عناصر الإثارة والتشويق المعلوماتي والإعلامي والعلمي ما أود لو تبناه بعض النابهين من رجال الإعلام العام والتعليمي سواء في الصحافة أو الإذاعة والتلفاز لنزداد معرفة به، وبخطواته ومراحل تنفيذه من بداية الفكرة إلى تطبيقها ثم التعرف على بعض نتائجها وفحصها.

وليس بمستغرب إذًا أن يكون ٩٨,٦٪ مما ينفق على البحث والتطوير في العالم يتم في البلاد المتفوقة، بينما تنفق جميع الدول الأخرى «النامية» ١,٦٪ من هذا الإنفاق، وأن تكون هذه النسب وما يقابلها من أرقام الإنفاق الفعلية تمثل العصب المادي للإمداد بالتفوق البحثي والابتكار المستمر!

مدة التلكؤ:

أعجبتني تلك التسمية التي أطلقها بعضهم مؤخرًا على المدة التي تقع ما بين عرض «فكرة» أو طرح «ابتكار» أو «اقتراح بتعديل» وبين تبني هذه الفكرة والتلكؤ عن تطبيقها أو الاستفادة منها، بأنها «مدة التلكؤ» وأن هذه المدة تطول وتمتد حينما يكون المجتمع «متراخيًا» أو «غائبًا» أو «غير متواصل»، بينما تقصر هذه المدة وتقل حينما يكون «الجهاز العصبي المجتمعي» متوثبًا، نشطًا متأجج الرغبة في الصعود والتقدم. هذه المدة هي جوهر من جواهر السبق والتفوق حين التأمل!.

من الواضح أنني أتعرض هنا وبمناسبة طرح بعض القضايا الأساسية، لدور المجتمع المؤثر في تراجع فكرة أو تقدمها. وليس هذا تهربًا من الدور الأساسي لجهات الاختصاص في حسن طرح الموضوعات ومسؤوليتها عن السعي العام لكسب تأييد المجتمع لجانب الفكرة ودعمها.

من باب الإنصاف أن نكشف بالأضواء أن المجتمعات لا تؤثر فقط على الأفكار والمشروعات المهمة من خلال ما يسمى «بمدة التلكؤ». بل إنها أيضًا تؤثر في المبتكرات والأفكار الجديدة من خلال درجة «الانسجام المجتمعي» والذي يختفي وراء الصورة الظاهرة للمجتمع.

يُبرز هذا المعنى «فرانسيس فوكو ياما» في كتابه «نهاية التاريخ» ولكن في المجال الاقتصادي فيقول: «إن سلامة الأداء في الاقتصاد الحديث رهن بقبول العناصر الكثيرة المتشابكة في المجتمع للعمل معًا ...».

وبطبيعة الحال فإنه دون هذا القبول وهو في جوهره داخلي وليس مظهريًا، «لن يقوم التعاون الإيجابي النشيط اللازم لانتظام سريان العمل في سهولة ويسر في النظام» والكلام دقيق، ويحتاج إلى استرجاع متأن لأنه يتصل بشكل حيوي بالشروط الداخلية لنجاح مجتمع ما.

ربما نجد بالتأمل هذا الكلام أكثر انطباقًا في عالم التربية عنه في عالم الاقتصاد «فوكوياما» فقضايا التربية أشد احتياجًا إلى هذا القبول المؤدي إلى الانسجام «العمل معًا» لأجل سلامة الأداء.

ولعله من المناسب أن أستحضر هنا قولاً سبق أن ذكرته يؤكد أن «هناك من الأمور الجوهرية في أهميتها، ما لا يمكن إنجازها بقرار أو بنظام لوائح، وذلك لأن إرادة المجتمع فيه هي الأعلى، وقضية التربية على رأس هذه الأمور، التي لا تنجزها إلا إرادة الناس بل إرادة كل فرد في المجتمع مهما كان عدد السكان، لكل من موقعه، وبأقصى قدرته، اقتناعًا في العقل، وإيمانًا وحماسة من القلب.. إنها مستقبل أبنائنا وبيوتنا وأعراضنا وأموالنا، وباختصار إنها شعبنا وأرضنا وعقيدتنا.. وإن قضية التربية لن تتزحزح شبرًا واحدًا عن مكانها الحالي إلى الأمام، إلا إذا أصبحت «القضية رقم ١» في ضمير كل الناس، وعلى الأقل غالبيتهم!.. نعم للعمل معًا وبانسجام لأجل قضية التربية».

بينما نحاول تثبيت مواقعنا على سواحل حركة التقدم والتفوق، تجوب أضواؤنا الكاشفة ما تأتي به الأمواج على شواطئنا، وبينما تنشط عقولنا، وتتحرك أقدامنا، ونعد سفننا للإبحار، في محيطات التفوق العميقة بأمواجه الهائلة، ويعلو صوت الربابنة عندما يبحرون: نكون أولا نكون؟

- تتردد الأصداء على السوحل.
- وتمزجها الرياح والأمواج فتتحولان إلى سؤال واحد..!!
- نتفوق أم لا نتفوق؟
- هذا هو السؤال؟
- هذا هو السؤال!!

مرت عيناي منذ قريب على هذه الكلمات فسجلتها في ذاكرتي ثم نسيت موقعها وزمانها:

- الحق الأعزل حق ضائع.
- واليوم الراهن موقوت بصراع بقاء وفناء...
- والزمن الآتي زمن رهان فليختر كل ما شاء...

وأظن أن المملكة قد اختارت «التفوق» طريقًا لها للتحدي في زمن الرهان، وبابًا كبيرًا تقيم به أعمدة القرن الخامس عشر الهجري في أمتنا.، ■



البطل الم

كلما داهم الأمة العربية والإسلامية مصيبة جديدة، صــاح الناس كلهم، ينادون : «البطل المنتظر» والفـارس القـادم على صـهوة جـواد طارق بن زياد وصلاح الدين، ومحمد الفاتح، وغيرهم من رموز «الخلاص» والنصر في تاريخ الأمة.

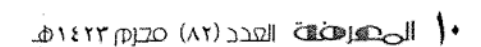
وعلى المنوال ذاته، تأتي كثير من أدبيات العرب لتوّجج هذا «الانتظار» والترتيب لمجيء البطل الأوحد لينقذ الأمة من وضاعة وضعها!

ولأن الأمة متلهفة لقدوم القائد المظفّر في كل حين، فإن أكثر من مرتزق أدّى ويؤدي دور هذا القائد ليظفر بقبول الأمة ودعمها، وقد ينجح لفترة محدودة حتى يكتشف الناس أنهم خُدعوا بهذا القائد الانتهازي المهزوم، الذي زاد طين أمته بلّة!

في الخطاب الاجتماعي الحديث دحضٌ لقيمة البطل الواحد.. وتعزيز لقيمة المجتمع البطل.

لم تعد الفردانية هي المعوّل في تغيير وجه الأرض، بل المجـتـمـعـات المدنيـة التكامليـة بمؤسساتها وأطرها وقوانينها هي القادرة على إحداث ما كان يحدثه القائد الأوحد.

ولغـة هذا الخطاب الاجـتـمـاعي الحـديث ترمي «العـرب» من بين أمم الأرض بأنهم ـ ضمن صنعة التـخلف



...نتظر (1-2)

التي يزاولونها ! - ما زالوا لا يقيمون للمؤسسات المدنية دوراً وأمالاً.. بل يقبعون في ركن مظلم من الأرض ينتظرون «المخلّص».. الذي تأخر مجيئه!

والسؤال الذي يحضر هنا دومًا: هل حقاً أن العرب وحدهم الذين ما زالوا يعلّقون آمالهم على فارسٍ بطل ما زال في الطريق إليهم.. وإن طال السفر؟!

هل تخلو الأمم الأخرى المكلومة في شرق آسيا وأواسط إفريقيا وجنوب أمريكا من «بطلها المنتظر» الخاص بها ؟

بل حتى في العالم الحديث المتطور ذي المؤسسات المدنية المتكاملة في أوربا وأمريكا ما زال «جيمس بوند» و«رامبو» يمثلان صورة البطل الخارق الذي لا يموت قبل أن يموت جميع أعدائه!

إذا كان « رامبو » يجد له هذا القبول في ذهنية الأمة المنتصرة المتقدمة المهيمنة.. فمن يلوم الأمة المهزومة إذا قبعت تنتظر «رامبوها»؟!

ويبقى السؤال المربك هو: إذا كنا سنقبل بانتظار البطل القادم، فمن يملك «السيرة الذاتية» لملامح هذا البطل حتى يمكننا التعرف عليه، دون أن نُخدع كماخُدعنا بكثيرين من قبل!

وهل ينبغي أن نقف مكتوفي الأيدي.. مكتوفي العقول، حتى يصل البطل المنتظر؟!

وهل يجب أن يكون بطل هذا الزمان نسخة مطابقة للمعتصم وطارق وصلاح الدين والفاتح؟

وأخيراً.. هل يجب أن يأتي البطل المنتظر على صورة رجل واحد بعينه.. أم أنه يمكن أن تكون هناك صورة مؤسسية - مجتمعية غير فردية - لهذا البطل؟!

المعرفة

البطل المنتظر أم العمل المؤجل؟

أبو يعرب المرزوقي *
تونس

ليست ظاهرة البطولة عامة والبطولة الفردية التي تعوق الجماعة في قيامها بواجبها خاصة، بخلاف ما قد يتبادر إلى الأذهان، مجرد ظاهرة أيديولوجية سطحية. بل هي أحد المظاهر الدالة على انحراف فكري جوهري يصيب عقول الأمم فيفسد نظرية الوجود والقيمة عند نخبها وعند رأيها العام الشعبي حتى تصبح الأمة عاجزة عن القيام بدورها في التاريخ.

ويتعين هذا الداء في أعماق الفكر الديني والفلسفي اللذين ينحرفان عن مقاصدهما الأساسية انحرافًا يقلبهما على عقبهما فيحول رسالة الدين ورسالة الفلسفة إلى نقيض جوهرهما: فهما ينتقلان من التحرير الروحي والتنوير الفكري إلى الاستعباد الروحي والاستبلاد الفكري.

* أستاذ الفلسفة العربية واليونانية - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة تونس الأولى.



ولا شك أنه ما من أمة من الأمم إلا وأساطيرها وآدابها لا تخلو من حكايات عن أعمال تتجاوز سنن التاريخ والطبيعة تنسبها إلى بعض الأبطال الذين يتصورهم الخيال الشعبي قادرين على الخوارق والكرامات.

لكن ذلك غالبًا ما يكون متعلقًا بوصف أحوال الماضي السحيق تأسيًا بقصص من نسج الخيال العريق. وهو يصبح أمرًا محيرًا عندما يتحول إلى مرض عضال ينفي دور الجماعة في التاريخ وينكر انتظام العمل البشري وخضوعه إلى قوانين وسنن ثابتة متصورًا التاريخ ومعانيه ثمرة الصدف وخرق العادات.

ويحتاج فهم المسألة إلى تحليل ظاهرتين أولاهما تبين طبيعة الداء الذي ينخر حضارتنا منذ أن أهملت جوهر قيمها فأصبحت تقدم الخرافة على الحقيقة، الثانية تعلله فلسفيًا ببيان مصدره.

* فالظاهرة الأولى تتعلق بالبحث في ما يجعل الحضارة العربية الإسلامية، بخلاف ما يؤكد عليه دينها الحنيف الذي يقدم عمل الجماعة على بطولة الأشخاص، تصبح حضارة تنسب كل الأفعال إلى أشخاص الأبطال بدلاً من نسبتها إلى العمل الجماعي المنظم.

* والظاهرة الثانية تتعلق بالبحث في طبيعة العلاقة بين نسبة الفعل في أحداث التاريخ الإنساني ومعانيه إلى الإنسان سواء كان فاعلاً فرديًا أو فاعلاً جمعيًا، ونظرية القضاء والقدر المحددة للفعل الإلهي في عاملي الوجود الإنساني الطبيعي والتاريخي أولاً وبينها وبين نظرية الحتمية التاريخية في الفلسفات الغربية الحديثة ثانيًا.

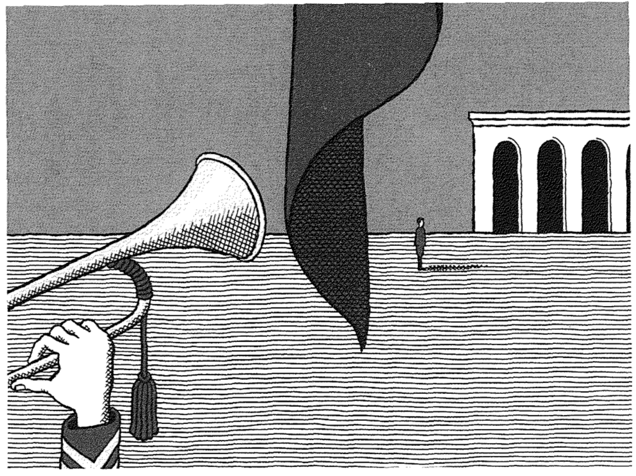
* ويتقدم على هاتين المسألتين شرطًا في دراستهما وصف معالم هذه الظاهرة واستقراء سماتها العامة حتى نتمكن من فهمها وتحديد شروط العلاج المفيد لعواقبها.

«ما طبيعة الداء الذي جعل أمة، يعتبر نبيها ﷺ إطراءه تقليداً مذموماً للنصارى وابتعاداً مرفوضاً عن الإسلام، تصبح نظرية البطل الذي ينوب عنها في القيام بالواجب مهيمنة على فكرها فتستلم لكل دعي يتصور نفسه بطلاً منجياً.»

معالم الظاهرة وخصائصها

ليس الانتباه إلى خطر هذه الظاهر ة بالأمر الطارئ في حضارتنا المعاصرة. فقد تصدى لها الفكر الإصلاحي منذ بدايات النهضة التي حاول قادتها تخليص الشعوب العربية الإسلامية من هذه العقلية، مواصلة للإصلاح «الديني الروحي» الذي شرع فيه شيخ الإسلام ابن تيمية والإصلاح «السياسي العقلي» الذي شرع فيه ابن خلدون، إصلاحهما الذي تصدى لهذه الإشكالية بالنظر في ما أصاب الفكر النظري والممارسة العملية عند المتكلمين والفقهاء والمتصوفة والفلاسفة والمؤرخين، وتأثير ذلك على الرأي العام الشعبي. وكان الهدف من المحاولتين تحرير المجتمع الإسلامي من هذه العقلية المتواكلة التي فرضها غلاة الفكر الصوفي حين عمموا هذه الظاهرة في تاريخ حضارتنا إلى حد جعل خوارق الأبطال والأولياء تكاد تكون المبدأ الوحيد الذي يفسر الماضي والحاضر والمستقبل من تاريخ البشر. فبلغ الأمر بالمسلمين، في بدايات عصر الانحطاط، إلى نفي سنن التاريخ والطبيعة واعتبار كل شيء جاريًا بحسب مصادفات الخوارق والكرامات وتصرف الأبطال الحاضر منهم أو المنتظر.

لكن محاولة هذين المصلحين والتصدي السياسي باشرته حركة النهضة بالاعتماد عليهما خلال قرنين كاملين لم يكادا يحققان بعض التقدم في تحرير العقليات من الاستقالة والتواكل وتقديم عمل الأبطال المزعومين على الجهد الجماعي المنظم الذي يؤكده الدين الحنيف ويؤيده الفكر الفلسفي السليم حتى طرأ ما أفسد كل الجهد النهضوي. فقد أعاد شعوبنا إلى موقف مماثل الفكر الشمولي والانقلابي الذي يدعي الثورية ويؤله من يصفهم بالزعماء وأبطال حركة التحرر القومية، فربيت الشعوب مرة أخرى على الخنوع والاستسلام بفكر يدّعي الحداثة الإنسوية والعلمانية



السياسية. وها هي ذي الظاهرة تعود من جديد فتطغى في لحظات الانكسار التي يجتازها تاريخنا الحالي لتصبح سيدة الموقف. فالرأي العام الشعبي الذي عادت عقلية التواكل لتسيطر عليه - ولا نستثني من ذلك أغلب قياداته الفكرية - بات يرهن مستقبل الأمة بانتظار ظهور من يكرر بطولات الماضي (أيوبي جديد). وقد يصل الأمر بالبعض إلى انتظار ظهور بطل يكون مهديًا بالمعنيين الدنيوي والأخروي.

طبيعة الداء: من ترشيد الناس إلى تبليدهم

ما طبيعة الداء الذي جعل أمة، يعتبر نبيها ﷺ إطراءه تقليدًا مذمومًا للنصارى وابتعادًا مرفوضًا عن الإسلام، تصبح نظرية البطل الذي ينوب عنها في القيام بالواجب مهيمنة على فكرها فتستسلم لكل دعي يتصور نفسه بطلاً منجيًا سواء كان في الحكم أو في المعارضة؟ يمكن، بالاستناد إلى التاريخ العربي الإسلامي، أن نميز صورتين ظهرت عليهما عقلية الاستسلام إلى هذا الموقع الذي كان مستندًا إلى تعليل ديني في أولاهما فصار في ثانيهما مستندًا إلى فكر علماني وأن نستخرج السمة الثابتة في كلتا الصورتين.

فالصورة الأولى بدأت منذ الفتنة الكبرى كما يتبين من أدبيات الثورة على الدولة الإسلامية الشرعية في الفكرين الخارجي والشيعي المغالين وفي سلوك الدولة الرسمية التي اعتمدت على العنف والقوة، فأدى ذلك بالتدريج إلى سيطرة المرتزقة على الحكم المركزي وتفكك أوصال الخلافة. ثم عمت هذه التصورات على الفكر الإسلامي كله بسبب عموم النحل الجبرية والصوفية خلال عصر الانحطاط.

والصورة الثانية بدأت منذ الشروع في الانقلابات المرسومة بالثورية ومحاكاة الأنظمة الفاشية والستالينية في أوروبا الثلاثينيات في بناء الدولة الوطنية القطرية والتخلص النهائي من فكرة الخلافة ووحدة الأمة الإسلامية. فأدى ذلك بالتدريج إلى أمر مماثل لما حصل في المرة الأولى وإن كان الفكر المؤسس يدعي أنه علماني بخلاف المرة الأولى التي كان الفكر المؤسس فيها يدعي أنه ديني.

وبذلك تكون السمة الثابتة في الصورتين الدينية والعلمانية المزعومتين هي فقدان النخب المتسلطة، سواء كانت في الحكم أو في المعارضة، للشرعية واعتمادها

على فنيات العمل السياسي الشعبي العنيف الذي يستحيل فيه تحديد المسؤولية فينسب كل شيء إلى بطل كان من نسيج الأساطير الماورائية التي تستعملها حركات الشعوذة الصوفية فصار من حبك الأحابيل الدعائية التي تستعملها وسائل الاتصال الجماهيرية ومافيات الأحزاب الحاكمة أو المعارضة.

تعليل الداء: من انتظام الفعل والحرية إلى فوضى الفعل والعبودية

تبين إذًا أن ظاهرة الاتكال على الأبطال المنجين مركبة ومعقدة. فهي تحدد طبيعة الداء الذي تعانيه حضارتنا وتوضح علاقته بالغفلة عن طبيعة الإصلاح المحمدي للفكر الديني المحرف منزلاً كان أو طبيعيًا (إذ يبشر القرآن الكريم المنتسبين إلى أربعة أديان ـ اثنان منزلان هما اليهودية والمسيحية واثنان طبيعيان هما دين الصابئة ودين المجوس ـ بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون إذا هم عملوا عملاً صالحًا وآمنوا بالله واليوم الآخر). فالإصلاح المحمدي، بخلاف الأديان المتقدمة عليه، اعتبر إعجاز الفعل الإلهي والحكمة في الطبيعة والعالم وفي الشريعة والتاريخ راجعين إلى الانتظام وحسن التنسيق وليس إلى خرق العادات ونظام الطبيعة، وأن الإيمان يعتمد على السعي الجماعي علمًا (التواصي بالحق) وعملاً (التواصي بالصبر) لكون سنن الله لن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً. ومن ثم فلا حاجة إلى خوارق الأبطال وكرامات المشعوذين أو أكاذيب الطغاة وأوهام الأيديولوجيين.

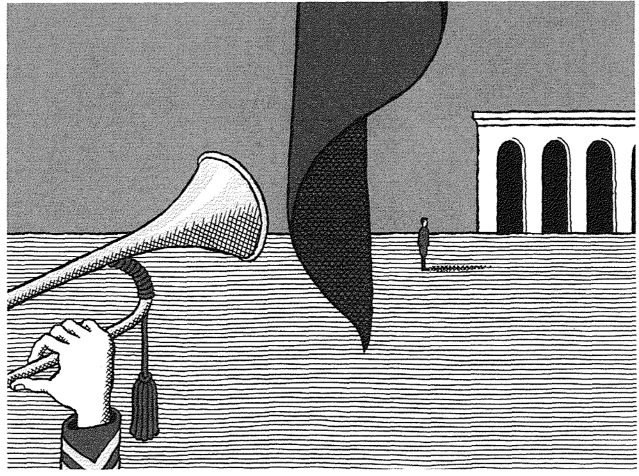
وإذا كان التفسير التيمي الخلدوني بداية انطلقت منها النهضة للتخلص من تفشي هذه الظاهرة في المرحلة الأولى من تاريخها السياسي والديني، فإن مؤثرات الفلسفة الشمولية المعاصرة مثلت الغاية التي توقفت عندها حركة النهضة في المرحلة الحالية من تاريخها. وإذا كانت محاولات الإصلاح الديني والفلسفي عند الشيخ ابن تيمية والإصلاح السياسي والاجتماعي عند ابن خلدون قد عللت هذه الظاهرة بخلل أصاب العقل النظري الذي انتهى أصحابه إلى القول بالجبرية، وألمَّ بالعقل العملي الذي انتهى أصحابه إلى نفي شروط علم التاريخ العقلي، فإن عودة الداء تحتاج إلى فحص وعلاج جديدين لكون التفسير التيمي الخلدوني والعلاج النهضوي لم يبقيا كافيين.

فالعقل العملي الكلامي الفقهي والفلسفي الصوفي في المرحلة المتقدمة على النهضة أساء فهم نظرية القضاء والقدر، فنفى عن الإنسان الفعل الحر ونسب كل أحداث التاريخ الإنساني إلى خوارق وكرامات ينسبها إلى بعض الأفراد الذين يزعم أنهم مؤيدون من السماء.

> **«حركة النهضة اعتمدت التفسير التيمي الخلدوني فسعت إلى الإصلاح بسياسة تربوية جديدة تسعى إلى إيجاد المسلم المؤمن حقًا بأن التاريخ عمل جماعي إجماعي مترو لكونه ثمرة التواصي بالحق والتواصي بالصبر.»**

لذلك سعى إصلاح ابن تيمية إلى تحرير المؤمنين من عبادة الأولياء والأشخاص، وسعى إصلاح ابن خلدون إلى تفسير التاريخ بظاهرة جماعية هي نظرية العصبية والوازع العقلي والديني الجمعي ليحرر حياتنا السياسية من الثورات المستندة إلى الشعوذة والتدجيل الصوفي والديني. أما ما حصل في المرحلة الحالية بعد تعثر حركة النهضة وإجهاضها فإن الأمر يتعلق بسوء فهم قيم الحضارة الغربية وحصرها في أدنى صورها أعني الفلسفات القائلة بالحتمية التاريخية والممارسات السياسية الشمولية المعتمدة على التجييش الجماهيري تلاعبًا باللاوعي الجمعي ونفيًا لكل عمل عقلي متزن.

فحركة النهضة اعتمدت التفسير التيمي الخلدوني فسعت إلى الإصلاح بسياسة تربوية جديدة تسعى إلى إيجاد المسلم المؤمن حقًا بأن التاريخ عمل جماعي إجماعي متروٍّ لكونه ثمرة التواصي بالحق لعلمه، وتجنب الباطل، والتواصي بالصبر للعمل بالحق وتجنب العمل بالباطل: وذلك هو معنى الأمر بالمعروف



والنهي عن المنكر في بعده السياسي فضلاً عن الخلقي.

لكن الاستعمار المباشر لأغلب الدول العربية وتكون جل النخب المؤثرة على حركة التحرير العربية خلال المرحلة الفاشية والستالينية في أوروبا جعلا الفكر ينتقل من الاستناد إلى الفكر الإصلاحي الذي اعتمدت عليه النهضة إلى فكر مستورد تأثر بصفة خاصة بهذا النوع من الفكر الشمولي خلال ما بين الحربين. فعمت بلاد العرب النظريات القومية العلمانية والماركسية المادية التي تنفي كل تعال للقيم على علاقات القوة والعنف. فصار كل من يستحوذ على أدوات القوة المادية والدعاية الرمزية شبه إله يفعل ما يريد، وأصبحت السيطرة على الأجهزة المستعملة للقوة والدعاية العامتين أداة كل متزعم للحركات السياسية، قومية كانت أو اجتماعية أو حتى دينية: من هنا كان عموم الفكر الانقلابي والدعائي الذي يستهدف التغيير العنيف إلى حد اللجوء إلى الإرهاب.

وإذا كان أصل الداء في الحالة السابقة هو سوء فهم نظرية القضاء والقدر فإن أصل الداء في الحالة الراهنة هو سوء فهم ما يزعمون أنه نظرية علم قوانين التاريخ أو المادية الجدلية: فهم يتصورون الإنسان مجرد حيوان تحكمه آليات السيطرة على اللاوعي (بالدعاية) وعلى الجسم (بالعنف). لذلك فهم يعاملونه معاملة الحيوان الذي يروض فيأتمر من خارج مثلما تأتمر الحيوانات الداجنة.

خاتمة:

إذا كانت الثورة الروحية التي سعى إليها ابن تيمية في الفكر الديني والثورة العلمية التي سعى إليها ابن خلدون في الفكر السياسي قد أسستا حركة الإصلاح في النهضة وإذا كان التأثر بالفكر الفاشي والفكر الستاليني قد أحبط هذا الإصلاح وكاد يقضي على إرهاصات النهضة فإن المطلوب اليوم هو تحليل هذه الظاهرة بعمق والتصدي لها لتخليص نخبنا ورأينا العام الشعبي من هذين الداءين لكي نستأنف دورنا التاريخي الكوني ونستعد للرهانات الحضارية التي تنتظرنا بروح يحدوها شرطا الاستثناء من الخسر، قال تعالى: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ** وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ٣]. ■



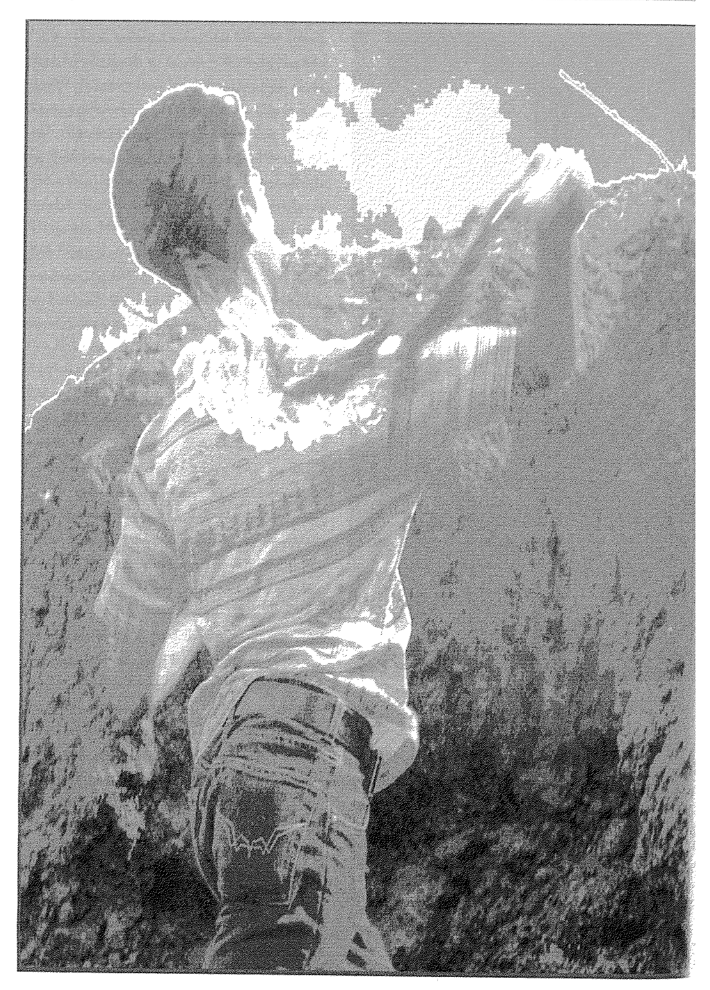
تعويضاً عن فشل الأمة ولأن «الحي مهزوم»:

البطل هو «الذي يموت»!

رضوان السيد *
لبنان

كذلك - للانشغال بموضوع البطولة والبطل ليس بسبب تكليف مجلة «المعرفة» أو أحداث ١١ سبتمبر أو الاضطراب في فلسطين، بل لسبب أبسط بكثير فقد انصرفت طوال الأشهر الخمسة الماضية لترجمة كتاب جيمس رستون «مقاتلون في سبيل الله: صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد والحرب الصليبية الثالثة»، بتكليف من إحدى دور النشر السعودية (وسيصدر قريباً إن شاء الله). رستون اختار لكتابه الجديد هذا - شأن كتابين سابقين له - صيغة الرواية التاريخية، وهي صيغة صعبة جداً إذا روعيت فيها الصيغة التاريخية فعلاً (انظر جورج لوكاشي والرواية التاريخية). والمعروف أن هذه الصيغة في الكتابة لها عمالقتها في الآداب العالمية والعربية (مثل موروا وتسفايغ وتوخمان وحتى توماس مان في يوسف وإخوته، ونجيب محفوظ في بداية كتاباته الروائية، وجورجي زيدان في سائر كتاباته القصصية). وقد التزم رستون بأصول المهنة فعلاً، بمعنى أن كل حوارات الكتاب/ الرواية حقيقية أو تاريخية، مأخوذة بالنص عن المصادر العربية واللاتينية، ولا كذلك حركية الشخصيات، التي ينبغي على أي حال أن تتأسس حركيتها على أحداث تاريخية.

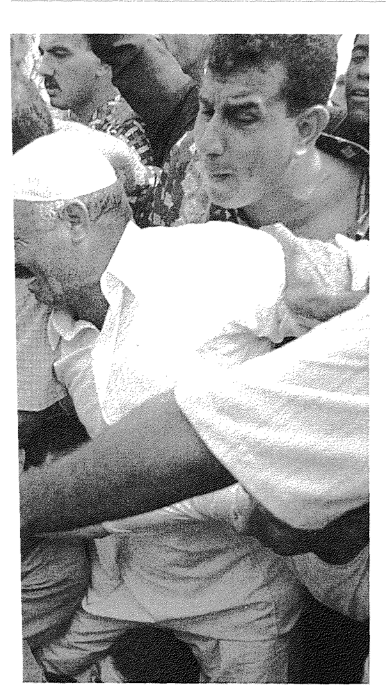
* مفكر لبناني.



ما ذكرتُ جيمس رستون هنا لالتزامه بأصول الرواية التاريخية، بل لأن عمله كله قائم على فكرة البطولة، أو نموذج البطولة بين الغرب والشرق في العصور الوسطى، ثم في وعي العرب والمسلمين من جهة، والغربيين من جهة ثانية، في هذه الأيام. وقد ذكر في افتتاحيته للرواية أنه يقصد هذه المقارنة، وأن صلاح الدين حاضر في أزقة القدس الداخلية، كما في دمشق وعلى منابر الجوامع كما كان إبان انتصاره في القدس عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م (الأسبوع الماضي سمعت كلمة الشيخ يوسف القرضاوي أمام الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في أثناء استقبال سمو الأمير للمشاركين في الجنادرية، وقد تساءل فيها عن غياب صلاح عن فلسطين اليوم، وطالب بحضوره) بيد أن الطريف في المسألة أن رستون استطاع أن يجد شاهدًا حيًا في الجهة المقابلة، فعندما تحدث عن بطولة قلب الأسد لدى الغربيين المعاصرين، ذكر أفلامًا سينمائية لا شهادات حية والأفلام السينمائية تمثل طبعًا انطباعات فئة أو فئات من الناس، لأن الذين يصنعون هذه الأفلام يريدون لها أن تنجح تجاريًا، فيراعون في كتابة السيناريوهات أذواق الجمهور، على أن رستون نفسه يعتبر شخصية الملك أرثر أو شخصية روبن هود أكثر شعبية حتى في الغرب الوسيط من ريتشارد قلب الأسد. وهو يرى أن ذلك يرجع للقسوة المفرطة التي اتسم بها ريتشارد، والتي يضيف إليها رستون استظهارًا أنه كان شاذًا جنسيًا أو مصابًا بداء الجنسية المثلية (أعتذر لهذا التجاوز التميزي فما عاد الغربيون يعتبرون ذلك داء). والطريف أن أسامة بن منقذ في كتابه «الاعتبار» وقد كان له أصدقاء من الفرنجة في العصر الأول للغزو الصليبي يأخذ عليهم أن «القوة المجردة» هي الفضيلة الوحيدة التي يعتبرونها ويضيف لذلك عدم الانضباط جنسيًا، لكنه يعود فيذكر أن لهم «فضائل» أخرى غير الشجاعة أو التهور.

***

السؤال الأول إذًا يتعلق بمفهوم البطولة، ومن هو البطل؟ ثم من هو البطل الشعبي إذا صح التعبير. فريتشارد قلب الأسد بطل وبطل شعبي، لكن الذين يقولون ببطولته يفضلون عليه الملك أرثر وروبن هود ودون كيخوته، بل إن هؤلاء الثلاثة أدنى للجماهيرية



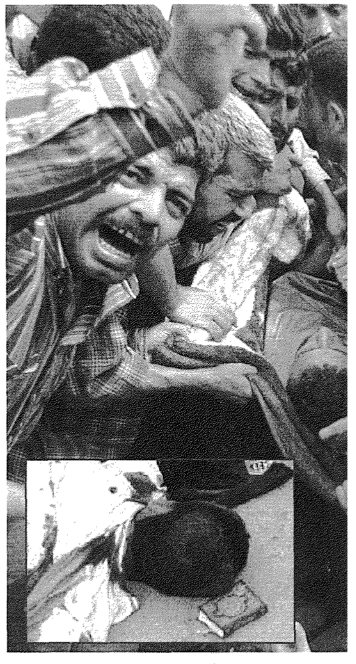
منه. وصلاح الدين عندنا بطل قديمًا وحديثًا بسبب صفاته الشخصية، وبسبب إنجازاته، لكنه من الناحية الجماهيرية (البطل الشعبي) يتراجع وراء الظاهر بيبرس وفيروز شاه وسيف بن ذي يزن، والزير أبو ليلى المهلهل، والأميرة ذات الهمة...إلخ، إذ لم تؤلف عن صلاح الدين رواية أو قصة شعبية واحدة للقراءة والإنشاد في المقاهي وسهرات الأحياء الشعبية. وصلاح الدين بطل لدى الفقهاء والعسكريين وعامة المثقفين. بيد أن الفقهاء يقدمون عليه نور الدين وعمر بن الخطاب والصديق، ليس لتفوقهم العسكري، ولا لصحبة العمرين للنبي ، بل لصفاتهم الشخصية

العالمي، لأنها ما عادت مستطيعة للاستمرار قطبًا أوحد، ولإدراكه أن الصراع المقبل مع الاتحاد السوفياتي، ولا يستطيع الأوروبيون المنهكون الإنجاز فيه بمفردهم. هكذا أراد استمرار الزعامة البريطانية، مع إلقاء المسؤولية على عاتق الولايات المتحدة. لكن المؤرخين والاستراتيجيين يأخذون عليه أخطاء كبرى في إدارة الصراع، كما يأخذون عليه إدمانه على المشروبات الروحية التي أثرت في قدرته على الوصول إلى الخيارات الصائبة وسط الظروف الصعبة. والأمر في حالة شارل ديغول عند الفرنسيين مختلف. فهو يشبه تشرشل في مفهوم القوة السلطوية من جهة، والعقلية والذهنية والعصبية من جهة أخرى. بيد أن شجاعته هنا كانت أكبر لأن وسائل القوة والسلطة بيده كانت ضئيلة مقارنة بتشرشل في مطلع الأربعينيات من القرن الماضي.

فإذا عدنا للأجواء العربية والإسلامية قابلتنا ثلاث شخصيات متعاصرة: خالد بن الوليد، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح.

صحيح أن لا أحد من المعاصرين لهم، أو من المحدثين يتحدث عن بطولة أبي عبيدة، لكن المؤرخين يوافقون على قرار عمر استبدال أبي عبيدة بخالد للقيادة بالشام. وخصوم خالد يأخذون عليه مسألتي بني جذيمة أيام النبي ﷺ، ومالك بن نويرة أيام أبي بكر. فعلى الرغم من النجاح الباهر لخالد في التكتيك العسكري والسرعة في اتخاذ القرار، والمبادرة (بل المغامرة) المحسوبة، لكن للقوة جوانب تفكها عن الأخلاق بالمعنى الكبير، وهي مسائل يقدم المؤرخون فيها أبا عبيدة على خالد.

وهكذا يلتقي الأوروبيون مع العرب في السمة الثانية للبطولة وهي إلى جانب شجاعة القلب، المرونة الذهنية البارزة أو المتفوقة، والسمات الأخلاقية المنضبطة (لأن البطل مثل يحتذى) وهكذا فإن الفروسية - إذا صح التعبير - والتي تمثل مجموع صفات القوة المحمودة، إذا اجتمعت بالحد الأدنى كان المرء فارسًا، وإذا اجتمعت بالحد الأقصى كان المرء بطلاً، وتظل هناك «شواذ»، أو استثناءات على هذه القاعدة، فتطلق البطولة على أشخاص حضرت فيهم إحدى السمات الثلاث في الحدود القصوى دون السمات الأخرى مثل نابليون لدى الفرنسيين، وريتشارد قلب الأسد لدى



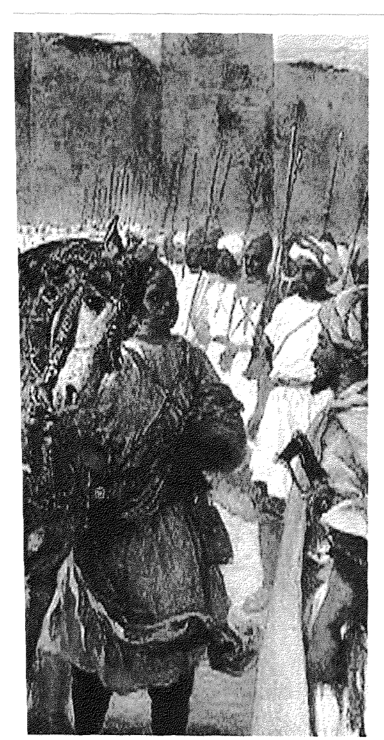
المتفوقة، فالمتفق عليه بين الغربيين والشرقيين في العصور الوسطى في مفهوم البطولة ارتباطها بالقوة وإلى حد ما بالسلطة، بيد أن القوة شرط ضروري لكنه غير كاف فروبن هور (لدى الأوروبيين) وعبدالله البطال (لدى المسلمين إبان الصراع مع الإمبراطورية البيزنطية) بطلان شعبيان، لكن القوة ليست أبرز صفاتهما على الرغم من حضورهما البارز، وونستون تشرشل بطل لدى البريطانيين بسبب مواقفه الصلبة والشجاعة في مواجهة هتلر، وبسبب رؤيته الاستراتيجية، فقد أراد استغلال الصمود في الحرب الثانية لإخراج بريطانيا من الواجهة في الصراع

البريطانيين، وسيمون بوليفار لدى شعوب أمريكا اللاتينية، وبسمارك لدى الألمان، ومازيني لدى الطليان، والاستنتاج الآخر أن هناك سمات مشتركة لدى سائر الأمم للبطولة، مع تأكيد لدى كل أمة على سمة من السمات الثلاث، فالشرقيون (المسلمون والصينيون على الخصوص) يقدمون الانضباط الأخلاقي، والغربيون التفوق الذهني، والشعوب الصغيرة أو المغلوبة القوة الباطشة، لكن السمات كلها تظل موضع اعتبار.

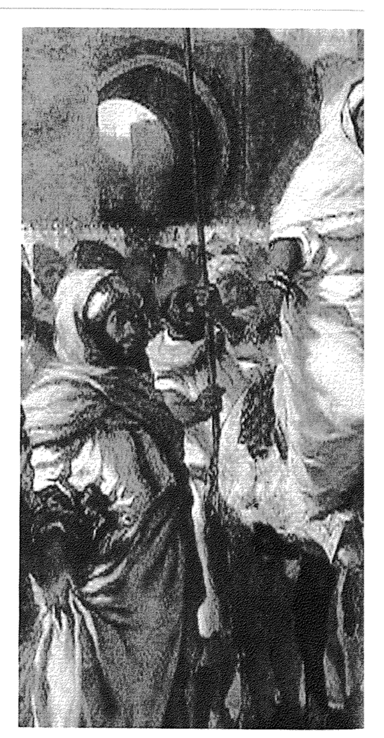
***

ونصل إلى العصر الحاضر والأوضاع الراهنة، الغربيون تغير مفهومهم للبطولة، دون أن ينكروا أن للفروسية (بسماتها الثلاث) من الناحية التاريخية أهميتها، فهي المفتاح لفهم تصرفات كثيرة في التاريخ الأوروبي بين القرنين الحادي عشر والسادس عشر، ثم إن الفضائل الثلاث تظل معتبرة على المستوى الفردي والمستوى الجماعي دون أن تكون بطولة أو تفوقًا مطلقًا، فالقوة المقرونة بالعنف حكمًا ما عادت فضيلة إلا في مجال الدفاع عن النفس أو عن الوطن. وهذا تغير كبير لأن أهم سمات البطولة التفرد. وأكبر تحول عن هذا المفهوم خروج تشرشل وديغول من السلطة بعد انتهاء الحرب الثانية مباشرة رغم بطولتهما، ثم شيوع «البطل السلبي» في الروايات، وفي السير الشخصية، فالروايات تذكر وجوه ضعف «البطل» الذي لا يعود بطلاً إلا بالاسم، كما أن السير الشخصية أو الذاتية هي ضد البطولة بمعناها القديم، وربما كانت النازية والفاشية والسوفيتية، كل ذلك وراء تراجع هذا النمط الكلاسيكي ثم اختفائه لتغير البراديغمات كما يقال. فحتى الحكام المتفردون يحبون أن يقال عنهم إنهم ديمقراطيون، وأنهم يمثلون الإرادة الجماعية للشعب، بل إنه إنما يستوحي الشعب في كل ما يقوم به، بالإضافة طبعًا إلى التطورات داخل العلوم الاجتماعية والتاريخية، بيد أن هذا كله لا ينفي وجود أبطال في الغرب، لكن لبعض الشيع أو الفرق مثل جيري فالويل مثلاً لفئة واسعة من الإنجيليين (علمًا بأن هناك ملايين يعتبرونه شرلطانًا!).

فإذا وصلنا أخيرًا وبعد هذا الاستطراد الممل بعض الشيء إلى العروبة المعاصرة، نجد أن العرب يشكلون حالة فريدة. فالبطولة بسماتها الكلاسيكية الثلاث حاضرة لدى الجمهور ولدى المثقفين على حد سواء.



وربما كانت علة ذلك لدى المثقفين أن بداية المسألة عندهم كانت عندما عرّفهم العقاد في عشرينيات القرن العشرين بكتاب توماس كارلايل «الأبطال وعبادة البطولة»، ثم تابع النسج على منواله في «العبقريات» طوال الأربعين عامًا التالية. والطريف في عبقريات العقاد قصة «المفتاح»، وليس سمات البطولة. إذ هي تقريبًا ما سبق أن ذكرناه، إنما تتفوق إحدى الصفات الثلاث أو الخلائق الثلاث، والمفسر للشخصية البطولية الاهتداء إلى السمة الأبرز لدى العظماء، أو المفتاح، والأمر الآخر بعد المفتاح أو اكتشافه اكتشاف



«الاتساق» إذا صح التعبير. هذه الشرعنة الثقافية، والتي لم تعد كذلك في بريطانيا موطن المؤلف، ما اقتصرت على الشخصيات التاريخية، بل ألمح العقاد إلى انطباقها على سعد زغلول، وإمكان انطباقها على آخرين معاصرين.

وإذا أمكن تعليل انشداه المثقفين (المصريين على الخصوص) بالبطولة الفردية بانصراف العقاد وآخرين لتقليد نموذج معين في مجال السير التاريخية أو المعاصرة (ويبقى ذلك جزئيًا طبعًا) فالأمر لدى الجمهور العربي مختلف. وربما هدانا إلى أسباب اشتياق الجمهور الشديد لصلاح الدين، ما شهدناه ونشهده في لبنان وفلسطين في سياق مقاومة العدو الصهيوني، إذ البطل لدى الجمهور، كما يبدو من الصور على الجدران، وفي الساحات العامة، وفي المسيرات إنما هو الشهيد. البطل العربي الكلاسيكي قد تتوج إنجازاته الطويلة بالشهادة (ألم ييأس خالد بن الوليد لأنه مات على فراشه)، أما الشهيد العربي المعاصر فتتمثل بطولته في الشهادة، والشهادة من جهة شجاعة خارقة لكنها من جانب آخر اضطرار، وهي أيضًا المعادل الإيجابي (إذا صح التعبير) للانتصار (ألم يكونوا يقولون: النصر أو الشهادة).

فهنا ترتبط البطولة ليس بالإنجاز (لا وقت له، فالشهداء غالبًا فتيان)، بل بمواجهة الموت بشجاعة، باعتبار ذلك واجبًا دينيًا أو وطنيًا، وهكذا فالشهادة تعويض عن الإنجاز وعن الانتصار، بل إنها أيضًا إشارة إلى فشل الدولة أو النظام أو الأمة، مما اضطر الفتى اليافع إلى تحمل مسؤولية الموت. ولهذا وإن لم يكن للشهادة معنى ديني أو إسلامي، لكنها لا ترتبط في الأوضاع الحالية بأي من المعاني الثلاثة الكلاسيكية، إلا على سبيل الرمز وصيرورة الأمر على هذا النحو علته الفشل العربي في الإنجاز في مجال الدولة أو التحرير أو الوحدة أو التنمية، وهو ما أفضى إلى اعتبار الماضي الماجد حقيقًا بالاقتداء في كل شيء، لكن لأن التقليد غير ممكن لاختلاف الظروف، فإن الشهادة أتت شهادة احتجاجية من جانب الفتيان والفتيات على الأوضاع والنظم والمؤسسات والقيادات. فليس التقدم التكنولوجي في الغرب أو التغير الاجتماعي هو الذي ألغى البطولة، بل النجاح والإنجاز، واتساع إمكان النجاح والإنجاز. ولأن العجز أو الفشل عندنا ليس قياديًا وحسب، بل هو في وعي الجمهور شامل عاد التقديس لفكرة البطل الفرد، الذي لا يتصور إلا ميتًا، ذلك أن الحي مهزوم وبالتالي ليس بطلاً أو لا يمكن أن يكون بطلاً، وأكاد أجزم أن بطولة عبدالناصر كانت لتكتمل لو أن أحدًا قتله، كما أكاد أجزم أن انتصارًا واحدًا حقيقيًا كفيل بتغيير المفهوم الفرداني للبطل، فالإقبال على الإنجاز عند ثبوت إمكانه، أكثر جماهيرية بكثير من الإقبال على الموت، أما إن بقيت الأوضاع على ما هي عليه، فأجزم أن الشهداء سيتكاثرون، كما أن الأبطال الفردانيين ستظل صورهم تغطي الساحات. ■

البطل المنتظر:



محمد جابر الأنصاري*
البحرين

عندما يشتد اليأس وتفسد السبل، وتفقد الجماعة ثقتها في مقدرتها الجماعية على التحكم في أمورها وإنقاذ نفسها مما تعانيه، تبدأ في انتظار المنقذ المخلص، أو البطل المنتظر، أو سمه ما شئت من هذه الأسماء العتيدة التي تحرك أخيلة البسطاء والدهماء من الناس في غمرة يأسهم من عدالة التاريخ...

تحدث الشيخ الإصلاحي محمد عبده عن «المستبد العادل» - على ما بين الصفتين من تناقض بين استبداد وعدل - الذي «سيفعل لنا في سنين ما لم نستطع أن نفعله لأنفسنا في قرون».

نظريًا كان محمد عبده في انتظار «المستبد العادل» ولكن تاريخيًا عندما وقف أمام تجربة محمد علي في مصر قال إنه «أمات أكثر مما أحيا» فأي مستبد عادل كان يعني؟

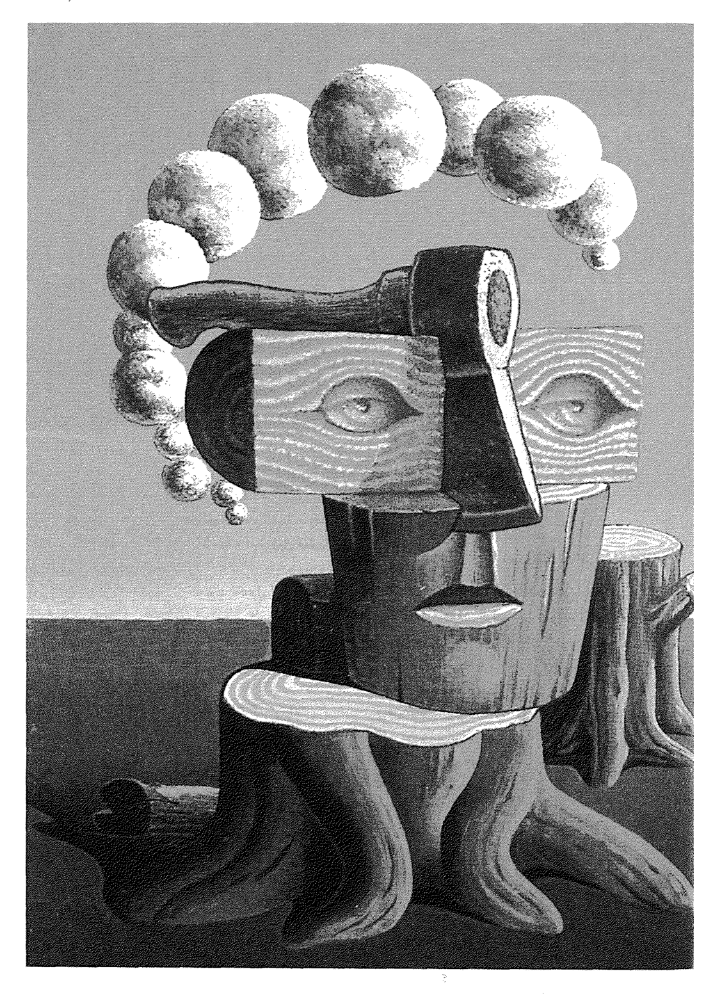
مع إحياء النزعة الفاشية البطولية في إيطاليا ثم في ألمانيا - التي كانت تمر بأجواء توتر وإحباط بعد هزيمتها الأولى عام ١٩١٨م - أصاخ الفكر العربي مرة أخرى إلى أصداء تمجيد الزعيم المنتظر في القارة الأوروبية.

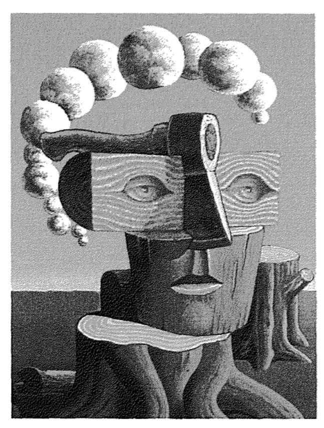
وفي عام ١٩٤٠م كان الأديب أحمد حسن الزيات، رئيس تحرير الرسالة، منبر النخبة العربية، يكتب بصريح العبارة:

«اللهم إنا نسألك الراعي الذي يطرد الذئب.. والدليل الذي يحمل المصباح، والقائد الذي يرفع العلم.. وكل أولئك يا رباه يجمعهم رجل واحد، هو أشبه الناس بالمهدي المنتظر، والإمام المرتقب، والمسيح الموعود» وحي الرسالة، فصل ٢، ص١٨٧.

---

* مفكر بحريني.





ولم يكن المفكر عباس محمود العقاد، صاحب العبقريات بمسحتها البطولية الفردية، بأقل حماسة «للتبشير بنزعة البطل السوبرمان، الخارج من بين سطور (هكذا تحدث زرادشت) لنيتشه، الفيلسوف الألماني الذي أُتهم، حقًا أو باطلاً، بأنه المسؤول فكريًا عن ظهور النازية و«بطلها» هتلر.

ولكن المفارقة اللافتة أن العقاد تحول إلى صمت مطبق عندما ظهر عبدالناصر بطلاً على الساحة المصرية والعربية، فلم ينبس ببنت شفة!

لربما رأى فيه ما رآه شيخه محمد عبده في محمد علي الكبير!

(لمزيد من التوسع، يراجع كتابنا: الفكر العربي وصراع الأضداد).

أما في كتاب (المهدي والمهدوية) لأحمد أمين، صاحب فجر الإسلام، فيقارب مؤرخ النهضة العقلاني ظاهرة المهدي، ويقلبها تقليبًا أقرب إلى عدم الاطمئنان، وهو يطل حينذاك على الشارع المصري المنفعل انفعالاً شديدًا باغتيال حسن البنا، زعيم الإخوان المسلمين عام ١٩٤٩م الذي كاد يتحول في حينه، قبل اغتياله وبعده، منقذًا مخلصًا في الواقع ثم في المثال والخيال، وما زال يلهم أجيالاً من بعده على امتداد الأرض العربية... للقيام بدور المنقذ المخلص حقيقة أو توهمًا..

أما عبدالله القصيمي في كتابه (العالم ليس عقلاً ١٩٦٣م) فقد تحدث عن ظاهرة البطل الفرد والحاكم المطلق بقوله: «تحدث الزلازل والبراكين والأحداث الكونية الصعبة أكثر مما يحدث وجوده. محصول البشر منه نادر جدًا، ولكنه باهظ جدًا، يوجد في ظروف متطورة ولكنها غير متكاملة ولا مستقرة.. ظروف مرارة وألم وحيرة.. (وهو) لا يريد بمغامراته أن يحقق أهدافًا معينة، وإنما يريد أن يصنع أحداثًا مثيرة، فهو حدث لا فكرة» (راجع كتابنا: مسألة الهزيمة) على هذا النحو من الإشادة، أو التشكك، أو التحذير تفاوتت مواقف المفكرين العرب والمسلمين من هذه الظاهرة الفردانية المحيرة..

إلا أن شاعرًا عربيًا قديمًا، لا يقل قامة عن أكثر فلاسفة التنوير والنهضة في العصر الحديث، نقض هذه الفكرة، بالصوت الرفيع، قبل أكثر من ألف سنة.

قال أبو العلاء المعري رهين المحبسين:

يرتجي الناس أن يقوم إمام
ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا إمام سوى العقل
مشيرًا في صبحه والمساء
إنما هذه المذاهب أسباب
لجذب الدنيا إلى الرؤساء!

هكذا من عمق التراث العربي، بلا تردد، بلا استحياء، وبلا رهبة: «كذب الظن لا إمام سوى العقل»! وقبل أكثر من ألف سنة.. كم كان الكفيف الضرير أبو العلاء، حديد النظر، قوي البصر، وكم كان ذلك الرهين طليقًا.. من أي قيد..

وأين أنصار التراث، من هذه الروح الحية في التراث.. من هذه النار الحية في التراث..؟

هل يمكن أن تخضع أمة لسطوة أي فرد أو دكتاتور، أو مغامر إذا رددت مع أبي العلاء منذ نشأتها:

«كذب الظن لا إمام سوى العقل!»؟

العقلانية؟ من عبر عنها بأقوى من هذا الحسم الفكري؟! بين «فعل البطل في التاريخ» و«فعل العقل في التاريخ» تنقسم مجتمعات بعضها يقتات حكايا «أبي زيد الهلالي..» وبعضها الآخر يقرر للعالم مصائره «بفعل العقل في التاريخ».. وكذب الظن..!! ■


مُتعة في يدك
نادك
nadec





أكبر حزب في العالم العربي.. ينتظر البطل

اللامبالون

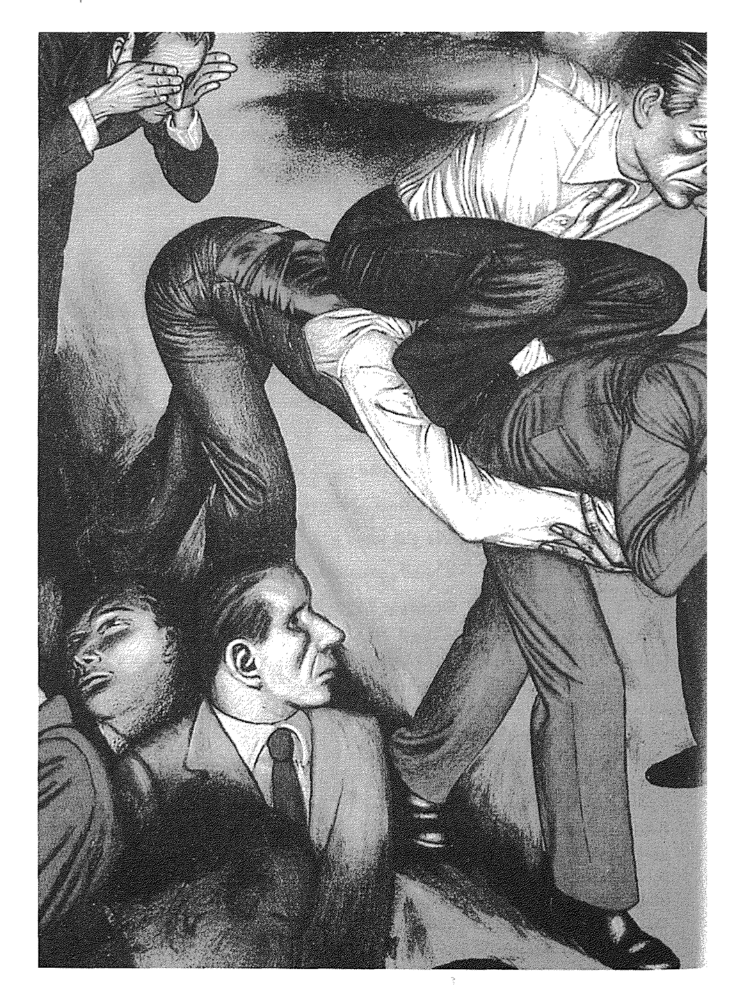
عبد الله علي الزلب *
صنعاء

اللامبالاة من وجهة نظر سوسيولوجية، هي ممارسة التدخل السلبي عن طريق الإمساك عن الفعل.

فالإنسان اللامبالي يرى مصيره ومصير الآخرين تنسجه بعض الأصابع في الظلام أوتحت الشمس، وهو مرتاح لتساوي كل البدائل والنتائج في ذهنه.. ومن ثم فإنه يستسلم، لما يظن أنه قدر الناس والمجتمع.. فهو عندما ينظر لما يجري من خلال نافذة منزله يتوهم أنه لا دخل له فيما يجري. ومع ذلك فإن اللامبالاة تؤدي دورًا في توجيه التاريخ وتحديد مصير المجتمعات. ورغم أن التاريخ المكتوب لم يسجل عدم اكتراث الناس، ولكن الذين لم يشاركوا في أحداث التاريخ ظاهرًا تسببوا في إنهاء دول وسقوط حضارات. لقد تركوها تنهار على الأقل دون أن يتدخلوا لإنقاذها وتسببوا أيضًا في صعود ذوي التسلط إلى السلطة وفي تواصل الظلم والقهر، فكان صمتهم وإمساكهم عن الفعل أو رد الفعل مبايعة لأولئك المتسلطين، وهو رأسمال رمزي قابل للاستثمار والتأويل في كل اتجاه ومصلحة.

---

* استاذ بجامعة صنعاء



إذًا، يمكن اعتبار اللامبالاة فعلاً اجتماعيًا يؤثر بصفة غير مباشرة في تغيير اتجاه الأحداث، وهي ومن ثم ظاهرة متحركة ومتغيرة خلافًا لما قد يتبادر إلى ذهن البعض. والتاريخ العربي الحديث والمعاصر غني بالأمثلة، وهذا التاريخ هو من صنع اللامبالين أكثر مما هو من صنع الفاعلين فيه بالفكر والعمل، فالإنجازات ليست نتيجة العمل وحده وإنما نتيجة اللاعمل أيضًا. وعندما يمسك المرء عن تصريف إرادته بأي شكل من الأشكال فإنه يؤثر في الواقع، مثلما يؤثر في نتائج التصويت من يمسك عن التصويت في الانتخابات.

إن ظاهرة اللامبالاة في واقعنا العربي اليوم أصبحت، في آن واحد، مظهرًا ماديًا ورمزيًا من مظاهر التمايز الثقافي التي تطبع سلوكنا والكثير من مظاهر حياتنا اليومية وعلاقتنا مع الآخر وما يدور حولنا من أحداث.. لقد استبطن العربي هذا السلوك وركن إلى غيره في الفعل وصناعة الأحداث والتدخل فيها، فهو منذ الحروب الصليبية ينتظر الآخر - البطل المخلص الذي سيغير التاريخ باسمه ونيابة عنه وهو جالس أمام شاشات التلفزيون يتفرج بسلبية مفرطة على ما يحدث بجواره..

بالأمس القريب كان لدينا مثال صارخ في حرب الخليج الثانية عندما بدأ رئيس دولة عربية في دغدغة مشاعر العرب والمسلمين بالخطاب الديني والدعوة للجهاد من أجل القدس وتحرير فلسطين وتوجيه صواريخ الحسين نحو أهداف إسرائيلية في تل أبيب.. حيث بدأ الشارع العربي يرسم له صورة الآخر - البطل المنتظر - وبدا وكأنه هو الذي ذكرنا بأن ثالث الحرمين الشريفين والأراضي الفلسطينية تعاني الاحتلال الصهيوني منذ زمن وكنا في غفلة عن ذلك لولا خطاباته الإعلامية وصواريخه «الحسينية»، وأن المجتمع العربي كان ينتظر المبادرة من قبل المخلص البطل ليستفيق من الغيبوبة ويتخلى عن اللامبالاة التي طبعت سلوك غالبية أفراده طوال أكثر من خمسين عامًا.

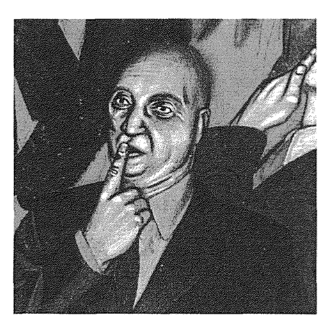
ولدينا اليوم في ما حدث ويحدث إثر الهجوم على برجي مركز التجارة العالمي والبنتاغون في الولايات المتحدة مثال حاضر وجلي لسيادة ظاهرة اللامبالاة في المجتمع العربي بالخصوص والمجتمعات الإسلامية بشكل عام.. فالحدث أذهل الجميع وتركهم مشدوهين للحظات بين اليقين والشك، بين الواقع والخيال. وبعيد الحدث بلحظات تسمرالجميع أمام شاشات التليفزيون لمتابعة ما يجري من مستجدات وشهدنا الحملة الإعلامية الشرسة ضد المسلمين والعرب، حتى قبل أن تتأكد وكالات المخابرات الأمريكية وأجهزة الأمن من هوية مرتكبي الهجوم، وبدأت التصريحات تشير إلى تورط أسامة بن لادن وجماعته والعراق ونظام الحكم فيه.. ولم يطل الانتظار هذه المرة فبعد أيام معدودة وقف العرب مشدوهين مرة أخرى وربما في هذه المرة معجبين بخطاب البطل المنتظر «أسامة بن لادن الذي ظهر عبر قناة الجزيرة» يوجههم ويرشدهم إلى طريق الخلاص مما هم فيه من محن ومصائب.. وفي اليوم الموالي تحول الرجل إلى بطل أسطوري قادر على القيام بالمعجزات ووحده من بيده خلاص هذه الأمة.. فنسجت حوله القصص البطولية وأصبح في يوم وليلة صلاح الدين الأيوبي وخالد بن الوليد وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من الشخصيات التاريخية التي ساهمت في صنع التاريخ الإسلامي..

«« ويلاحظ أن الشخصية العربية خاصة بدأت «تتنمذج» شيئًا فشيئًا في اتجاه عدم الاكتراث بما يجري حولها وأصبح نموذج المواطن الصالح في بلادنا العربية هو ذلك الكائن الاجتماعي الذي لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم.»»

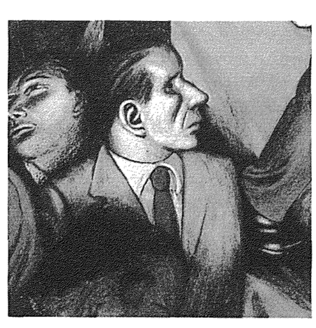
وبقينا كالأسرى أمام شاشات التلفزيون وقناة الجزيرة نتابع وننتظر ظهور مخلصنا البطل مرة أخرى ليملي علينا ويوجهنا إلى طريق الصواب الذي لا يعرفه سواه. وعندما يظهر نظل مبهورين بالخطاب والكلمات فرحين ببطلنا الذي يدير المعارك الإعلامية ويجاهد نيابة عن الجميع، فنحن لم يعد لدينا الوقت للتفكير واتخاذ

القرار والفعل، فلا نحرك ساكنًا، سواء معه أو ضده. ونكتفي بالتعاطف مع هذا الخطاب أو الضيق منه في غرف نومنا..

إن «حزب» اللامبالين أو الأغلبية الصامتة، هو الحزب المسيطر على الساحة الاجتماعية في جل الدول العربية والإسلامية إن لم نقل جميعها، فلقد أصيب أبناء هذه الأمة ببلادة الإرادة وأصبحوا ينظرون إلى ما حولهم وكأنه يحدث في كوكب آخر ولا يعنيهم. وهناك مئات الأمثلة والمشاهد اليومية الشاهدة على إمساك الأفراد والجماعات من التدخل فيما كان يجب أن يتدخلوا فيه، وكأن ما يجري أمامهم يدور فوق خشبة مسرح ولا يمس حاضر حياتهم ومستقبل أطفالهم. فأصبح من الطبيعي أن يمر المرء بإنسان ملقى على الأرض دون أن يكلف نفسه بالتوقف لمساعدته أو حتى لمجرد معرفة حالته. ويرى المرء الكثير من الأشخاص العابثين بممتلكات مؤسسات الدولة دون أن يحاول كف هذا العبث وكأن تلك الممتلكات ملكًا لرؤساء هذه المؤسسات وعائلاتهم وليست ملكًا لجميع أفراد هذا المجتمع. وعلى المستوى المجتمعي والسياسي تحدث تحولات خطيرة ومصيرية دون أن يحرك أحد ساكنًا للاستفسار أو الإثراء أو الاعتراض إن كان ذلك في غير مصلحة المجتمع والبلاد أو كان منافيًا للدين والأخلاق. ويلاحظ أن الشخصية العربية خاصة بدأت «تتنمذج» شيئًا فشيئًا في اتجاه عدم الاكتراث بما يجري حولها وأصبح نموذج المواطن الصالح في بلادنا العربية هو ذلك الكائن الاجتماعي الذي لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم. ونجد في نهاية الأمر أن اللامبالين يشكلون أغلبية مطلقة في المجتمع ويتركون الأقلية تتخذ القرارات وتسير الأمور كيفما تشاء وبما يتلاءم مع مصالحها كأقلية أو كأفراد.







هوس السياسة واللافعل السياسي

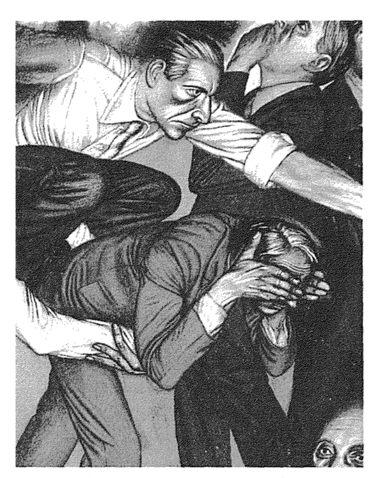
أما في المجال السياسي فنجد أن هناك صنفين من المتسيسين في البلاد العربية، الأول يفهم السياسة على أنها فن الكذب والنفاق ومبدؤها «الغاية تبرر الوسيلة»... والثاني يحلو له الخوض في السياسة ويتحمس لها نظريًا فقط لكنه يمسك عن المشاركة الفاعلة والبناءة فيها، فغالبًا ما تكون السياسة محور أحاديث مجالس المثقفين والسمر وغيرها من الفضاءات الاجتماعية، لكنها لا تجد طريقها إلى الممارسة الفعلية الإيجابية. فالإنسان العربي بقدر ما تتملكه السياسة إلاّ

أنه ضعيف التدخل سياسيًا ويمكن اعتباره طاقة سياسية مهدرة.

إن أسباب سيادة ظاهرة اللامبالاة متعددة منها ما هو تاريخي قديم، ومنها ما هو اجتماعي ـ نفسي، ومنها ما هو سياسي ـ اقتصادي مستحدث. وأهم تلك الأسباب، كما نرى، الشعور بالإحباط واليأس بعد الأحداث التاريخية الكبرى التي عبر فيها العربي عن عمق انتمائه لهذه الأرض ولدينه ولعروبته وقوة نضاله وإيمانه بضرورة التغيير وثورته ضد الظلم. ولكنه أصيب بالعديد من خيبات الأمل والنكسات، سواء من جراء الحروب الأهلية في بعض الدول أو سيادة ثقافة الفساد في البعض الآخر أو بسبب التدخلات الدولية وأطماع الدول الكبرى أو الأحلام الوردية التي رسمتها الأيديولوجيات القومية والكونية.

فالعربي بعد كل شيء وجد نفسه أمام واقع اجتماعي مختلف وواقع سياسي واقتصادي يزداد تعقيداً مع مرور الزمن. وهناك حدثان مهمان عمقا روح الإحباط ورسخا اللامبالاة في نفسية العربي وسلوكه، الحدث الأول عربي ـ دولي تمثل في حرب الخليج الثانية، والثاني أمريكي ـ دولي تمثل في أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م. فقد شكلت حرب الخليج أعظم الأحداث التاريخية التي هزت كيان الإنسان العربي، دفع ولا يزال يدفع إلى يوم الناس هذا ثمنها باختلاف مواقفه ومواقف حكومته منها من قوته وآماله وطموحاته. وفي أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م وجد العربي أن كيانه مهدد ورأى أحلامه في التحرر الحقيقي من الهيمنة والتقدم والنماء والازدهار لم تتحقق، فالخطاب السياسي يختلف عن الممارسة في الواقع. ومن هنا بدأ اليأس والإحباط يتراكم في نفسية الفرد وتحول حماس البناء إلى نوع من قدرية المصير وأصبح الفرد لا يرى أي جدوى لرأيه ولروح البذل فيه.

ومن هنا فإن استسلامنا لمجريات الأحداث التي يصنعها الآخر وعدم الاكتراث بها بأي حجة كانت وكأن الأمر لا يعنينا، يعد مساهمة غير مباشرة في صناعة الحدث وفي نتيجته وتوجيه دفة التاريخ نحو وجهة معينة دون الأخرى.. فيبدو للبعض أن عدم مشاركته وعدم اكتراثه مسألة شخصية غير مؤثرة، لكن تجارب الشعوب الأخرى أثبتت أن المواقف اللامبالية إزاء الأحداث العامة والكبرى تؤثر على الآخرين وتساهم في

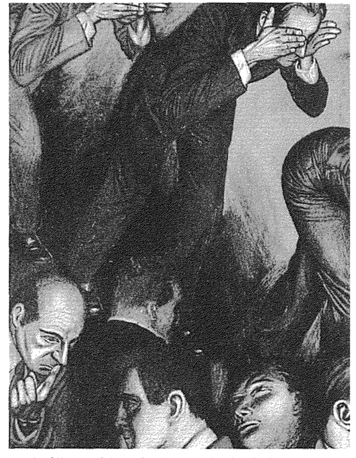


تغيير اتجاه الأحداث. ومن هنا نجد أن اللامبالاة ليست شأنًا فرديًا خاصًا وليست فعلاً يكتسب بالفطرة، لأن لامبالاة الفرد ليست في علاقته بذاته وإنما في علاقة أنانيته بالآخر. وقد يفسر البعض هذا الطرح على أنه يتعارض مع الإيمان بالقضاء والقدر، ومن ثم خروج على العقيدة. ولكن عقيدتنا الإسلامية السمحة عقيدة فعل، حررت البشرية وبنت حضارة عظيمة، والعقائد بشكل عام مهما كان مصدرها ومضمونها غالبًا ما تكون مصدر التغيير والحركة. فالذي لا يؤمن فلا يتحرك هو الذي ليست له قناعات قوية قادرة على تحفيزه على العمل والتضحية من أجلها.

لقد استبطن المثقف العربي، نفسه، هذه الرؤية وبات يرسم مجتمعًا يتناسب مع مصالحه ويحتفظ له بالسلطة لأطول مدة ممكنة، حيث وجد نفسه أمام رأي واحد لا يحتاج إلى مبايعته لاكتساب الشرعية. ودخل المثقف دوامة الحياة والظروف المعيشية الصعبة، وأصبح مجرد موظف في مؤسسات الدولة وجهاز إرسال آلي يمارس الكتابة من الأبراج العاجية.

الإعلام العربي: الدور الفاعل في تكريس اللامبالاة

تمثل وسائل الإعلام في حاضرنا عنصرًا مؤثرًا



في حياة الدول والمجتمعات كونها المروج الأساسي للفكر والثقافة إلى جانب الأسرة والمؤسسات التعليمية المختلفة، بل إنها في كثير من دول العالم أحد منتجي الثقافة عن طريق التفاعل والتأثير الإنساني المتبادل. وفي السنوات الأخيرة اكتسبت وسائل الإعلام أبعادًا جديدة زادت من قوة تأثيرها على الأفراد والجماعات. فقد أتاحت الوسائط المقروءة والمرئية والمسموعة لكل الشعوب إمكانية معايشة الأحداث في أي بقعة من العالم لحظة بلحظة وكانت في بعض الأوقات توجه هذه الأحداث، إذا لم تكن مساهمة في صناعتها عبر الحملات الدعائية المدروسة علميًا والمنظمة عمليًا.

ورغم التطورات الثورية في تكنولوجيا الإعلام يبدو المشهد الإعلامي بائسًا في العالم العربي والإسلامي، وخير دليل ما حدث وما زال يحدث منذ يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١م من حملات إعلامية منظمة تستهدف الإسلام والثقافة العربية بشكل مباشر وغير مباشر في وسائل الإعلام الغربية بشكل عام والأمريكية بالخصوص، دون أن نلمس أي تحرك أو فعل حقيقي لمواجهة هذه الحملات.

صحيح أن هناك، على المستوى الظاهر، تطورًا كميًا في وسائل الإعلام المختلفة إلا أن الخطاب الإعلامي العربي ظل سطحيًا ومشوشًا وفارغًا من المضمون الفاعل والمؤثر في بعض الأحيان ومتناقضًا مع نفسه وواقعه الاجتماعي والسياسي والثقافي في أحيان كثيرة. فوسائل الإعلام العربية لم تتبن موضوعها في ظل ما يمكن تسميته بإرهاب الإعلام الغربي وكرست ظاهرة اللامبالاة السائدة في المجتمع العربي حيث فشلت في أن تكون وسيطًا فاعلاً باعتبارها صاحبة الموضوع والمستهدفة، كما فشلت في أن تكون منتجة للموضوع باستثناء بعض النماذج القليلة والتي لا يقاس عليها...

وهذا الأمر لا يدعو للاستغراب لأن «الشيء من مأتاه لا يستغرب»، حيث يسود مؤسسات الإعلام العربي العمل العشوائي والأنانية المفرطة والنفاق في الوقت الذي يغيب فيه العمل الإعلامي العربي المشترك، وتغيب فيه الأهداف الواضحة والشفافية والتخطيط وتحمل المسؤولية.

إن أغلب مؤسسات الإعلام العربية تنتفي فيها صفتا المأسسة والإعلام، فهي إما مجرد «دكاكين» لبيع الورق والوهم وإما مراكز لإثارة الفتنة وإما مؤسسات تعتمد على شخص بذاته تعمل وتعيش في حياته، تقوى بقوته وتضعف بضعفه وعندما يغادر الدنيا تغادر بصحبته.

إن ما حدث في نيويورك وواشنطن وأفغانستان وما زال يحدث يؤكد أن الصراع الدائر في العالم في الوقت الحاضر هو صراع هويات وثقافات ومن ثم فإننا لا يمكن أن نحمي هويتنا الإسلامية والعربية بالأمنيات والأحلام وإنما بالمبادرة إلى الفعل والإسهام الفعال في صناعة الأحداث والتاريخ وبوجود مؤسسات إعلامية حديثة وفاعلة قادرة على مواجهة التحديات التي تفرضها ثقافة العولمة.

لقد تفشت ظاهرة اللامبالاة في أوساط المجتمعات العربية والإسلامية في السنوات الأخيرة بصورة تثير الكثير من التساؤل حول مستقبل الدول العربية والإسلامية ومجتمعاتها.. وتدعو إلى ضرورة دراسة المسألة بجدية والبحث في خلفياتها وأسبابها الاجتماعية والسياسية والنفسية واقتراح المعالجات. ■

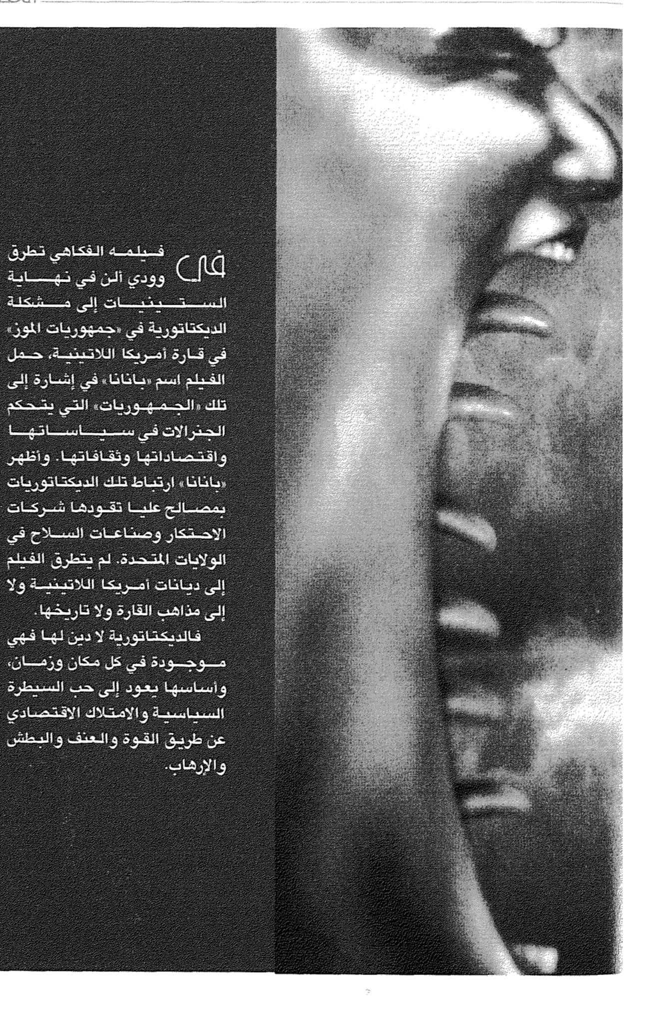


حل مكانه «المؤسسات المنتظرة»

انتهى عصر البطل المنتظر

وليد نويهض*
لبنان

*كاتب لبناني.



في فيلمه الفكاهي تطرق وودي آلن في نهاية الستينيات إلى مشكلة الديكتاتورية في «جمهوريات الموز» في قارة أمريكا اللاتينية، حمل الفيلم اسم «بانانا» في إشارة إلى تلك «الجمهوريات» التي يتحكم الجنرالات في سياساتها واقتصاداتها وثقافاتها. وأظهر «بانانا» ارتباط تلك الديكتاتوريات بمصالح عليا تقودها شركات الاحتكار وصناعات السلاح في الولايات المتحدة. لم يتطرق الفيلم إلى ديانات أمريكا اللاتينية ولا إلى مذاهب القارة ولا تاريخها.

فالديكتاتورية لا دين لها فهي موجودة في كل مكان وزمان، وأساسها يعود إلى حب السيطرة السياسية والامتلاك الاقتصادي عن طريق القوة والعنف والبطش والإرهاب.

أهم ما في «بانانا» لقطة تشير إلى سطوة الديكتاتور حتى بعد تعرضه لحادث تفجير أودى بحياته ولم يبق منه سوى «أنفه».

اللقطة المضحكة أن جنرالات الديكتاتور اجتمعوا مع علماء بيولوجيا وعرضوا عليهم إعادة إنتاج الديكتاتور (استنساخه) من خلايا أنفه. لم تكن فكرة الاستنساخ معروفة آنذاك. والفكرة لم تكن علمية بقدر ما كانت رمزية تشير إلى احتكار الجنرالات السياسة من خلال «ديكتاتورهم» حتى لو انقرض ولم يتبق منه سوى «أنفه».

فكرة الاستنساخ (التخليق كما عرف في تراثنا) لم تعد الآن تثير السخرية فهي أصبحت حقيقة علمية بعد أن نجح العلماء في استنساخ النعجة «دولي» وغيرها من حيوانات.

المخيف من الفكرة الآن ليس جانبها العلمي بل وجهها الإنساني حين يفكر «الديكتاتور» في إعادة إنتاج نفسه أو حين يخطط الجنرالات إلى استنساخ ديكتاتورهم ليحكموا به ومن خلاله السيطرة على السياسة والاقتصاد والثقافة.

فيلم «بانانا» يلخص المعضلة في شقيها العلمي (استنساخ الخلايا) والسياسي (إعادة إنتاج الديكتاتور)، وهما المضحك ـ المبكي في حياة الإنسان ومماته. و«بانانا» الذي تحدث مصادفة عن «تخليق» الديكتاتور للتندر على جنرالات أمريكا اللاتينية «جمهوريات الموز» بات من الممكن الآن علميًا إعادة إنتاج «البطل» وتصنيعه، أي تحويل الفكاهة إلى مأساة.

إلى أي مدى يمكن ربط مسألة «التخليق» أو الاستنساخ العلمي بفكرة خلقت واستنسخت بشريًا منذ قدم الزمن وارتبطت دائمًا بالمنقذ.. أو «البطل المنتظر».

استنساخ الذاكرة

من هو «البطل المنتظر»؟ قديمًا كانت الصفات أقرب إلى الخيال، فالمخيلة أدت دورًا في رسم «الصورة» رافعة «البطل» إلى درجة ما فوق البشر. فمن خصائص «البطل» أنه يتمتع بميزات لا يصلها أي إنسان، وإلا ما فائدة «الانتظار» لشخص لا يملك القدرة على صنع «المعجزات» و«الخوارق»؟ فقيمة «البطل» تتأتى من خصوصية لا شبيه لها تؤسس الرغبة في «تخليق» صورة لا مثيل لها تستحق التضحية في سبيل «بعثها» وتقليص فترة الانتظار.

إلا أن المخيلة لم تستند إلى حاضرها لصنع صورة «البطل المنتظر» فالحاضر هو الغائب الدائم بينما الماضي يحضر بقوة. فهو أساسًا مصدر الوقائع المجسمة التي اجتمعت مرة في شخص ما وغاب عنا عقابًا ليعود إلينا منقذًا. فالبطل المنتظر في المخيلة (والروايات الشفوية الموروثة والمتداولة) هو الماضي والمستقبل بينما الحاضر هو العقاب الذي لابد من دفعه فداء له ليظهر مجددًا لتخليص الناس من واقعهم البائس، فالخلاص من الحاضر مقدمة ضرورية لظهور المستقبل. وشرط الخلاص هو طرد الحاضر.

هذه «الصورة» موجودة في مختلف الأساطير وفي معظم روايات الأمم. فالأمة دون مخيلة هي عادة أمة غير قادرة على البقاء. والأمة التي لا تقوى على اختراع بطلها تكون عاجزة عن صنع مستقبلها فتفقد بعد فترة صعود رغبتها في التجديد والاستمرار.

فالبطل «المنتظر» شخص «أسطوري» في ملحمة مروية، وهو حلم الماضي وأمل المستقبل ولا وجود له في الحاضر. فالحاضر عادة يقتل البطل ولكنه لا يقتل الحلم به. فالانتظار هو أمل في المستقبل، وشرط حضور «البطل المنتظر» هو غيابه الدائم عن الحاضر على أمل ظهوره مستقبلاً.

تتكرر صورة «البطل المنتظر» بأسماء وألقاب وشخصيات في أكثر من واقع ومثال، فنجدها في طبعات مختلفة في الملاحم اليونانية والأساطير السومرية والقصص الفرعونية. ونجد ما يقابلها في الأدب والشعر والرسم وحتى العمارة. فالقدرة على التخيل هي صفة عقلية وهي الآن سمة إنسانية تستعير صفات فارقة ومواصفات متفرقة لتعيد تجميعها وتركيزها في شخص وجد ماضيًا ولابد من عودته مستقبلاً.

هذه الصفات المشخصنة في تمثال «أصنام» تم تهذيبها مع الوقت وتحولت إلى مثال يطلق أحيانًا على الزمن وأحيانًا يعاد إنتاجها لترسيم حدود مواصفات تناسب فترة محددة.

كل هذه المخيلات الملحمية (الأسطورية) أعيد إسقاطها في العصر الحديث على مدارس فلسفية في



لحظة نهوض أوروبا وخروجها من الظلمة إلى النور في فترة الاكتشافات الجغرافية الكبرى.

ومنذ نهايات القرن الخامس عشر تحورت تلك الصفات والمواصفات وتم تركيبها حسيًا على «العقل» تارة و«الدولة» طورًا. ففي تلك الفترة انتزع «العقل» من «البطل» قدراته وخوارقه ونجحت «الدولة» في كسب صفات «المنتظر» ولعب دوره المفترض. فالعقل في المدارس الحديثة هو «الكلي» والقدرة والدولة هي «المتوقع» الدائم التي تخترع الحلول وتبتكرها خدمة للإنسان.

إلا أن الفلسفة الأوروبية عجزت عن كسر الأسطورة، فالأخيرة تراجع دورها قياسًا بزمن مضى ولكنها نجحت في «تخليق» أسباب الاستمرار استنادًا إلى بؤس الواقع. وكانت النتيجة الواقعية لذلك الجدل هي هزيمة «البطل» تاريخيًا واستمرار «الانتظار» في المخيلة الشعبية.

عشية الفجر الحديث حدد ابن خلدون في «مقدمته» الشروط الموضوعية التي تصنع صفات الداعية (القائد) مضافة إلى مجموعة مواصفات شخصية سبقه إليها الجاحظ في كتابه «التاج».

اشترط ابن خلدون «العصبية» كعنصر ضروري (وطبيعي) فالعصبية قوة ترهب الخصم، والشوكة شرط لابد منه لحماية صاحب الدعوة أو صاحب الدولة من الأعداء. وحين تضعف الشوكة تصاب العصبية بالشلل فتتلاشى الهيبة وتنفك الحماية ويتكاثر الخصوم الأشداء ويبدأ الأقوى بالتجاسر على المخالفة والمواجهة.

ما قاله ابن خلدون عن شروط الداعية (القائد) الموضوعية فيه الكثير من الصحة إلى أيامنا في حال استبدلت بالعصبية المؤسسة وبالشوكة القوة العسكرية. فصاحب الدولة (المؤسسة) هو صاحب القوة (الجيش) وهو القادر على زرع الرهبة في قلب الخصم سواء على مستوى دائرة صغيرة أو دوائر كبيرة أو حتى على مستوى العالم في عصر تندفع فيه العلاقات الدولية إلى مزيد من العولمة.

انتهى في زمننا عصر «البطل المنتظر» الفرد وحل مكانه «البطل» المجتمع والمؤسسات «المنتظرة» فالتوقع (الأمل) هي سمة إنسانية كذلك المخيلة هي صفة عقلية شرط أن تكون واقعية ولها صلة بالزمن حتى تكتسب عناصر قوتها للاستمرار.

حاولت الأنظمة الكلية (التوتاليتارية) في مطلع القرن الماضي تخليق صورة حديثة عن «البطل المنتظر» فصدرت طبعات شيوعية (ستالين في الاتحاد السوفياتي، وكيم إيل سونغ في كوريا الشمالية) وطبعات أوروبية (هتلر في ألمانيا النازية، وموسيليني في إيطاليا الفاشية وفرانكو في إسبانيا) وفشلت تلك المحاولات بفعل ضربات الزمن أو بفضل القوة العسكرية.

وحدها الصهيونية التي قلدت أوروبا في تاريخها الأمريكي (احتلال أراضي الغير) نجحت، على مثال فيلم «بانانا»، في تخليق «دولتها المنتظرة» في «أرض الميعاد» حين حولت مشروعها إلى «ضحية» فريدة من نوعها ساهمت أوروبا (وهنا المفارقة) في صنع رموزها من خلال المحرقة (الهولوكوست).■



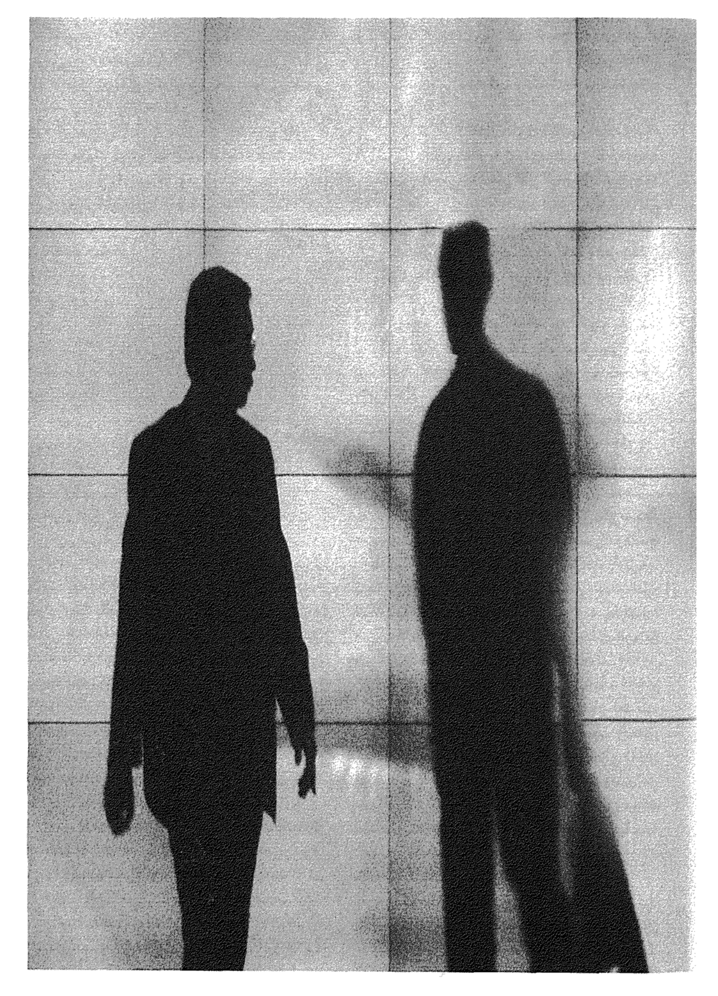
إضافة إلى مؤسسات المجتمع المدني:

الأمة بحاجة إلى أبطال

مجيد محسن العلوي *
البحرين

ألبّاع مختلف الأديان ولاسيما السماوية منها يعتقدون بحتمية ظهور مصلح منتظر في آخر الزمان يأتي ليملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا. غالبية المسلمين بمختلف مذاهبهم ومدارسهم الفقهية يؤمنون بظهور المهدي من آل محمد ﷺ ليقوم بهذا الدور الإصلاحي وإن اختلفوا في مسألة ما إذا كان ولد وهو غائب أم أنه لم يولد بعد. وترى النصرانية بمختلف كنائسها أن السيد المسيح عائد في آخر الزمان لينقذ البشرية من شرورها وأشرارها، وأصبحت كلمة «المسايا» اللاتينية مرادفة لانتظار مجيء إنسان خارق قد طال غيابه، وتطلق عندما تعمم الاتكالية والسلبية سلوك الجماعة المنتظرة. ويرى اليهود أن المسيح لم يولد أصلاً (كما يعتقد المسلمون والنصارى في عيسى ابن مريم)، وعليه فإنه سيولد يومًا ما لإنقاذ بني إسرائيل من ظلامهم وظلامتهم. أما أتباع «مملكة الجهوفر» النصرانية فهم يرون أنه سيرسل لهم مخلص في آخر الزمان يزيل عنهم هموم الاستضعاف ويزيح ما وقع عليهم من ظلم.

* الأمين العام المساعد لمركز البحرين للدراسات والبحوث.



غير أننا أمام سؤال آخر. فقد يكون للاعتقاد الديني دور مهم في صياغة العقل الجماهيري للأمة في أنها بحاجة إلى قائد بطل ملهم ينقذها مما هي فيه من ضعف ودعة، ويقودها نحو النصر المؤزر. وقد يأتي هذا القائد على رأس كل مئة عام كما في المأثور، أو حسب ظروف البشرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية. والسؤال المطروح هو: هل نحتاج إلى مصلح بطل همام واحد فقط مثل صلاح الدين الأيوبي أو طارق بن زياد ليقود الأمة في مواجهتها لأعدائها، ولما تعانيه من جهل وفقر؟ وهل انتظار هذا المصلح سيؤدي بطبيعة الحال إلى الاتكالية والكسل على أساس أن الجهود المبذولة في غيابه ما هي إلا مضيعة لها؟ والأخطر من كل هذه الأسئلة هو هل انتظار القائد البطل يوفر الجو النفسي والاجتماعي والفكري لبروز الدجالين الذين يتقمصون دور الأبطال، مستغلين ذلكم الجو المشحون للسيطرة على عقول الناس وقلوبهم وأموالهم ومقدراتهم حتى أبنائهم وبناتهم وعلى حين غرة من أمرهم؟

أم أن الأمة اليوم تحتاج حسب تعبير السؤال إلى مجتمع بطل؟ مجتمع يتصف بتعدد القوى المؤثرة فيه وانتشار المدنية بمؤسساتها وقوانينها وقياداتها؟

في رأيي أن الأمة تحتاج إلى الاثنين معًا وإلى شيء آخر أيضًا، تحتاج الأمة إلى قائد ورمز يحدد لها الرؤية البعيدة والخطوط الاستراتيجية العامة الكبرى حيث يوحد الأمة عليها، كما أنها تحتاج إلى مجتمع مدني، فعالة مؤسساته، واضحة أدواره ومقننة نشاطاته، يتولى ترجمة رؤية القائد إلى أهداف مرحلية وخطط تفصيلية، والعمل على تحقيق الاستراتيجية الكبرى. ولن ينجح القائد مهما أوتي من إلهام وعزيمة وتقوى في مهمته في غياب المجتمع الواعي لأهدافه المؤمن بها. كما لن ينجح أي مجتمع في الوصول إلى أهدافه العليا دون وضوح الرؤيا البعيدة ودون إطار طموح يحدده قائد طموح ويعتصم الجميع بحبله.

ومن أهم صفات هذا البطل بالإضافة إلى الشخصية الجذابة (كاريزما) والذكاء والطموح - هي في رأيي - الواقعية وبعد النظر في آن واحد، فعدم الواقعية بما في ذلك رفض الاعتراف بإمكانات ومحدوديات بلده أو أمته وحدود المعطيات الدولية قد يأخذ بيدها إلى التهلكة والتقهقر بدلاً من النجاح والتقدم. من جهة أخرى فغياب بعد النظر لدى القائد قد يُؤدي بأمته وشعبه إلى التقوقع والتقزم وفقدان الإحساس بالعزة والمنعة والأنفة والدور التاريخي والحضاري.

في العصر الحديث، حيث الحدود الجغرافية الواضحة والدولة القطرية تقفان حاجزًا أمام دعوات الانصهار الأممي والتخلي عن الهوية القطرية، فإن الأمة قد تحتاج إلى أبطال وطنيين يضربون المثل الأعلى والأنموذج الملهم في توحيد أوطانهم على أهداف عليا، وبث الحماس والحيوية في مجتمعهم للعمل على تحقيق تلكم الأهداف. وبالتالي فإنني أقترح في هذه الورقة خيارًا ثالثًا، وهو حاجة الأمة إلى العديد من الأبطال الوطنيين الذين يعملون على إصلاح أقطارهم وعزتها، وربما تعاونوا فيما بينهم أبطالاً ومجتمعات على تكوين نواة لتوحيد الأمة على أهداف عامة، هي مجموع الأهداف الوطنية المحققة، كما أنها تحتاج إلى مجتمع مدني فعال، عموده الفقري ما اصطلح عليه بالطبقة الوسطى.

سوف أضرب مثلاً هنا لتوضيح الفكرة. لقد عانت أوروبا في منتصف السبعينيات من القرن العشرين غياب القادة الجذابين الملهمين والقادرين على شحذ همم مواطنيهم وبلدانهم لكي تستعيد بعض ما فقدته من قوة ومنعة إثر انهيار إمبراطوريتي بريطانيا وفرنسا وتحجيم ألمانيا في منتصف القرن الماضي. فهذه الدول الثلاث بالإضافة إلى روسيا تعتبر أعمدة القارة البيضاء في العصر الحديث (بعد أن كانت اليونان وإيطاليا والنمسا أعمدتها فيما مضى).

وجاءت مارجريت تاتشر إلى بريطانيا عام ١٩٧٩م وكانت الزبالة تملأ شوارع لندن وبرمنجهام ومانشستر والمدن الكبرى الأخرى، والقطارات معطلة، ومناجم الفحم تكلف أكثر مما تنتج، والشعب البريطاني يعيش عزلة باردة لا هو محترم من أمريكا ولا هو محبذ من أوروبا حتى كاد البريطاني يفقد الثقة في هويته وشخصيته، بعد أن كانت إمبراطوريته لا تغيب عنها الشمس، وبدت بريطانيا وكأن أمهاتها عقمت أن تلد قائدًا بطلاً يوحدها على رؤيا وطنية.

لم تأت تاتشر بعصى سحرية لإنقاذ الاقتصاد البريطاني والمجتمع البريطاني من الكساد الذي أصابهما، بل إنها وبمعونة ثلة من المفكرين تبنت

وبشرت برؤيه بعيدة، مؤداها أن تستعيد بريطانيا أمجادها الغابرة، وشحنت المجتمع البريطاني بطاقة وأفكار حول العزة والكرامة وشرف العمل والتفوق وغيرها.



وجاءت حرب الفوكلاند بما تشتهيه السفن فقد ساهمت الحكومة البريطانية في اندلاعها وتطورها بإغراق باخرة «البوليجرانو» وبالتالي عدم إعطاء جنرالات الأرجنتين الحاكمين الفرصة للتراجع، وساهمت كثيرًا تلك المواجهة في المحيط الهادي في تركيز العقل البريطاني على القوة والعزة والهيبة للوطن، بدلاً مما كان عليه من الضعف والمسكنة والاضمحلال.

ولم تمض عشر سنوات حتى تغير وجه بريطانيا، وانتعش الاقتصاد بعد تحويله من اقتصاد يعتمد على الصناعة إلى اقتصاد خدماتي، ودبت في بريطانيا مجتمعًا وأفرادًا روح العزيمة والعمل بدلاً من الاتكالية والكسل والتذمر، وعاد أحفاد تشرشل يتحدثون عن دور دولي جديد لبريطانيا. طبعًا لم تكن تاتشر لتستطيع إنجاز مهمتها لولا وجود المجتمع المدني المتكامل والفعال، سواء أكان ذلك شركات أم برلمانًا أم جمعيات أهلية ومراكز بحوث ودراسات.

الشيء نفسه حدث في ألمانيا وفي المنعطف التاريخي نفسه تحت قيادة هيلموت كول، حيث إنها ولقوة اقتصادها ومجتمعها استوعبت ألمانيا الغربية كما كانت تعرف أنذاك ٢٥ مليونًا من الفقراء من الشق الشرقي الذي ضُمّ إثر انهيار جدار برلين.

الهير هيلموت كول، والسيدة مارجريت تاتشر والمسيو فرانسوا ميتران كانوا قادة لأوطانهم، ورغم الاختلاف في معالم الشخصية والأسلوب والنظرة إلى مفهوم الوحدة الأوروبية، فقد تمكن هؤلاء الثلاثة من إنقاذ القارة الأوروبية من المنحدر الخطير الذي انزلقت إليه في منتصف السبعينيات، وها هي القارة القوية تستوعب الضعفاء من دولها وتعينهم على الارتقاء بمجتمعاتهم واقتصادياتهم في عملية استثمار دولي بعيد المدى لتوحيد القارة لم تشهد مثيلاً له منذ حاول كل من نابليون ومن بعده هتلر توحيدها بالقوة.

إذًا فالخلاصة التي أود أن أتقدم بها للقراء الكرام، إننا، وأمام تعقد الحياة والعلاقات الدولية، بحاجة إلى ثلاثة عناصر للنهوض بهذه الأمة. نحن بحاجة إلى قادة وطنيين أبطال ذوي رؤية وعزيمة وشجاعة وشخصيات جذابة لا تستنكف عن الاستعانة بذوي الرأي والحجى. ولاحظ «أبطال» وليس بطلاً واحدًا. كما نحن بحاجة إلى مجتمعات مدنية مؤسساتية تسمح للآراء بأن تختلف وتتحاور وتتلاقح وتتولى مساعدة القادة لبلوغ الأهداف الوطنية العليا.

وأخيرًا، نحن بحاجة إلى إطار قومي يعمل من خلاله القادة الوطنيون للاتفاق على الأهداف المشتركة والبحث عن الكيان القانوني اللازم لبلوغ تلكم الأهداف. ■

رغم هيمنة مفهوم «الجماعة» عليها:

لماذا يكون البطل «فرداً» في الثقافة العربية؟!

خالد الدخيل*
الرياض

ظاهرة البطل المنتظر هي ظاهرة اجتماعية طبيعية. لكنها تبدو لنا على العكس من ذلك، لماذا؟ يبدو أن السبب يعود إلى الصيغة التي اتخذتها هذه الظاهرة في ثقافتنا العربية، وإلى ما يرمز إليه البطل فيها، وإلى درجة الإلحاح في عملية الانتظار.

ما صيغة هذه الظاهرة في الثقافة العربية؟ ماذا تعني تحديداً؟ لا أعني بالسؤال هنا التعريف المصطلحي على وجه التحديد. بل أعني الدلالة الثقافية لوجود هذه الفكرة، وما الذي تقوله عن النسق الثقافي الذي توجد فيه.

* أستاذ مساعد لعلم الاجتماع السياسي - جامعة الملك سعود.



عندما تمعن النظر فيها تجد أنها تعكس شيئًا من الاستلاب الذاتي عند من يتبناها. وفي الوقت نفسه تعكس حالة متجذرة من التخلي عن المسؤولية لدى الفرد. من ينتظر البطل يعتقد أنه بذلك يبرئ ذمته، ويعفي نفسه لا شعوريًا من المسؤولية. ومن ثم فهو يعتقد أن مسؤوليته تتوقف عند هذا الحد، أي عند حد المطالبة الملحة بالبطل. لكن البطل قد يأتي، وقد لا يأتي. وبالتالي تبدو ظاهرة انتظار البطل صيغة أخرى لقدرية مفرطة، وبما هي كذلك، فهي تخل عن القدرة على الفهم والتحليل، أو هي نتيجة طبيعية لغياب، أو ضعف هذا المنحى المعرفي في الثقافة. ومن ثم تعبر عن حالة ارتماء، أو استسلام لمقتضيات الأقدار.

الأقدار - حسب هذه الثقافة - لا تأتي بشكل دوري، وفقًا لنظام توقعات واستشراف، ووفقًا لعلاقات وقوانين سببية مترابطة، بل تأتي، وعلى العكس من السببية والتحليل، وفقًا لقانون الصدفة والامنيات. وهذا شيء طبيعي ومتوقع، لأن انتظار البطل هو حالة نفسية تفرزها طبيعة الثقافة، والنسق المعرفي المتحكم فيها. إلى جانب ذلك، هناك الظرف التاريخي. فالانتصارات الباهرة، والتي تستعصي على التفسير ترسخ صورة البطل الذي جاء في لحظته القدرية المناسبة. وفي المقابل هناك الانكسارات المتتالية، والتي لا تخضع لمقتضيات التحليل والمنطق، تستدعي وبإلحاح صورة بطل يفترض فيه أن يغير وجه التاريخ. بهذه الصيغة، تصبح ظاهرة انتظار البطل ظاهرة جماعية في التخلي عن المسؤولية والقذف بها بشكل غير واع نحو طرف آخر: فرد أحد تجتمع فيه كل سمات الشجاعة، والبطولة، والتضحية، والحكمة. بعبارة أخرى، انتظار البطل هو حالة من اللاعقلانية تعكس لا عقلانية النسق الثقافي السائد.

فكرة البطل المنتظر ليست مقصورة على الثقافة العربية. لكن صيغة البطل المنتظر، ودلالته ليست واحدة في كل الثقافات، ولا في كل المراحل التاريخية داخل الثقافة نفسها. من السمات الأساسية لهذه الظاهرة في الثقافة العربية، مثلاً، أن البطل المنتظر هو فرد، وليس جماعة أو مؤسسة، أو تيارًا فكريًا محدد المعالم. هو فرد يقف بذاته، ولذاته، يفترض فيه أن يختزل في شخصيته، وفي تصوره وطموحاته، تصورات وطموحات الأمة. في الثقافة الغربية هناك صورة للبطل، وهناك انتظار له. لكن البطل في هذه الصورة هو رمز لمؤسسة، أو لتيار معين، سياسيًا كان أم اجتماعيًا. قيمة البطل هنا، ورمزيته مرتبطة بمدى قدرته ليس على التماهي مع تطلعات وطموحات الأمة وحسب، بل على مدى قدرته أيضًا على القيادة لخدمة وتحقيق تلك الطموحات والتطلعات. هذا التماهي، وتلك الخدمة ينبغي لهما أيضًا أن يتحققا ضمن أطر المؤسسة والقانون. والبطل بهذا المعنى لا يختزل طموحات الأمة، أو تطلعاتها، بل هو أداة من أدوات أخرى لخدمة تلك الأهداف داخل تلك الأطر.

«في الثقافة العربية، البطل المنتظر هو فرد، وليس جماعة أو مؤسسة، أو تيارًا فكريًا محدد المعالم. هو فرد يقف بذاته، ولذاته يفترض فيه أن يختزل في شخصيته، وفي تصوره وطموحاته، تصورات وطموحات الأمة.»

وينبغي الاحتراز هنا عند تعبير «تطلعات الأمة»، وعدم الانسياق معه وكأنه يعني بكل الدقة تطلعات الأمة بكل جماعاتها، وأفرادها، وبكل تموجاتها دون تفريق، فحتى لو برهن البطل على أنه في أثناء قيادته للأمة كان بالفعل في خدمة تطلعاتها وطموحاتها، إلا أن قوانين الحكم والقيادة في هذه الثقافة لا يسمح له بالبقاء في دفة القيادة دون حدود قانونية وزمنية. وهذا كما يبدو انعكاس لبروز البعد النسبي في الثقافة الغربية. فالفرد لا يستطيع أن يبقى بشكل مطلق رمزًا لطموحات الأمة، وتطلعاتها مدى الحياة. الذي يبقى كذلك هو الجماعة أو المؤسسة. وحتى هذه ليست قارة أو ثابتة، بل يطالها التغيير والتعديل مع مرور الزمن.

فردية البطل في الثقافة العربية تتعارض، أو هكذا يبدو، مع فكرة الجماعة وهيمنتها على هذه الثقافة. واللافت في هذا السياق هو قابلية هذه الثقافة للسماح للبطل بتلك القدرة الاختزالية غير العادية. وهذا يعود إلى أن الفرد في الثقافة العربية يرتبط بالجماعة أساسًا بواسطة النسب. بعبارة أخرى يرتبط الفرد بالمجتمع، ومن ثم بالدولة بواسطة الجماعة الطبيعية مثل العائلة أو العشيرة، وليس بواسطة جماعة غير طبيعية مثل الحزب، والجمعية، والنقابة، أو ما يعرف بجماعات المجتمع المدني، في مقابل مجتمع الدولة. تحقيق ذاتية الفرد، من ناحية أخرى، يعتمد على معايير فردية، غير مؤسسية، مثل

المروءة، والكرامة، والشجاعة...إلخ. من هنا جاء التناقض بين الفردية والجماعة في الثقافة العربية. ومن هنا أيضًا ارتبطت صفات البطولة بصفات فردية، وليست بمتطلبات ومعطيات قانونية أو مؤسسية. الكاتب المغربي، عبدالله العروي، تناول هذه الناحية في الثقافة العربية عندما لاحظ في كتابه «مفهوم الحرية» أن الحرية في المجتمع العربي تعتمد على قدرة الفرد على التصرف، وعلى مدى اكتسابه للمروءة. ولذا يأتي الحاكم الأكثر حرية في المجتمع من حيث أنه يأتي في أعلى سلم التدرج الاجتماعي باعتباره يمتلك أكثر من غيره الصفات، أو المعطيات التي تمنحه تلك الدرجة الأعلى من الحرية. وإذا أدركنا أن الحرية هي أبرز تجليات الفردية، أدركنا أن التوازي بين تراتبية الحرية، وتراتبية الفردية في المجتمع العربي هي أهم أسباب الصيغة التي عليها صورة البطل المنتظر في الثقافة العربية.

الفردية في الغرب هي نتاج الرأسمالية، ومن ثم فهي فردية تختلف عن الفردية في الثقافة العربية. الفردية هنا تعبر عن الاختلاف والتعددية. في حين أن الفردية في الثقافة العربية، تعبر بشكل أساسي عن التراتبية، وليس عن الاختلاف والتعددية. الوسيط بين الأفراد في المجتمع الغربي ليس العائلة، بل القانون، والحقوق، والمؤهلات التي يقتضيها كل منهما. في هذا الإطار يقف الفرد إزاء الدولة باعتباره كذلك، لكن من خلال جماعة، أو مؤسسة تنتمي إلى المجتمع المدني. وبما أن كلاً من الدولة، وهذا المجتمع يقوم في الأساس على قانون ويحتكم إليه، فإن الحاكم بينهما هو هذا القانون، وما ينص عليه من حقوق ومسؤوليات. صفات البطل في مثل هذا الإطار ليست صفات فردية يكتسبها الفرد بشكل طبيعي، أو عشوائي. بل تكاد تكون صفات معروفة ومحددة سلفًا، وفي متناول أي فرد للحصول عليها. هذا هو الأمر على الأقل من الناحية النظرية. قد يقال أن الأمر من الناحية العملية، أو الواقعية ليس كذلك تمامًا. لأن هناك صفات فردية لا علاقة لها بالمؤسسة، وإنما هي صفات طبيعية لا يتوفر عليها كل فرد. مثال على ذلك موهبة القيادة، والجاذبية الشخصية، أو القبول لدى الآخرين. وهذا صحيح. لكن ينبغي ملاحظة أن المؤسسة تؤطر مثل هذه الصفات الطبيعية، وتمنحها ديناميكية تتكامل مع ديناميكيتها هي، وتحد من تحولها إلى العامل الوحيد والحاسم في تحديد صفات البطل المنتظر.

هل هناك تطلع إلى بطل منتظر في الثقافة العربية في الظروف الراهنة؟ التسرع بالإجابة عن هذا السؤال بالنفي ينطوي على شيء من التنكر للواقع. لكن ينبغي ملاحظة أن هذا التطلع يختلف في أيامنا هذه عما كان عليه في



الماضي. لم تعد صورة «وامعتصماه»، أو صورة صلاح الدين تهيمن على الخطاب الثقافي المقروء. ربما أن السبب وراء ذلك يعود إلى حالة اليأس التي أخذت تسيطر على الحالة الثقافية والنفسية السائدة في أنحاء العالم العربي.

وبالتالي فإن تراجع حدة هذا التطلع، أو اختلاف صيغته تعكس هذه الحالة، أكثر من كونها تعبيرًا عن تغير ثقافي عميق في المجتمعات العربية. في الوقت نفسه لايجوز تجاهل أن هذا التراجع، أو ذلك التغير قد يكون تعبيرًا عن قناعة بدأت تتسرب إلى تلافيف الثقافة العربية بأن الصورة التقليدية للبطل المنتظر لم تعد مجدية كما برهنت التجارب التاريخية المعاصرة، وهي تجارب راهنت على أكثر من بطل. لكنها انتهت إلى انكسارات شديدة، ومتتالية. وعدم الجدوى هذا ربما تعمق في ظروف التغيرات التي أصابت المجتمعات العربية تبعًا لما حدث للعالم. في هذا السياق يلاحظ أن الأنظمة السياسية العربية لعبت دورًا في ذلك التغيير. في الماضي القريب كانت هذه الأنظمة تقدم رؤساءها على أنهم أبطال النضال والتحرر. النضال ضد الإمبريالية والصهيونية، والتحرر من ربقة التخلف والرجعية. لكن في المرحلة الحالية أصبح هؤلاء الرؤساء رمزًا على الاعتدال، والبعد كل البعد عن روح النضال. وهذا التغير في موقف الدولة، وفي لغتها لا يعود إلى تغير أصاب خطابها، أو طبيعتها السياسية. بل يعود بشكل أكثر وضوحًا إلى ما أصاب النظام الدولي في العقدين الأخيرين، وبصورة رئيسة التغير الكبير الذي حدث لتوازنات القوة في هذا النظام في غير صالح العرب. ■

الجماهير أوعى من نخبها «الحديثة»!:

التاريخ يصنعه الأبطال

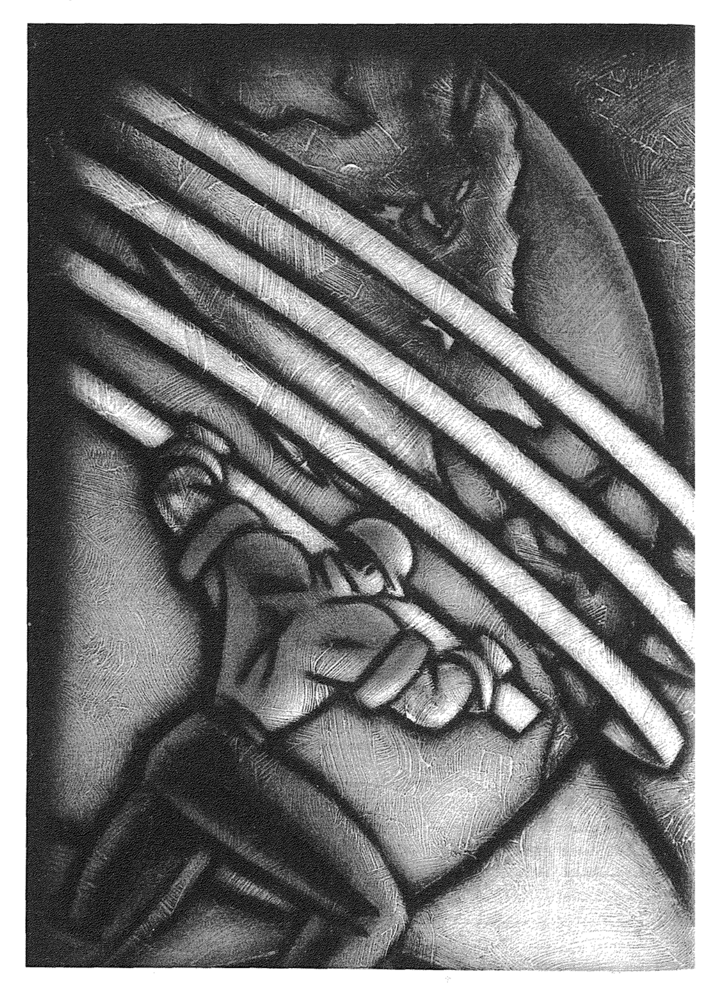
ياسر الزعاترة *
الأردن

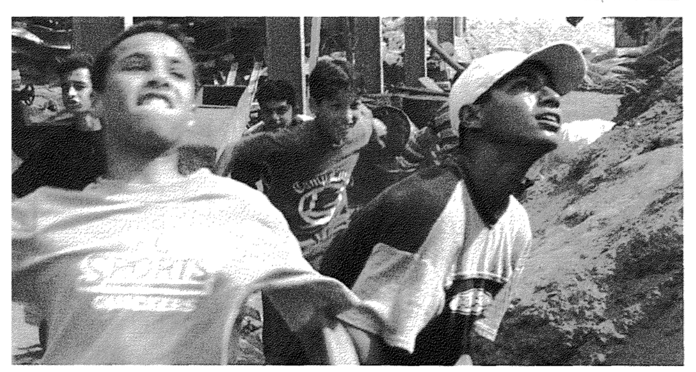
ينطوي خطاب أهل الحداثة عن قصة البطل المنتظر أو المهدي المنتظر على نبرة احتقار للجماهير واتهام لها بالعجز عن صناعة التاريخ والركون إلى لغة الانتظار، انتظار البطل كبديل عن الفعل «الإيجابي والجمعي والمؤسسي» الذي تميز به الغرب الذي تخلص من تلك العقدة.

واقع الحال هو أن غالبية النخب الحديثة التي تنظّر على الجماهير في الفعل الإيجابي هي المهزومة واليائسة، بل الأكثر «تبشيرًا» بالخضوع للآخر لعدم القدرة على مواجهته.

---

* كاتب فلسطيني.





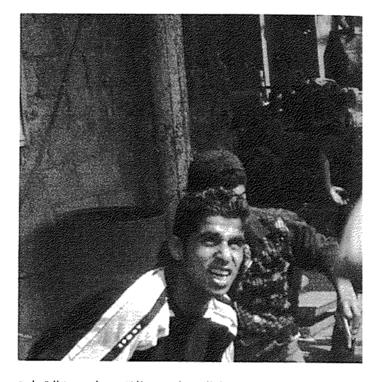
أدرك أن ما حرّك الحديث عن هذا الموضوع وما زال يحركه هو ما يحدث في أفغانستان وانحياز كثير من الجماهير العربية والإسلامية إلى القيادات التي ظهرت في المعركة مع الولايات المتحدة، ولكن مروجي احتقار الجماهير والنظر إليها كدهماء عاجزة، هم وحدهم الذين رأوا في ذلك الانحياز نوعًا من انتظار البطل المخلّص. والحقيقة أن الأمر لم يكن كذلك بحال، فالجماهير لم تقتنع بأن ذلك القائد أو تلك القيادات ستهزم الأمريكان ولم تتعاطف معه أو معها إيمانًا بحتمية انتصارها، بقدر ما انحازت إلى لغة التحدي في خطابها في زمن عزت فيه هذه اللغة في التعاطي مع الدولة الأقوى على وجه الأرض.

انحياز كثير من الجماهير إلى طالبان أو الملا محمد عمر كان مشابهًا أيضًا، ذلك أن الغالبية الساحقة من جماهير الأمة لم تعجب بالنموذج الإسلامي الذي طرحه الرجل، فضلاً عن اعتباره مصدر إلهام، ولكنه ما إن باع الإمارة لقاء موقف رآه مبدئيًا حتى تعاطف الناس معه شوقًا إلى موقف عقائدي ومبدئي يحمل قدرًا من التحدي طالما اشتاقوا إليه.

وفق هذا النمط يمكن النظر إلى اتساع دائرة التعاطف والانحياز إلى أبطال فلسطين ورموزها الاستثنائيين، كما حصل مع الشهيد يحيى عياش مثلاً، فالشوق إلى البطولة والتحدي لا يمثل وقفة انتظار للبطل المنتظر ولا خطأ في تقدير الموقف، وإنما إيمانًا بأن التحدي يجلب التحدي، والموقف القوي أقل كلفة على المجموع من موقف الذل والهوان.

> **"شوق الشعوب والأمم إلى البطل والقائد ليس خطأً ولا عبثًا، بل تعبير عن وعي جمعي صادق بضرورة القائد البطل لصناعة النهضة وتحقيق الانتصار، وقد تشكل ذلك الوعي عبر تجارب التاريخ الإنساني، ولم تنفرد به أمة دون أخرى."**

نأتي هنا إلى الزاوية الأخرى المتصلة ببقاء الشوق الكامن للبطل المخلّص أو المنتظر. ذلك أن شعوب الأرض كلها ما زالت تواقة لذلك البطل، غير أن مساس الحاجة إليه إنما تبرز في لحظات معينة، لحظات الهزيمة والتراجع. ومعظم الدول الغربية اليوم ومنها الولايات المتحدة لا تعيش أزمة طاحنة تحرك فيها ذلك الشوق، ومع ذلك فهي في وعيها تحب البطولة وتعشق الأبطال وتنحاز إليهم، وعندما تختار قياداتها فإنها تختار قائدًا ترى فيه القدرة على



النهوض بوضعها السياسي والاقتصادي. فالقيادة الجمعية أو المؤسسية دون رأس فاعل ليست واقعًا حقيقيًا بما تحمله من معنى لا في الغرب ولا في سواه، فهناك ثمة عهد كلينتون في الولايات المتحدة وعهد المستشار (كول) في ألمانيا وعهد تاتشر أو بلير في بريطانيا وهكذا. ونحن هنا نتحدث عن أوضاع عادية لا تحتاج بطلاً فريدًا ولا قائدًا استثنائيًا.

رقم واحد في المعادلة السياسية، ومعادلة الحكم هو الأساسي، وما تبقى ثانوي، بدليل اتساع هامش الحركة لرقم واحد في المنظومة الغربية والذي لا تقيده البرلمانات إلا في حدود بسيطة، فضلاً عن أن صاحب النفوذ في البرلمان هو رقم واحد في أغلب الأحيان.

هناك ما هو أقل من ذلك، فالقائد ليس ضرورة للشعوب والأمم وحسب، بل للحركات والجماعات والجمعيات وصولاً إلى الشركات والمصانع، هل يبدو عبثًا أن مصانع وشركات غربية تدفع مكافآت بالملايين لمدير عام مميز القدرات. لماذا لا يتحدثون عن القيادة الجماعية؟! ألم نتابع حركات وجماعات كثيرة أسسها عظماء وما إن رحلوا حتى تراجعت وأفل نجمها؟

التاريخ يصنعه الأبطال، وتلك حقيقة لا تزال ماثلة للعيان ولم تتغير ولا يبدو أنها ستتغير. ماذا عن بريطانيا لولا (تشرشل)، وماذا عن فرنسا لولا (ديغول)، وماذا عن جنوب إفريقيا لولا (مانديلا)، وماذا عن إيران لولا (الخميني)؟

العرب ليسوا وحدهم في شوق انتظار البطل، ولكنهم الأكثر شوقًا لما هم فيهم من ضعف وشرذمة، على رغم ما بينهم من عوامل الوحدة وما يملكون من عناصر القوة.

أما الأمة فقد كانت على الدوام جاهزة للوقوف خلف البطل عندما تقتنع به، وهي دائمًا ذات جاهزية عالية، حتى لو ظهر على قشرتها الخارجية الكثير من الضعف والهوان، فالقائد الحقيقي هو الذي يزيح بيده تلك القشرة، ويكشف عن عناصر القوة في شعبه أو أمته ويقودها نحو الانتصار والعزة والكرامة.

الوعي الجمعي كان على الدوام يختزن القوة والقدرة على النهوض، وإذا تراجع، فلغياب القائد، وما إن يظهر حتى يستنهض تلك القوة، ويمضي بها نحو الانتصار.

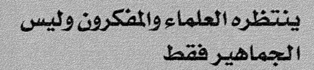
شوق الشعوب والأمم إلى البطل والقائد ليس خطأً ولا عبثًا، بل تعبير عن وعي جمعي صادق بضرورة القائد البطل لصناعة النهضة وتحقيق الانتصار، وقد تشكل ذلك الوعي عبر تجارب التاريخ الإنساني، ولم تنفرد به أمة دون أخرى.

القائد ضرورة لا غنى عنها للشعوب، ولاسيما حين تخوض غمار التحدي والأزمات، وحين تواجه أعداء يتربصون بها الدوائر، وليس بالضرورة أن ينتصر القائد، فقد يحدث أن يظهر بطل على درجة من القوة ولكن موازين القوى تتفوق عليه، وهنا فإن هزيمة ذلك البطل ليست هزيمة لمشروعه في النهوض، فهو قد يلهم سواه، وحين نذكر صلاح الدين مثلاً فلا بد أن نذكر قبله نور الدين زنكي.

من المؤكد أن القائد يجب أن يكون قادرًا على تقدير الموقف بصورة متوازنة، وألا يخوض حربًا دون حسابات دقيقة، ولكن ذلك لا يلغي أن كل قائد معرض للهزيمة، بيد أن الهزيمة شيء والاستسلام شيء آخر. فالقائد الذي يزرع في وعي شعبه منطق رفض الاستسلام للهزيمة، هو بطل يستحق التقدير حتى لو لم يصنع الانتصار النهائي.

قصارى القول هو أن التاريخ يصنعه الأبطال والقادة العظام، بيد أن الأمم وعلى رأسها هذه الأمة لم تقف جامدة في انتظاره، وإنما واصلت جهادها وحراكها بما توفر من وسائل وبما تيسر من قادة أقل شأنًا من المأمول، وقد آن أن يتوقف (الحداثيون) عن هجاء الجماهير، فهي أصدق منهم لهجة وأمضى عزيمة ولكن أكثرهم لا يعلمون■





ينتظره العلماء والمفكرون وليس الجماهير فقط

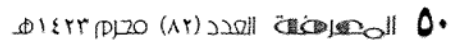
البطل الفرد ثم المؤسسات

عبدالرحمن الزنيدي *

الرياض

يجمل بنا في الحديث عن (البطل المنتظر) والزعيم القائد المنقذ للأمة التي تدفعها النكبات المتوالية نحو التطلع المتلهف له - أن نبدأ بحديث نبوي شهير في هذا المجال وهو حديث «المجدد» الذي يظهر في الأمة بين كل حين وآخر، وهو حديث صحيح كما حكم بذلك علماء السنة. يقول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها». وقد ورد في بعض الروايات «على رأس كل قرن»، ولكن المئة سنة أو القرن ليست متحددة بالقرون الهجرية التي نؤرخ بها، لأنها لم تكن معتمدة في عهد الرسول ﷺ وإنما المقصود مضي فترة زمنية ومن ثم حدوث احتياج للإصلاح والتجديد.

* أستاذ الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة - الرياض.



ومن أهم إشارات الحديث المهمة في موضوعنا:

- أن هذا المجدد دوره قيادي إصلاحي في ظل فساد لحياة الأمة.

- أن دوره ثقافي بالدرجة الأولى فهو (يجدد للأمة دينها) وليس مجرد أداء عسكري عملي.

- أن جهد هذا الرائد ذو منطلق ديني (إسلامي).

نعم إن جوانب الحياة كلها في الإسلام ذات صبغة دينية في الأصل، والمجدد والمصلح في أي منها لم يخرج عن إطار التجديد الديني، لكن المقصود هنا أن منطلقه في الإصلاح إسلامي مرتكز على مصدري الإسلام الأصليين الكتاب والسنة، دون المنطلقات الغربية على الإسلام.

ثم إن مهمته الثقافية تجديدية وليست (تغييرية تحريفية) للدين، والتجديد يعني تنقية الشيء مما علق به فأخلقه، أو أفسده، ومن ثم فالتجديد هنا هو في المسلمين: فهمًا، وعملاً، ومواقف، وحركة حضارية، لتكون قائمة على الإسلام قيامًا صحيحًا ومحققة للمصالح الزمنية وفق مستوى العصر الذي تعيشه الأمة، وليست تغييرًا في ثوابت الدين العقدية والقيمية والتشريعية.

وأخيرًا فإن علماء الشريعة في دراستهم للفظة (مَنْ) في قوله «مَنْ يجدد لها دينها» قال كثير منهم: إن (مَنْ) عامة لا تنحصر في فرد بحيث لا يقتصر التجديد على واحد في القرن بل قد يشترك مجموعة في التجديد، وقد يتوزعون على مجالات التجديد المختلفة.

وهذا الحديث بقدر ما هو بشارة للأمة الإسلامية بأن حالها لن يتراكم عليه التكلس عبر القرون حتى تذوب حضارتها شأن أمم أخرى كثيرة، إذ تعاقب المجددين يقتضي استعادتها لحيويتها ولو جزئيًا، وعدم انطمار معالم الحق فيها ـ بقدر هذه البشارة ـ فهو حافز للأمة أن تتوثب وتتطلع للتغيير نحو



الأفضل كلما اعترتها معضلات الزمن وعوامل التخلف خارجية، وداخلية، بل وأهم من ذلك أن تجاوز التخلف الفكري والاجتماعي والحضاري نحو فاعلية حية مع المبادئ الأصلية للإسلام هو - وفق هذا الحديث منطلق الأمة الإسلامية السليم ولهذا فإن من المسلمات بالذات لدى أهل السنة الآخذين بمنهج صحابة رسولﷺ ومن تبعهم بإحسان - ضرورة تتابع المصلحين في الأمة كلما وهن أمرها. ومن مسلماتهم أيضًا قابلية الأوضاع الفكرية والاجتماعية للتغيير والتطوير في إطار ثوابت الكتاب والسنة، مهما كانت هذه الأوضاع مترسخة في الواقع، وهذا ما جعل حركات الإصلاح والتجديد أظهر وأكبر أثرًا لدى أهل السنة من المسلمين.

ولكن ذلك لا يعني اختصاص أمتنا بالتعلق (بالقائد المنتظر) لأن هذا التعلق مطلب بشري عام حينما تحيط بأمة معضلات تهدد وجودها الحضاري، أو تشعر أن حضارتها بدأت تتوقف أو تزاحمها حضارات منافسة. ولهذا برز عالميًا قادة حضاريون كان لهم تأثيرهم الذي اشتهر عالميًا وإن تفاوتت مساحات التأثير الفعلي لديهم، خذ مثلاً : (نابليون، جورج واشنطن، هتلر، لينين، ماو، نهرو، غاندي، سنغور...إلخ).

بل إن هذا المطلب ليس مجرد تلهف غرائزي جماهيري، وإن كان هذا هو الأبرز، ولكنه أمل لدى قادة العلم والفكر في الأمم، ولقد كان من طموحات رواد الإصلاح في هذه الأمة:

- ما تمناه جمال الدين الأفغاني من ظهور مارتن لوثر إسلامي يصلح أحوال المسلمين.

- ومثله فكرة (العادل المستبد) لدى الكواكبي الذي يصنع - أي العادل - في خمس عشرة سنة ما لا يصنع الفكر المجرد في خمسة عشر قرنًا.

- ومحمد عبده يرى أن المشكلة الأساسية للأمة العربية أنه لم يبرز فيها عربي يأخذ بيدها، وبدينها، ويصلح أحوالها.

«« الدور الأولي للقادة الأفراد لتحقيق نهوض الأمة وللمواقف أمام الأزمات سواء على المستوى الفكري أو القيادي السياسي سيبقى مهمًا حتى مع ظهور الأثر الكبير للجهود المؤسسية العقلانية. »»

فالتلهف لظهور هذا القائد هو في ذاته مطلب حيادي، والنظر إنما هو فيما يكمن وراءه.

- فقد يكون نتيجة تهيؤ للانطلاق، ووجود استعدادات التقدم ومن ثم بحثًا عمن يعلق الجرس.

وقد يكون عن شعور بالقصور في التأهل الحضاري للنهوض مما يجعل انتظار القائد نوعًا من الشعور بالعجز أمام المسؤولية الحضارية، ومن ثم طلب من يحل هذه الأزمة الشخصية، وتعلق الأمة بانتظار البطل - في هذه النقطة - نتيجة أحد أمرين:

الأول: عدم النضج الفكري، وهو ما يعني فقدان الناس لمشروع حضاري وتيههم أمام التهديد الواقع عليهم، فهم يريدون قيادة تكفيهم هذا الهم مكتفين بالتأييد، وهنا الخداع والخطورة، لأن المفترض أن البطل دوره قيادي، أما التأهل الحضاري الفكري بالدرجة الأولى فينبغي أن يكون عامًا للأمة، منه تنطلق، وبه تؤيد، وعلى أساسه تقوم حركتها وحركة القيادة التي يقوم بها البطل.

والخلل في هذه النقطة هو الذي يجعل الأمة تقع في السقطة بعد السقطة وراء الأبطال الذين يوهمونها بمشروعاتهم النهضوية، فتنحاز معهم ثم لا تلبث أن تكتشف هرائية أولئك الأبطال، وفساد تلك المشروعات.

الثاني عدم النضج الحركي الحضاري الذي تشعر معه الأمة بأن مجالات التضحية والبذل ليست محصورة في تقديم النفس في جهاد قتالي يكون في أحيان كثيرة لفقد الأمة التأهل الشرعي له انتحارًا يزيد من خسارة الأمة وربما يوقعها في الإثم.

وهذا ما يشير إليه انحصار نماذج الأبطال المنتظرين لدى هذا الصنف من الناس في القادة العسكريين وتصور النهوض وارتقاء الأمة من وهدتها مرهونًا بواقعة تشبه وقعة عمورية أو حطين أو عين جالوت ونحوها.

وهذا تجاوز عن العمق إلى السطح، وقفز على سنن

الله في الحياة وعدول عن الطريق الصحيح الشاق والطويل نحو المسلك الخاطئ وإن كان سهلاً مباشرًا.

إن مظاهر الانهيار والهوان الذي تعانيه الأمة ثمرة لخلل أعمق تعاني منه في حياتها الفكرية، والتربوية، والإيمانية. والسبيل لتجاوز هذا الانهيار تجاوزًا حقيقيًا لابد أن يبدأ في هذه المجالات، فإذا صلحت في الأمة قامت قائمتها وارتفع شأنها، وهذا يقتضي تركز إصلاح المصلحين في هذه المجالات أولاً، ومواكبة الأمة لهذا الإصلاح والانفعال الإيجابي به حتى تتغير به نحو الأفضل فيستتبع ذلك تغيرها الحضاري.

- هل يفترض انحسار دور الأبطال الفرادى في ظل المؤسسات المدنية التي تقود التغيير؟

في تصوري أن الدور الأولي للقادة الأفراد لتحقيق نهوض الأمة وللمواقف أمام الأزمات سواء على المستوى الفكري أو القيادي السياسي سيبقى مهمًا حتى مع ظهور الأثر الكبير للجهود المؤسسية العقلانية، فالقضية هنا ليست بين بدائل متناقضة، إما الأفراد، وإما المؤسسات، بل إنهما يندمجان في أحيان كثيرة حيث يتكرس دور المؤسسات بجهود أبطال بارزين فيها، وحيث ينكشف أبطال فرديون عن واجهات لقوى ومؤسسات من ورائهم.



بلا ريب فإن المؤسسات العقلانية وفق تطوراتها المعاصرة لها دورها البارز في صياغة المشاريع وضبط المسار حتى ولو تغير الأفراد، ولكن وجود هذه المؤسسات فضلاً عما تتمتع به من إيجابية في عملها إنما هو نتاج مبادرات رواد أسهموا في ترسيخها في مجتمعاتهم. ومثل بدلية (البطل - المؤسسات) (التطلع للبطل - وبذل الجهود قبل ظهوره). إذ لا تعارض بين التطلع لبروز الرواد الأكفاء الذين يقودون الأمة وبين الجهود البنائية للمجتمعات، ومنها صناعة أولئك الأبطال الذين يتحررون من سطوة المؤثرات التي تعوق غيرهم والتي يبقون أسرى لها، وإن آمنوا بفسادها، لأنه لا بديل للجهود العامة التي تشترك فيها فئات الأمة تهيئة للإقلاع بقيادة الأبطال نحو النهضة والمنافسة الحضارية إلا تواصل احتقان الأمة، ومن ثم الانفجار الجماعي المدمر حالاً، وغير المثمر مستقبلاً، والذي يهيئ الفرصة للانتهازيين ليمتطوا صهوة هذا الانفجار الجماهيري الأعمى كي يحققوا مآربهم العفنة على حساب الأمة من خلال شعارات تتلاعب بعواطف الجماهير ولكنها تنكشف عن قيادتهم نحو الإفلاس والدمار.

التساؤلات ترد أحيانًا عن البطل الذي نفتقده والذي يتراءى أحيانًا في شخصية المهدي المنتظر، هذه التساؤلات تخلع على البطل صورة خيالية تخرج به عما هو جار في سنن الله في خلقه حيث يتصور أنه يبرز فجأة للناس ويستحوذ بقدرة عجيبة على قلوبهم فيهرعون إليه واثقين أنه مبعوث العناية الإلهية إليهم، ثم - كما يصور لنا المودودي هذا الفهم - تكون البيعة العامة ويعلن الجهاد فينضوي تحت لوائه جميع الشيوخ والدراويش ومن لا همة لهم بالجهاد قبل ذلك، فإذا قام الجهاد ووقع القتال فلا يستعمل فيه السيف إلا تحلة القسم، وإنما تعمل البركة والقوة الروحية عملها في المعارك، ويحاز النصر والظفر بفضل النفثات والأوراد، فإذا رفعوا أيديهم بالدعاء ونظروا إلى أعدائهم خرت قواهم وسقطت طياراتهم واحتوش الدود دباباتهم (موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه ٥١).

مثل هذا الفهم الساذج هو الذي يجعل التطلع للبطل القائد لدى بعض الناس نوعًا من الهروب من الواقع والسباحة في حياض الأوهام.

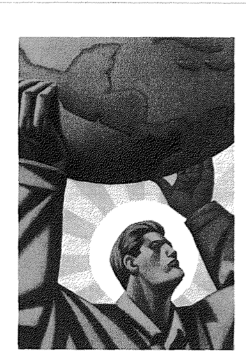
والحقيقة أن البطل المنقذ أو المصلح إذا خرج سيسلك مسلك المصلحين الهداة من قبله من الأنبياء ومن بعدهم من المجددين الذين يبذلون كفاحًا متواصلاً في الحياة وامتلاكًا لمقومات النصر والتمكين وفعالية القوى المناوئة واستقطابًا للطاقات المهيأة للعطاء من أمته وكسبًا لثقتها ومن ثم قيادها نحو النهضة والإصلاح.

ومن العجيب أن النماذج المستحضرة غالبًا لدى الناس عن رواد الإنقاذ نماذج لا تمثل أعمالها مع تقديرنا لجهودها الإنقاذية في وقتها - مثل المعتصم وصلاح الدين وبيبرس وابن تاشفين ونحوهم - لا تمثل أعمال إنقاذ شاملة حضارية على مستوى الأمة وإنما هي إنجازات سياسية أو عسكرية معينة، بل قد يكون جهدها الإنقاذي مشوهًا بفعل هدمي مقابل كما هو شأن المعتصم - عفا الله عنه - الذي سعى إلى إنقاذ المسلمة من إهانة الروم لها، ولكنه أهان علماء الأمة وإمام السنة الكبير أحمد بن حنبل في الفتنة الشهيرة.

وعامة حركات الإنقاذ في تاريخ المسلمين تكون جزئية وقتية ولهذا لم تحدث أي منها عودة حضارية بالأمة في دورة بعث جديدة فقد تكون حركة إنقاذ سياسي ينقصها الأساس الفكري والعقدي الراسخ الواعي، أو تكون حركة تصحيح فكري اجتماعي لا تمتد إلى انطلاقة حضارية. نعم هناك حركة إنقاذ متفردة - حقًا - كادت تعود بالأمة لسالف مجدها ولكن القوى المتربصة بها عاقت حركتها وأوقفت امتدادها بل سعت لوأدها نهائيًا.

هذه الحركة هي التي قام بها الإمام محمد بن عبدالوهاب في جزيرة العرب في القرن الثاني عشر الهجري، فقد امتلكت مواصفات الإنقاذ الشامل في وقتها تأسيسًا إيمانيًا وإصلاحًا فكريًا واجتماعيًا وبناء سلطويًا وهمة حضارية طامحة.

فهي حركة من عمق الوطن العربي، وتنطلق من مهد الإسلام ومن نموذجه الأمثل (تعاليم القرآن والسنة وفق



الفهم الأعلى للصحابة وأتباعهم) ثم إنها ليست حركة شخص تموت بموته، ولكنها دعوة ومشروع حضاري واضح المعالم ينجب عبر الزمن رواده من العلماء القادة ومن تمثلاته العملية في مجرى الحياة المتطورة.

وها نحن الآن بعد ١١ سبتمبر والغرب يوجه حملته باسم الإرهاب إلى الإسلام الذي - كما عبر هنتغتون - يمثل ثقافة تتأبى على التغرب أو الاضمحلال، وتشعر لا بمجرد تميزها وإنما بأحقيتها في الوجود أكثر من قيم الغرب، نجد أنه - الغرب - يعلن صراحة أن ما يضايقه بل ويخيفه هو الإسلام الأصولي أو ما تكرر على ألسنة كثير منهم (الوهابية) التي أصبح الوعي الإسلامي حتى لدى كثير من غير المسلمين يدرك أنها لا تمثل شيئًا غير الإسلام نفسه متمثلاً في حركة حضارية (فكرية واجتماعية).

وأخيرًا فإن ملامح المنقذ البطل لا تمثل عسرًا في أمة لديها معيارها الواضح في تقويم الأشياء والرجال والدعوات من كتاب ربها وسنة نبيه ﷺ.

وما جرى من خداع للأمة من قِبَل الانتهازيين الذين لعبوا عليها زمنًا وأوقعوها في الوبال وسوء المآل إنما هو نتيجة غفلتها عن هذا المعيار وانخداعها بتزييفات جعلتها تقع في شباكهم.

ولو رجعنا إلى كتابات كثيرين من قادة الفكر الإسلامي إبان انتفاش أولئك الأبطال لوجدنا أنها كانت - في ذلك الوقت - تكشف وتحذر الناس من مصائر كريهة تحققت بعد ذلك.

وعلى كل حال فإن أهم علائم الصدق والأحقية في البطل المتصدي لقيادة الناس في الأمة العربية أو الإسلامية هي صحة تدينه في ذاته، وتقريبه أهل الإخلاص والحكمة، وتناغم جهوده النهضوية بتبني مشروع الإسلام والأمة بشموله، ووضوح خطواته، وبناء الثقة مع شعبه وفئات مجتمعه، والتمكين لمشروعه في الحياة من خلال إقامة المؤسسات التي تضبط عملية ترسيخه في الواقع وبناء حَمَلَته من الأفراد والتابعين. ■



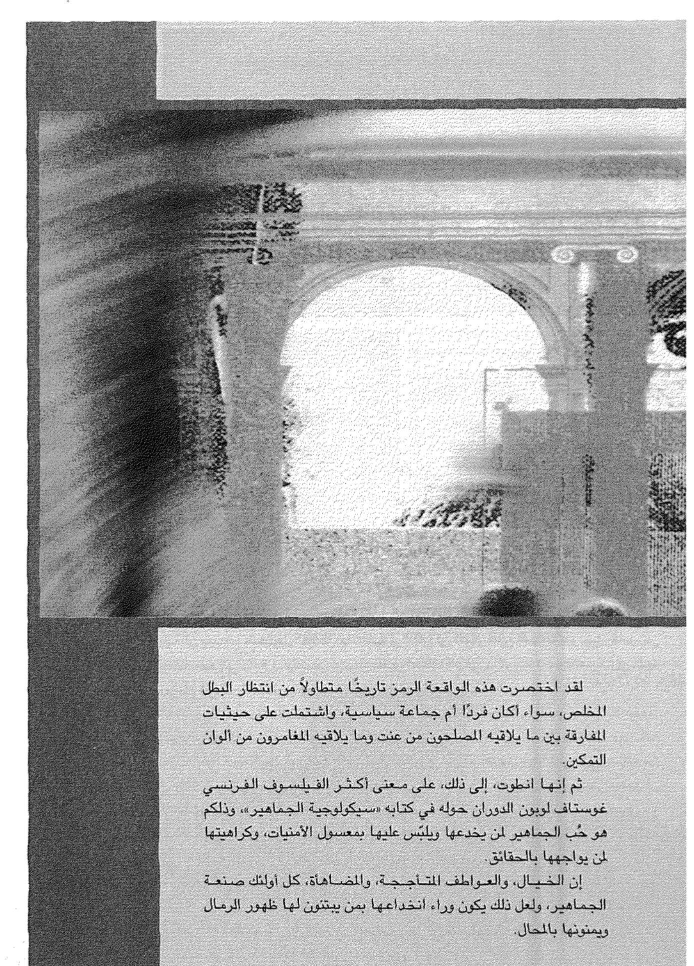
الأمة الواعية هي البطل المنتظر

إبراهيم العجلوني *
الأردن

يذكرني حديث «البطل المنتظر» بما كان من زارا بطل رائعة الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه «هكذا تكلم زرادشت» التي ترجمها الأديب البارع فيلكس فارس تحت إشراف إمام العربية الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، وذلك حين نزل من الجبل معتقداً أن الجمهور في انتظاره، ثم فوجئ لدى وصوله إليه أنه منشغل عنه بـ «المهرج» وأنه مأخوذ بألاعيبه.

---

* كاتب أردني.



لقد اختصرت هذه الواقعة الرمز تاريخًا متطاولاً من انتظار البطل المخلص، سواء أكان فردًا أم جماعة سياسية، واشتملت على حيثيات المفارقة بين ما يلاقيه المصلحون من عنت وما يلاقيه المغامرون من ألوان التمكين.

ثم إنها انطوت، إلى ذلك، على معنى أكثر الفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون الدوران حوله في كتابه «سيكولوجية الجماهير»، وذلكم هو حُب الجماهير لمن يخدعها ويلبّس عليها بمعسول الأمنيات، وكراهيتها لمن يواجهها بالحقائق.

إن الخيال، والعواطف المتأججة، والمضاهأة، كل أولئك صنعة الجماهير، ولعل ذلك يكون وراء انخداعها بمن يبتنون لها ظهور الرمال ويمنونها بالمحال.



وإذا كان صحيحًا أن لكل مِلّة مخلصها المنتظر أو مهديها القادم من سُجُف الغيوب، أو بطلها التاريخي المنقذ، أو «جودو» الذي تنتظره على أحر من الجمر؛ فإن ثمة أحوالاً وارتهانات موضوعية تميل بقوم دون قوم إلى أن يحتشدوا في مواجهة الأخطار والتحديات وأن لا يقيموا وزنًا، في ذلك، لغير هممهم وعزماتهم، وتجعل فئة دون فئة وقد تخاذلت قواها، ووهنت سواعدها، وجلست تنتظر من يمد إليها الأسباب ويقرّب نحوها الأهداف!

هذه الأحوال والارتهانات هي ما نسميه «طبائع الاستبداد» حين يتعلق الأمر بنا نحن العرب والمسلمين، وهي جملة المواضعات السياسية والاجتماعية والثقافية التي تدفع الغالبية العظمى منّا إلى الشعور بالهوان، وتقعد بهم عن أي فعل إيجابي، وتجعلهم كمًا متصلاً رازحًا في المكان، فاقد الإيمان بقدرته على التغيير، متلدّدًا، حائرًا يترقب..

لقد أمكن لتنائي الأمكنة وتباعد المصاير في عصور ما قبل النهضة الأوروبية أن يسمح بتحويل الموات الاجتماعي والفوضى السياسية إلى واقع متوثب في مدى عمر رجل واحد، وقام في تاريخنا أنموذجات لتغيير ما في الأنفس، ولاجتماع الكلمة، ولأفعال تحرير البلاد والعباد. ولكننا اليوم في عولة عسكرية طويله الذراع، وفي عالم تقاصرت أطوالة وتقاربت أبعاده، وكل نأمة مرصودة لها، وإنك لا تدري أيكون مجرد تذكر اسمك عملاً من أعمال «الإرهاب» يطلب لأجله رأسك أم لا؟ فكيف بك إذًا داعيًا إلى التغيير أو ساعيًا فيه؟

على أن الأمر هنا لا يتجاوز سطوح الأشياء وظواهرها، فثم في البواطن القريبة والبعيدة ما يقلب الجغرافيا فإذا هي تاريخ غابر، وما يقلب التاريخ فإذا هو جغرافيا مشهودة، لكن ذلك غير منوط بأفراد أفذاذ ننتظرهم، أو بمؤسسات نقيمها على هوى الآخرين أو بما يُرضيهم، بل منوط باستعادة العافية العقلية والوجدانية للأمة، وبحسن استماعها لآيات الكتاب الكريم الذي أنزل هدى ورحمة، ففي ذلك وحده النجاة من براثن الاستلاب الذي قد يمارسه الأفراد والجماعات على حد سواء، وضمان أن لا نكون ذاهلين عن حقائق الواقع الذي نبلو أو منصرفين إلى خزعبلات المهرجين أو المرتزقة الذين يأتوننا في مهمّات محددة، أو يعبرون آفاقنا عبور الصحون الطائرة ثم لا يكون وراءهم إلا آثار الخيبة وأصداء الحبوط..

وإذا نحن تدبرنا في تجربة صلاح الدين الأيوبي، ورأينا إلى ما اجتمع له من عوامل النصر؛ فإننا منتهون بالضرورة إلى أن البطل على الحقيقة هو جيل كامل من المسلمين امتلك الوعي والإرادة لا فرد عبقري ملهم اجترح المعجزة ثم ترك مكانه فارغًا.

وعلى عظم دور الأفراد في الأمم، وبالغ ما يعوّله عليهم بعض الفلاسفة مثل كارلايل والعقاد ونيتشه فإنهم محكومون بواقع أممهم، وبما يمور في أعماقه من حيوات، وما يصطرع فيه من أسباب، وليس يجوز أن نحملهم ما لا يحتملون، أو أن ننتظر منهم فوق ما يسمح به منطق الحياة نفسها أو قواعد الحركة والتغيير فيها.

وصدق الله العظيم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ بما هم جماعة لا بما هم أفراد أفذاذ. وبما هم مجتمعات حيّة لا بما هم زعماء محظوظون.. ■

البطل المنتظر، إسقاط غبي وأمنيات عذاب:

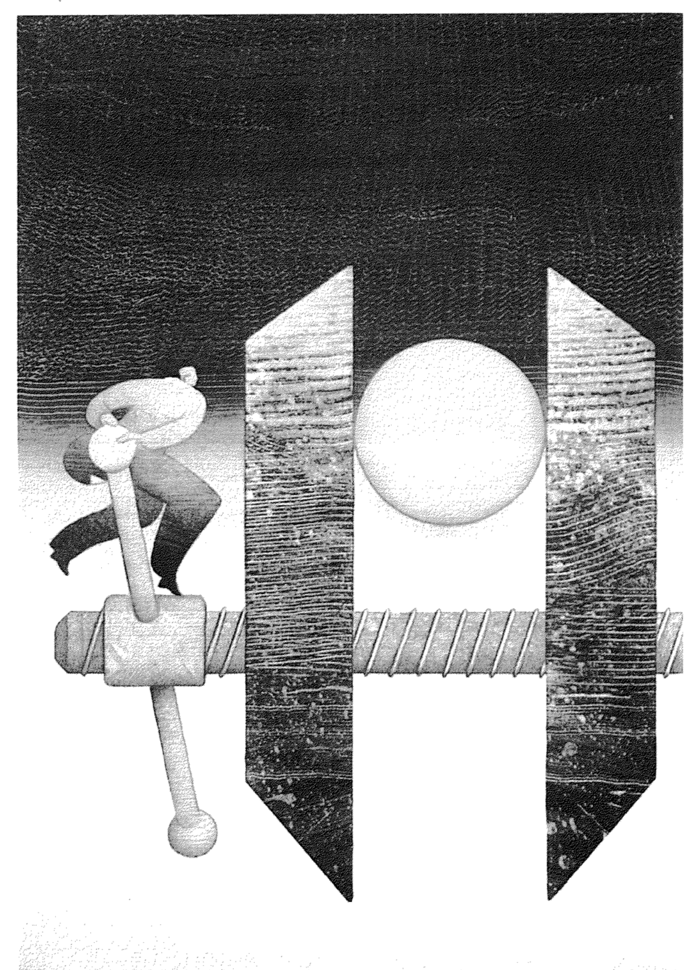
الأزمة ليست في من يقود بل من يصنع القائد

حسن بن فهد الهويمل *
القصيم

لو عاد صلاح الدين، وهو البطل الأكثر حضورًا، في زمن يعيش فيه (بيت المقدس) تحت وطأة الاحتلال الصهيوني، وإلحاح الخطاب الوعظي التحريضي على حضوره يحيل إلى أنه القائد المحرر للأرض المباركة مسرى الرسول ﷺ من حكم الصليبيين الممتد قرنًا من الزمن، ولمّا يكن أمل في تحريره لولا ظهور هذا البطل، أقول: لو هب ذلك البطل المظفر من مرقده الذي وطئته حوافر الغزاة من جديد، وركل قائدهم ما شرف من قبره قائلاً: (ها نحن عدنا يا صلاح الدين). فكيف نتخيل عودته؟

---

* أستاذ جامعي، رئيس النادي الأدبي ببريدة.





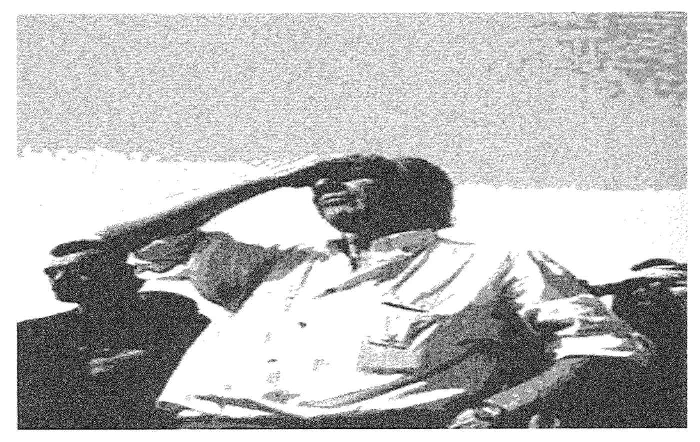
أنستقبله على صهوة جواده، متشحًا بسيفه تعلو رأسه لأمة الحرب، متسربلاً بدرعه الواقي من رؤوس الرماح وذوائب السيوف ورائش السهام، وهو لو عاد فلن يكون أكثر من ذلك، وحين لا نوده كذلك فإنه لا بد والحالة تلك من أن نعيد دورة الزمن إلى الوراء ليكون العالم الغربي المتغطرس بقوته، كما هو يوم أن منحه الله القوة. إذ لو عاد كما كان لأخذ طريقه إلى المتحف، أو إلى منصة التمثيل، فهو بإمكاناته التاريخية لا يستطيع أن يرد قطيعًا من الغنم، لأن الأرض من بعده غير الأرض، والناس غير الناس، والفضاء غير الفضاء.

وحين لا نكون حفيين به على ما هو عليه يوم عقد الله في ناصيته الخير، فإننا سنتصوره زعيمًا يحمل معه حقيبة الأزرار السرية المشفرة المتحكمة في قواعد الصواريخ المحملة بالرؤوس النووية، وحين يكون ذلك فإنه لن يكون صلاح الدين الذي أضاء وجهه صفحات التاريخ. وعلى أية حال فإن البحث عن البطل التاريخي، أو البطل المنتظر ممارسة إسقاط غبي وأمنيات عذاب ننسى فيها آلامنا، ونقضي فيها زمنًا عذبًا، لأننا نحيل عليها كل أخطائنا، ثم نفرغ للعبث الماجن والاسترخاء الممل، ما دمنا في انتظار البطل كي يذهب هو ورصيد السمعة ليقاتلا ونحن ها هنا قاعدون.

والمتأمل في الواقع العربي والإسلامي يرى أنه بأمس الحاجة إلى أشياء لا يكون البطل التاريخي من أولوياتها، إنه بحاجة إلى المؤسسات التي تصنع الأبطال.

أزمة الأمة ليست فيمن يقود، ولكنها فيمن يصنع القائد، العالم اليوم غيره بالأمس، وعقدة التميز، ومأزق المفاضلة لم يعودا الخطاب الأمثل، العالم اليوم تديره المؤسسات مثلما أن العالم تنتجه المعامل والمختبرات. والمجتمعات المتخلفة لا تصنع الأبطال البدائل، فالبطل لا ينسل من صفحات التاريخ ولكنه يولد من رحم الأمة. وكيف تتأتى لها ولادة الأبطال وهي تتجرع مرارات التخلف الذي لم يكن نبتًا شيطانيًا مفاجئًا، تنهض لمنازلته وقطع دابره. إن الواقع العربي والإسلامي منتج حقب تاريخية ممتدة مع الزمن، نستطيع أن نستبين بدايتها بالطعنة الغادرة التي تلقتها خاصرة ابن الخطاب - رضي الله عنه - من يد مجوسية أثمة أرادت أن تكسر باب الفتنة العمياء فلا يغلق أبدًا، وهكذا كانت نبوءة شهيد المحراب، لقد تتابعت المؤامرات، وتعاقبت المكائد، وقامت الأنظمة المتسلطة، تسوم الناس سوء العذاب، والتف من حول حكام السوء من يشرعن التخلف، ويزكي الجور، ويبرر الظلم، ويعذر للتخلف، وتقاسمت الأزمة مناصفة (الأنظمة) و(الأمم).

فإذا كنا نعوّل على حكومة المؤسسات والمطابخ السياسية فإن ذلك لن يكون حتى تنهض الأمة من عثرتها، وحتى تتمثل تربية عظيمة وثقافة عميقة ووعيًا غير منقوص. ولأن الأجسام العليلة مراتع خصبة لكل الفيروسات والجراثيم، فإن الأمة الضعيفة المستضعفة مجال رحب تجوس خلاله مؤامرات الأعداء الماكرين ومكائدهم، لتحقيق المكاسب وتسويق زائف الحضارات، ولكيلا يتحرك المارد العربي والإسلامي فقد عمل الأعداء على توفير المناخات الملائمة لإطالة زمن التخلف، فالعداوات الطائفية، والمنازعات



الحدودية، والأنظمة الثورية العنيفة، والتخلف المستحكم، والفقر المدقع، والجهل المظلم، والوطنية الزائفة، والحدود المصنمة. كل ذلك ومثله معه من عوائق النهوض من الكبوة. وليس مجديًا في الملل السياسية أن نحلم بعودة البطل، فالتاريخ موعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ولن يكون رحمًا يلد القادة أو يبعثهم من مراقدهم، فكل زمان له دولة ورجال و(العظاميون) و(الأبويون) من يبلسمون جراحهم بالهروب إلى التاريخ لاسترجاع أمجاده وأبطاله، ومن يتكدسون على أرصفة الطريق لانتظار ما لا يأتي.

الأمة العربية والإسلامية تمتلك مقومات القوة لو أنها استطاعت أن تخلص نفسها من ركام التخلف الذي كسبته من أيدي أبنائها ومكائد أعدائها، ومن عوائق التقدم التي وضعها الأعداء في طريقها. البطل المنتظر ليس هو ذلك القائد الذي وسعته صفحات التاريخ ولكنه التشريع السماوي الذي عُطلت حدوده بالأنظمة الوضعية، وعطلت حروفه بالقوميات الزائفة. فالأمة التي طال تعثرها لن يقيلها من تردياتها إلا ما أقال عثرتها من قبل، لقد وجدها الوحي الرباني يتيمة بين حضارات مادية فآواها إلى حضارة ربانية، ووجدها ضالة في متاهات الجهل والخرافة فهداها إلى نور العلم وحقائق الوجود، ووجدها فقيرة بين شعوب العالم فأمدها بالغنى والقوة، فكانت سيدة العالم، بعملها وأخلاقها وعدلها وإحسانها وسائر شؤونها.

إن عودة البطل المنقذ حين تكون الأمة متكافئة مع أعدائها في العدد والعدة العلمية والعسكرية بحيث يكون البطل المنتظر مستثمرًا لهذه الإمكانات وموجهًا لها، أما حين تتخلف الأمة وتجتاحها المعوقات المكتسبة فإنها بحاجة إلى أن تصنع نفسها. ومن ثم فإن هناك بطلاً منتظرًا بل هناك أكثر من بطل، غير أنه لا يكون بالضرورة من الأناسي. البطل المنتظر: مؤسسات تربوية تصنع الإنسان على عين الدين والعلم. ومؤسسات سياسية زكية وذكية تحكم بالعدل والإحسان، وتحترم الأنظمة والدساتير وتوفر الحريات المنضبطة، ومؤسسات شورية تنصح لله ولرسوله وللمؤمنين، ومؤسسات تشريعية واعية لمتطلبات المرحلة ومقتضيات العقيدة وحاجة الأمة، ومؤسسات تنفيذية لا تأخذها في الحق لومة لائم. وأمة واعية تدفع بفلذات أكبادها في مسارح العلم وقلاع الصناعة وفيافي الزراعة لتأخذ طريقها إلى دروب العزة والكرامة.. ذلكم هو البطل المنتظر وتلكم هي سماته وصفاته. ■



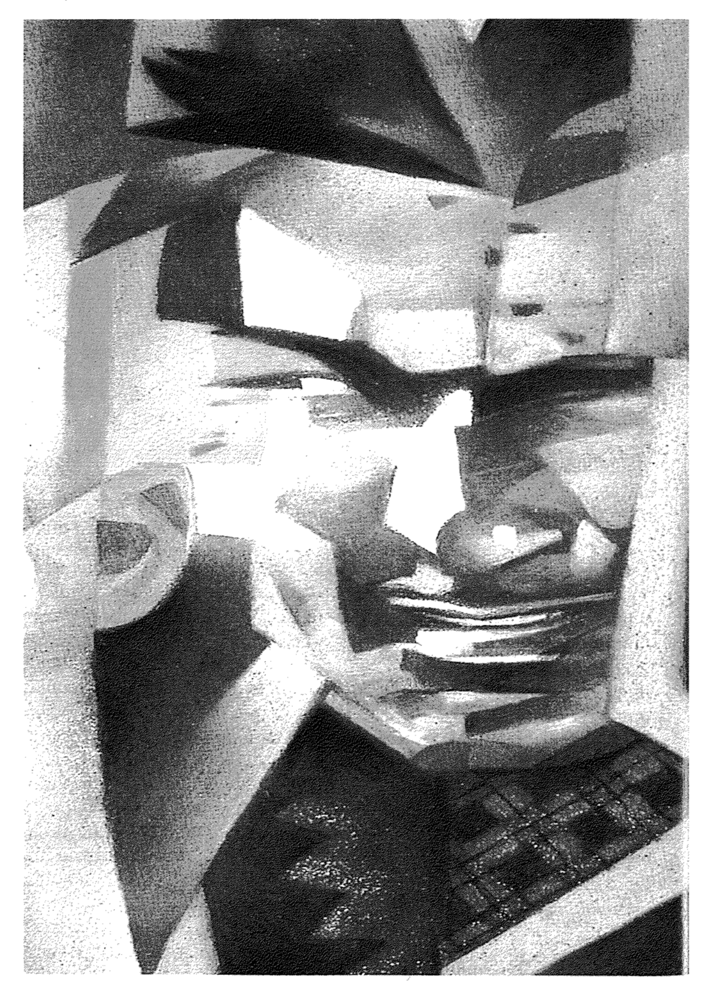
ولماذا نقول «البطل»؟

صافي ناز كاظم *
مصر

لست خبيرة لغوية، ولكني تأملت في كلمة «بطل»، وبحثت عنها في ألفاظ القرآن الكريم فلم أجدها، إلا في التشابه بين «باطل» و«بطلان» و«بطَل»، فلم أحبها، وفي القاموس تتشابه مع ما دلالته الخسران والضياع والترهات والتعطل والهزل والكذب والشيطان والذي فسد. صحيح بين كل تلك المعاني غير المريحة، هناك معنى: «بطل» صار شجاعًا، لكن لماذا يلتبس مع مفردة لها مثل هذه التداعيات المشؤومة؟ إنها مثل مفردة أخرى لا أحبها كذلك، ألا وهي «زعيم»، لأنها من أسرة «الزعم» أي «الادعاء» غير المؤكد صدقه.

---

* كاتبة مصرية.





في وعينا الإيماني هناك مفردات مثل: فداء، جهاد، انتصار، رباط، إمامة، هداية، قيادة، ومنها يأتي: فدائي، مجاهد، منتصر، مرابط، إمام، مهتدي، قائد، ومع هؤلاء «الشجاع» و«الباسل» وفوقهم جميعًا «الشهيد» الذي قاتل في سبيل الله وهو حي مرزوق عند الله سبحانه وتعالى. كل هذه المفردات كانت معنا ماضيًا، وهي معنا في الحاضر، وننتظرها مستقبلاً - إن شاء الله - وعلى الدوام.

***

ولأننا أبناء دين يحثنا على «الجماعة»، فالمسجد «جامع» خلف «إمام» يقود «الجمع» في كتلة «موحدة»، وحتى حين يقف المصلي «وحده» يستشعر «الجماعة» في الفاتحة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم﴾، وحين يبتهل بالدعاء تغلب عليه صيغة الجمع «ربنا».

***

نحن أبناء دين ينهى عن «الفردية»، لا يعترف بمصطلح «البطل الأوحد» و«الزعيم المنقذ» والذي يزكي نفسه ويقول: «أنا.. أنا الذي سأفعل فانتظروني».

***

نحن أبناء دين يلزمنا بفرض «عين» أو فرض «كفاية»، وفي الحالين هناك «الجماعة» الملزمة والمسؤولة عن حماية «الأمة» والدفاع عن «بيضة الإسلام» و«الرباط على كل ثغر» تحت إمرة قيادة، مبايعة والأمر «شورى» وغير مسموح بالغرور والاستعلاء والانتفاش حين يتحقق النصر، فما النصر إلا من عند الله، والبلاء لدفع الابتلاء، واليقين أن المؤمنين الذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون، والأجر والثواب والتكريم عند الله عز وجل، فلا ينتظر شجعاننا أكاليل الغار فوق الرؤوس أو حول الأعناق، ولا يأبهون لمعلقات فوق الصدور يثبتونها زينة وفخارًا وتيهًا وإعجابًا بـ «البطل» و«البطولة»، فهذا كله عندهم «باطل» و«بطلان» و«زعم».

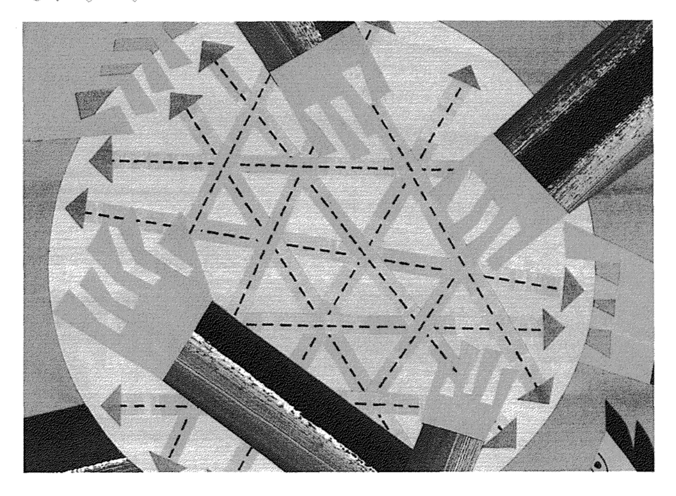
***

نحن أبناء دين يطلق على مجاهديه «أسد الله» و«سيف الله المسلول» و«المعز لدين الله» و«العزيز بالله» ولأن معاركه لابد أن تكون في «سبيل الله»، فقتلاه في الجنة، وقتلى المعتدين على دينه في النار. والذي يرضى عنه الله ينهض به للقتال ضد البغي والكفر والفسوق والعصيان، ومن يكره الله انبعاثه: يثبطه فلا ينهض: ﴿كره الله انبعاثهم فثبطهم﴾، ومثل هؤلاء يسميهم القرآن الكريم «المعوقين»، ويرشدنا إلى معرفتهم في «لحن القول»، في الالتواء بالمنطق، في الادعاء بأنهم منا وما هم منا، في كونهم أشحة على الخير، ويسلقون الباذلين الخير، بألسنة حداد.

***

متى دلفت مفردة البطل و«البطولة» بوقع «إيجابي» إلى تعبيرنا اللغوي والأدبي، فجلبت معها الفردية، والشموخ بالذات، وتولد منها الركون إلى «انتظار» هذا الذي سوف يخرج «وحده» ليؤدي عن «الجميع» الفعل «الفذ» المأمول من أجل «الخلاص»، وهم قعود مع السكوت والانبهار وهتاف الحناجر ليحيا «البطل» ويعيش، نقيضًا لـ «القائد» الذي يختاره «المرابطون» من بين صفوفهم، ليؤمهم نحو «عبادة» القتال الذي أمر به الله، ليتشارك «الجميع» في أداء فريضة الجهاد لإحقاق الحق وإبطال الباطل بحول الله وقوته.

***



«قتلانا» الذين في الجنة كما قال نبينا ورسولنا محمد ﷺ هم «الشهداء»، فهل هم بهذه الدرجة التي رفعهم إليها سبحانه وتعالى في حاجة إلى لقب يضاف إليهم ليقال: «شهداؤنا الأبطال»؟ كيف وهم الذين سوف يأتي بهم ربهم ليشهدوا على من أفسدوا في الأرض وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا؟

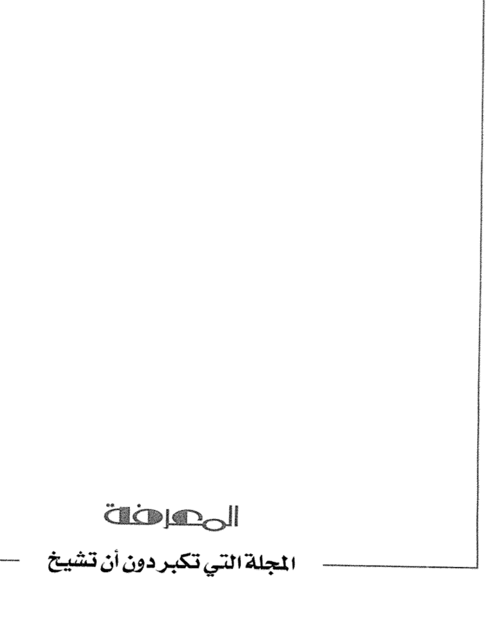
***

إلى أي شيء أدى مصطلح «البطولة» و«البطل» سوى إلى إقامة التماثيل للأبطال، فكأنك جمدت الحركة، والطاقة، وبددت سخونة الروح إلى الملمس البارد للحجر، بينما يظل «الاستشهاد» و«الشهداء» تدفقًا يتنادى بالتكبير والتهليل لله «الغفور ذي الرحمة». مصطلح البطولة أخرجنا عن السبيل الحق، فقامت «بطولات» في سبيل التاج، وفي سبيل الزعيم، وفي سبيل «القضية»...إلخ، حتى تفرقت بنا «السبل» عن «سبيل الله»، الذي حين نسلكه يأخذنا إلى الحق، والعزة، والقوة، والكرامة، كرامة الدنيا والآخرة.

***

صارت دعوة الخطباء في المساجد نحيبًا تغرق معه الدموع واللحى: «اللهم ارحم ضعفنا، اللهم حالنا لا يخفى عليك، فالطف بنا، تكاثرت علينا الأعداء، فانصرنا..» إذ كانوا يدركون كل هذا «الضعف» ومغبته، فلماذا لا يتأسون برسول الله ﷺ، ويتدارسون جيدًا سور «التوبة» و«الأنفال» والأحزاب» و«محمد»، ويتبعون الدعاء ومع قولهم «الصلاة جامعة- بالقول الجهير»: «النهضة جامعة»، «المقاومة جامعة»، «الجهاد جامع»، ﴿انفروا خفافًا وثقالاً﴾ هكذا يكون الدعاء، وهكذا يكون الرجاء، وهكذا يكون النداء، وعلى هذا يكون «الانتظار» لتحقيق «الوعد» الإلهي. إن الله لا يخلف وعده، ولنقرأ في قرآننا الكريم: بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت:٢-٦]. ■


المعرفة
المجلة التي تكبر دون أن تشيخ





حول الدلائل العقدية الكامنة في معطيات العلم الحديث:

المبدأ الديني الكوني

إبراهيم حسن عثمان *
السودان

في عام ١٩٧٤م قدم الفيزيائي الفلكي البريطاني براندن كارتر ملاحظات حول الدقة المذهلة للثوابت الكونية مثل ثابت الجاذبية، وسرعة الضوء وشحنة وكتلة الإلكترون والبروتون والنيوترون وغير ذلك، هذه الدقة تشير إلى أن اختيارها تم لكي تظهر الحياة الإنسانية العاملة في الوقت بالضبط، وأن أي اختلاف مهما بلغ من الصغر سوف يؤدي إلى اختلاف النتيجة تمامًا وغياب ظاهرة الإنسان ومن هنا ظهر ما يسمى بالمبدأ الإنساني الكوني {The Anthropic Cosmological Principle}.

* كلية العلوم - جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

وهكذا عاد التفسير بالغايات للظهور بعد أن ظن كثير من علماء الفيزياء أنهم قد تجاوزوا هذه المرحلة، وبدأ العلم الحديث يضع أقدامه على الطريق الصحيح[٧].

ونحن توسيعًا لهذا المبدأ، وبناء على فهمنا للأبعاد الفلسفية لمبدأ هايزنبرج وتعميمه ليشمل الكون والحياة الإنسانية العاملة نعرّف مبدأ مهمًا ونسميه: «المبدأ الديني الكوني».

في هذا العصر. وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالعصر في كتابه الكريم فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر:١ -٣]. قال ابن كثير عند تفسيره لهذه السورة: إن العصر هو الزمن الذي تقع فيه حركات بني آدم من خير وشر.

المبدأ الإنساني الكوني :

ظهر المبدأ الإنساني الكوني في صيغتين:

- الصيغة الضعيفة التي تقول: «إن قيم الثوابت الفيزيائية والكونية المقيسة تجريبيًا تخضع لمبدأ يرى وجوب ظهور الحياة في كون ذي عمر يكفي لوجود ملاحظين عقلاء».

- الصيغة القوية للمبدأ تقول: «يجب أن تكون للكون خصائص ولثوابته قيم تسمح بظهور الحياة في نقطة زمنية محددة» [٧].

إذًا وبناء على هاتين الصيغتين فقد احتاج الكون إلى أن يتوسع في قطره حتى بلغ عصرًا يظهر فيه هذا الكائن الصغير «الإنسان».

«« إن التصور المبني على الحتمية للعالم قد انهار عندما لمس الفيزيائيون في نهاية القرن التاسع عشر التركيب الذري للمادة، وكان ما اكتشفوه هو أن الوحدات الذرية للمادة تتصرف بطريقة غير محددة لا يمكن التحكم فيها، وقد عجزت الفيزياء المبنية على الحتمية عن تفسيرها، واستجاب النظريون لهذه الاكتشافات بابتداع نظرية فيزيائية جديدة هي ميكانيكا الكم. »»

الإنسان مختار لفعله :

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ليبتليه، وجعل له إرادة ومشيئة، وأعطاه حرية الاختيار لفعله، فالإنسان ليس مجبرًا على فعل شيء، وهذا لا ينافي القدر المكتوب، فالقدر حق والاختيار حق، وهذا هو قول أهل الحق الذين يجمعون بين الإيمان بقدر الله وإثبات إرادة العبد ومشيئته وفعله، وهو القول العدل الوسط، بين قولي القدرية (نفاة القدر) والجبرية (الغلاة في القدر) [٤،٥،٦] والجبرية في علماء الفيزياء هم أهل المذهب «الحتمي» الغالي، والقدرية فيهم هم أهل المذهب «العشوائي» الجافي.

العصر .. والإنسان :

إن توسع العالم قد مر عليه عصور مختلفة - منذ أن بدأ - شملت عصرًا مميزًا ملائمًا لظهور الحياة الإنسانية العاملة. وهذا العصر بالذات يمثل فترة قصيرة من عمر عالمنا، وفي هذا العصر وجد الإنسان في الأرض منذ آدم عليه السلام إلى آخر فرد من ذريته، أي أن كل الأحداث الإنسانية من خير وشر تقع

انهيار الحتمية وبطلان العشوائية :

طبقًا للحتمية يمكن النظر إلى الكون على أنه آلة زمنية ضخمة وأدارتها يد إلهية عند بدء الزمن وتركت دون اضطراب. وفيما بين حركتها القصوى وحركتها الصغرى يتحرك الخلق المادي كله بطريقة يمكن التنبؤ بها بدقة مطلقة بواسطة قوانين نيوتن. أي أنه من الممكن تعين المستقبل من الماضي بالدقة نفسها التي تعين بها حركة الساعة في تقدمها.

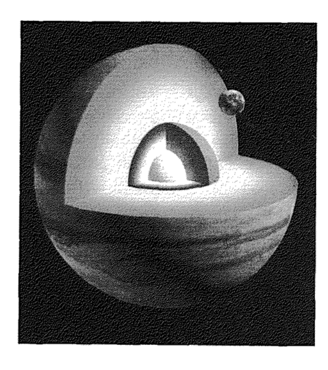
إن هذه الحتمية الصارمة التي تنسب إلى لابلاس (laplace) ترى أن الكون الذي تدركه الحواس موجود مستقلاً عن إرادة الإنسان وغايته، ولا يمكن فعل أي شيء لتغيير أي شيء [١٠].

إن حتمية لابلاس هذه باطلة.. لأن فيها تعطيلاً لأفعال الربوبة وإقرارًا لمذهب الجبرية.. فالله سبحانه وتعالى لم يترك العالم - بعد أن خلقه - دون أن يتدخل في شؤونه، بل هو سبحانه يدبر شؤون الخلائق، لا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلطه المسائل، فهو سبحانه المالك لأزمة الأمور، يفعل ما يشاء. قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ . . . ﴾ [يونس: ٣] .

يقول لوي دي بروي: «كان للحتمية في النظريات التقليدية للفيزياء السيادة المطلقة. لقد كان يظن أن كل الظواهر كبيرها وصغيرها يحكمها قوانين صارمة، بحيث يجب أن يحدد بالكامل حالة العالم عند لحظة ما بحالته عند اللحظة الابتدائية» [٩].

إن التصور المبني على الحتمية للعالم قد انهار عندما لمس الفيزيائيون في نهاية القرن التاسع عشر التركيب الذري للمادة، وكان ما اكتشفوه هو أن الوحدات الذرية للمادة تتصرف بطريقة غير محددة لا يمكن التحكم فيها، وقد عجزت الفيزياء المبنية على الحتمية عن تفسيرها، واستجاب النظريون لهذه الاكتشافات بابتداع نظرية فيزيائية جديدة هي ميكانيكا الكم [٨].

سميت الحركة غير المحددة في عالم الذرات: «حركة عشوائية»!، وهي ليست كذلك.. بل هي حركة «اختيارية» «إرادية» حاصلة عن علم وتقدير، فليس في العالم «عشوائية» وإنما كل شيء - صغير أو كبير - مقدر ومكتوب. قال تعالى: ﴿ . . . وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩] .



قال ابن تيمية: «وقد علم أن كل حركة فإما أن تكون «قسرية» وهي تابعة للقاسر، وإما «طبيعية» وإنما تكون إذا خرج المطبوع عن مركزه فيطلب عوده إليه، وإما «إرادية» وهي الأصل، فجميع الحركات تابعة للحركة الإرادية التي تصدر عن ملائكة الله تعالى، الذين هم ﴿المدبرات أمرًا﴾ و﴿المقسمات أمرًا﴾، وغير ذلك مما أخبر الله به عن الملائكة، وفي المعقول ما يصدق ذلك [٣].

مبدأ هايزنبرج والحركة الاختيارية :

إن مبدأ هايزنبرج المحتواة ضمنيًا في المسلمات الإحصائية لميكانيكا الكم لا يعبر أساسًا عن الارتياب العملي، وإنما يبدو في جوهره كعلاقة عدم تعين، فليست القضية هي الاختلاف حول إمكانية تحديد موضع واندفاع الجسيم في وقت واحد، وإنما يعتقد أن الجسيم لا يمتلك اندفاعًا معينًا ولا موضعًا محددًا بوجه عام، وهذا يعني أن فكرة وجود جسيم عند موضع ما قبل ملاحظته ليس لها معنى أبدًا، وعلينا أن نتصور الجسيم كشيء منتشر في مجال الموجة بكامله، أي أنه موجود «إحصائيًا» في جمع نقاط الموجة، وأنه يتحول في حدود هذه الموجة من موضع إلى آخر باحتمال متبدل مع المكان، وأن القياس وحده هو الذي يزودنا باحتمالية معينة. أي أننا لا نستطيع أن نظهر الجسيم إلا من خلال عملية قياس ما، ونكون بهذا قد جعلنا لكلمة «تحديد موضع» مغزى فليس للجسيم قبل القياس مكان محدد لأنه يكون على امتداد الموجة بشكل احتمالي، ويظهر فقط كشيء محدد عند تأثير جهاز القياس على الموجة.

إذًا، فإن عملية القياس نفسها هي واحدة من احتمالية توضّع الجسيم. أو بعبارة أدق: إن التأثير المتبادل للنظام الكمي الملاحظ مع جهاز القياس هو

الذي يحدث اختزال السحابة الموجية في الذرة إلى جسيم[٨].

الكمّات وعالم الوعي :

لا يقتصر هذا الرأي «مدرسة كوبنهاجن» على هذا الوصف فقط بل يرى أيضًا أن توضع الجسيم لا يتعلق فقط بالتأثير المتبادل بين النظام الكمي الملاحظ وجهاز القياس، وإنما يتعلق بوجود الإنسان الذي يلاحظ الأشياء المرصدة. ولكن هذا الإنسان الملاحظ نفسه يتكون من مجموعة من الجسيمات التي تخضع إلى وصف فيزيائي، وبدلاً من اعتبار المجموعة (نظام كمي ـ جهاز قياس) يجب أن نعتبر المجموعة الشاملة (نظام كمي ـ جهاز قياس ـ ملاحظ) ويكون توضع الجسيم بالتالي محتوى في التطور الزمني لهذه المجموعة[٨]. فليس التأثير المتبادل بين القياس والنظام الكمي وحده هو الذي يحدث دالة موجية للنظام أثناء القياس، إنما الإدراك للأنا هو الذي يؤثر على التوزيع الاحتمالي للجسيم في الطيف الموجي، وينشئ بحكم فكره المدرك وملاحظته بالقياس شيئًا جديدًا ملموسًا باختيار دالة موجبة معينة للجسم وذلك بدءًا من الآن.

إن هذه الفكرة المؤيدة بالوقائع التجريبية تدل في جوهرها على قضية الاختيار، أي اختيار الإنسان لفعله وأنه غير مجبر ـ خلاف ما تزعم الجبرية ـ وأن أفعال الإنسان وما يترتب عليها من خير وشر على الرغم من أنها مسطرة في صفحات الكون ومقدرة في طياته على صور محتملة ممكنة الوقوع وقابلة للنسخ والتغيير، إلا أنها تبرز في حيز الواقع على وجه يعتمد على الإرادة والاختيار.

يقول الله تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرعد: ٣٩]

(أم الكتاب) كتاب عند رب العالمين، وهو اللوح المحفوظ، وهو الكتاب الأول[١]. والقدر المكتوب في الكتاب الأول لا يبدل ولا يغير، وإن كان الله تعالى قد يقدر خلافه في كتابه الكوني القدري «كتاب الأعمال» في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جار في قدره الأزلي وقضائه القدري. وقد بسطنا الكلام ـ في غير هذا الموضع ـ على الأقدار، وأن الله ينسخ منها ما يشاء ويثبت ما يشاء.

«إن نظرية الكم التي أولت في بداياتها قيمة كبيرة بأن لا تتخطى الإمكانات التجريبية للقياس، أصبحت في نهاية الأمر مضطرة إلى أن تراعي وجود الوعي والذي يقع خارج إطار النظرية الفيزيائية»[٨].

مبدأ هايزنبرج في النظام الكوني ـ ما قبل الانفجار العظيم :

إن ما يعرف بالانفجار العظيم (Big Bang) ليس هو المرحلة الأولى في بداية نشأة هذا العالم، بل سبق هذا «الانفجار» خلق «عظيم» للطاقة، حيث تكثفت هذه الطاقة «الهائلة» وهي تنتقل من «جميع الاتجاهات» نحو نقطة محددة لتكون كتلة عظيمة، صغيرة الحجم، شديدة الكثافة.

إن انتقال الطاقة في هذه العملية لم يكن «عشوائيًا» لكونه ذا طبيعة إحصائية، بل صدر عن «إرادة» من حكيم خبير، و«تقدير» من عزيز عليم.

وفي هذه المرحلة يمكننا القول أن تخطيط الفراغ الفيزيائي وتحديد بنائه الهندسي قد قدر، فلم تستقر تلك الكتلة الكونية الهائلة إلا والبناء الهندسي للمكان الوجودي بعصوره المختلفة وأطواره المتعددة محتف في طيات هذا «الكتاب» الإحصائي.

إن بروز الأحداث المقدرة الكامنة في هذا الكتاب إلى حيز الواقع هو أمر احتمالي ممكن الوقوع يتوقف على الإرادة والاختيار، وليست كل الأحداث المسطرة في صفحاته يتحقق وجودها في الواقع المشاهد، بل ينسخ الله ما يشاء ويثبت منها ما يشاء. كما قال تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرعد: ٣٩]

والكتاب كتابان ـ كما قال ابن عباس ـ فكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. قال الضحاك ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ قال: كتاب عند رب العالمين. وقال كعب لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين لولا آية في كتاب الله لأنبأتك بما هو كائن إلى يوم القيامة، قال وما هي؟ قال قول الله تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ... ﴾[١]. يعني أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء، ويدل على هذا قول النبي ﷺ: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر» وثبت في الصحيح أن صلة الرحم تزيد في العمر. وفي حديث آخر: «إن الدعاء والقضاء

ليعتلجان بين السماء والأرض».

إن قول كعب ـ رضي الله عنه ـ يبطل مذهب الحتمية المزعوم، ويدل على أن الله ينسخ من الأقدار ما يشاء ويثبت ما يشاء، وهذا يعني أن الإرادة الإلهية وحدها هي التي تقرر حركة الأشياء وسلوكها. وأن التنبؤ بالأحداث والتكهن بها على وجه اليقين أمر لا سبيل لنيله.

إن الحركة الاختيارية الإرادية في عالمنا ـ وهي ذات سمات إحصائية ـ هي حقيقة واضحة يؤيدها الخبر الصحيح بجانب الحس والنظر الصريح.

إن مقادير الأشياء بعد أن حددت وبشكل احتمالي في هذا الكتاب، حيث يقع منها ما قدر اختياريًا، فتقت أجزاء الكتلة الكونية العظيمة بعد أن كانت رتقًا، وتمددت ليصور منها ما قدر من أشياء، وليبرز إلى حيز الشهادة ما كتب من أحداث. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...﴾ [الأنبياء: ٣٠]

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة». وهذا التقدير بعد وجود العرش، وقبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

الخلق والتقدير.. البرء والتصوير:

بناء على ما سبق يمكننا تقسيم مراحل تكوين العالم إلى المرحلتين التاليتين:

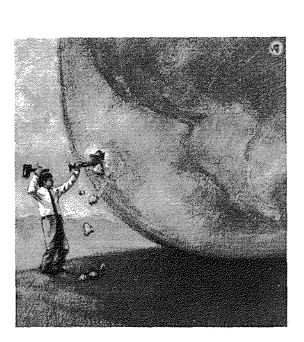
ـ مرحلة الخلق والتقدير (ما قبل الانفجار العظيم): وهذه المرحلة تمت في ستة أيام كما بين الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم.

ـ مرحلة البرء والتصوير (ما بعد الانفجار العظيم): وهذه المرحلة مستمرة إلى يوم القيامة.

«والبرء هو الفرى وهو التنفيذ وإبراز ما قدره الله تعالى وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئًا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٤].

قوله تعالى: ﴿الخالق البارئ المصور﴾ أي الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار، لهذا قال ﴿المصور﴾، أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها[1].

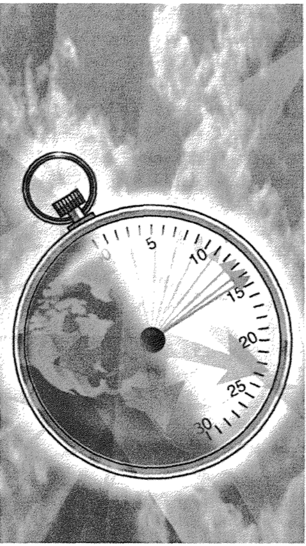
والخلق والتقدير يكون قبل البرء والتصوير كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾ [الأعراف:١١]. وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا...﴾ [الحديد: ٢٢]



إن الأحداث في مرحلة الخلق والتقدير تسير بصورة معكوسة بالنسبة إلى مرحلة البرء والتصوير، فقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه أن خلق الأرض قبل خلق السماء، ودحاها بعد خلق السماء. قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩ - ١٢].

وقال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: ٢٧ - ٣٢]

وعلى هذا فإن آيات النازعات تبين البرء والتصوير، أما



آيات فصلت فتبين الخلق والتقدير لقوله تعالى: ﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ وقوله ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ وقوله ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾، فتأمل ترتيب الأحداث عند خلق الأرض وما فيها من شيء من الآيات الكريمات في كل من السورتين وقارن بينهما، وكذلك انظر كيف جمع الله تعالى بين مدة خلق الأرض (يومين) ومدة خلق ما فيها من شيء بقوله ﴿في أربعة أيام﴾. ولعل من أسرار هذه الآيات التي توضح ما ذهبنا إليه قوله تعالى: ﴿ سواء للسائلين ﴾ عقب ذكره مدة خلق الأرض، وجعل الرواسي فيها من فوقها والمباركة فيها، وتقدير أقواتها فيها «فقوله ﴿ سواء ﴾ أي على حد سواء، يعني يستويان في نفس الأمر ﴿ للسائلين ﴾ أي لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه»(١).

ومعلوم أنه إذا أريد أن يعلم «مقدار» مدة معينة، فإنه يمكن ذلك سواء إذا قدرت هذه المدة من بدايتها إلى نهايتها أو قدرت بطريقة أخرى - بالعكس مثلاً - لا فرق في ذلك.

خاتمة - المبدأ الديني الكوني :

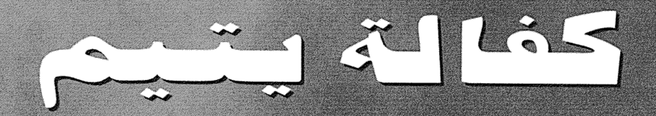
نكتب المبدأ الديني الكوني بالصيغة التالية: (إن الله تعالى قد خلق العالم بخصائص وصفات تتيح للإنسان حرية اختيار فعله المقدر له).

أي أن العالم قد خُلق بهذه الخصائص الإحصائية لتتحقق بذلك الغاية من وجود الإنسان. قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) ﴾ [الإنسان: ٢ - ٣]

إن إثبات إرادة الإنسان - ومشيئته وفعله مع الإيمان بقدر الله - يعني أن الإنسان بمحض إرادته يستطيع اختيار فعله لكونه جزءًا من كيان هذا العالم المتسم بالخصائص الإحصائية التي تتيح له حرية الاختيار. فلا حجة للإنسان إن احتج بالقدر، بل لله الحجة البالغة، وأن الإنسان يدان بعمله، ويحاسب على فعله، ويوم الحساب هو يوم الدين «والدين معناه الجزاء بالعدل»(٢). ويكون عند انتهاء هذا العالم، وهو يوم القيامة... يوم يطوي الله السماء كطي السجل للكتاب ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ﴾ [الكهف: ٤٩]. ■

المراجع :

[١] ابن كثير، تفسير القران الكريم. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
[٢] عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت.
[٣] ابن تيمية، مجموع الفتاوى. المجلد الخامس (ص٥٥٩).
[٤] عبدالعزيز بن باز، العقيدة الصحيحة وما يضادها.
[٥] محمد بن صالح العثيمين، شرح ثلاثة الأصول، دار الثريا للنشر.
[٦] محمد خليل هراس، شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية. مكتبة دار الكتاب الإسلامي، المدينة المنورة.
[٧] مجلة المعرفة العدد (٦١) ربيع الآخر ١٤٢١هـ.
[٨] هيفاء شعيتاني: أمواج وجسيمات. دار المعاجم، دمشق.
[٩] يحيى هاشم حسن، الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة. دار المعارف، القاهرة.
[١٠] هينزر. باجلز، رموز الكون «الفيزياء الكمية كلغة للطبيعة». الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة.



بعطائكم

نعطي

المزيد



هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية

مكتب الرياض

٤٩٣٠٠٣٣



تشومسكي وموقفه من الصهيونية

محمد الصاوي
الإسكندرية

تتهم الدراسات الفلسفية غالبًا بالابتعاد عن واقع الناس، وغالبًا ما يبدو دارسو الفلسفة في صورة ساكني أبراج عاجية. وكثيرًا ما اتهمت الدراسات الفلسفية بأنها معايشة الأموات. ولكن في رحاب الإسكندرية، وعلى بعد خطوات من مكتبة الإسكندرية، سعدت الأوساط الأكاديمية بدراسة فلسفية رائدة؛ لم تحفل بالأموات بل بالأحياء، ولم تغرق في تهويمات وضبابيات الهاربين إلى عوالمهم الأثيرية.

دراسة انجزها سكندري واعد، من أصول صعيدية، تعيدنا إلى صورة أصحاب الهامات السامقة، من رواد نهضتنا الحديثة، بدءًا من الطهطاوي وصولاً إلى عبدالوهاب المسيري.

كانت رسالة الماجستير المقدمة من جمال الدين حمدان، على موعد ضربته الأقدار. وكأنما كان تأجيل المناقشة ٣٥ يومًا لحكمة لم تظهر إلا حين أعلنت الولايات المتحدة وإسرائيل انسحابهما من المؤتمر الدولي المنعقد في دربان بجنوب إفريقيا لمناهضة العنصرية، فكانت الدراسة في موضوعها حدث الساعة: ناعوم تشومسكي وموقفه النقدي من الفكر الصهيوني: دراسة في فلسفة السياسة والتي أجيزت يوم ٢٠٠١/٩/٥م.

لعلها من الدراسات النادرة في قسم الفلسفة التي تدرس شخصية من الأحياء لا الأموات؛ فالرجل موضوع الدراسة حي يرزق، يملأ الدنيا ويشغل الناس، وتطالعنا مقالاته كل صباح، إن في الصحف الأمريكية أو العربية على السواء. وشهرة الرجل في العالم



العربي لا تقل عنها في الغرب؛ فقد زار تشومسكي القاهرة في عام ١٩٩٣ وألقى محاضرات ثلاثًا: الأولى ٩٣/٥/١٢ بعنوان «الشمال/ الجنوب الغرب/ الشرق». والثانية ٩٣/٥/١٣ عن «النظام الاقتصادي السياسي الجديد». أما الثالثة ٩٣/٥/١٦ فكانت عن «الولايات المتحدة والشرق الأوسط». كما تحدث تشومسكي إلى بعض محطات التلفزة العربية ومنها فضائية الجزيرة. ولا يدري إلا المهتمون كم من كتب تشومسكي قد ترجمت إلى العربية.

لم يكن الباحث جمال الدين حمدان في عجلة من أمره؛ إذ تريث في إعداد بحثه وتجويده وتدقيقه وإحكامه، إلى الحد الذي جعله ينفق فيه سبع سنوات. ولا غرابة بعد ذلك أن ينال درجة الماجستير في فلسفة السياسة، من جامعة الإسكندرية العريقة، بتقدير ممتاز.

بعد مقدمة منهجية لا بد منها، قسم الباحث دراسته إلى فصول أربعة، تنول أولها نشأة تشومسكي وتكوينه الفكري، واتجاهه إلى دراسة اللغة، ومنهجه العقلي، وتأثره بكل من ديكارت وماركس ولينين. وتأثره البالغ بأستاذه هاريس اللغوي البارز، وبوالده وليام تشومسكي المتخصص في العبرانية. ولم يغب عن الباحث أن يكشف عن إسهامات تشومسكي العديدة، ومؤلفاته الكثيرة، سواء في مجال اللغة أو في ميدان السياسة.

وكان الفصل الثاني في صلب الموضوع: «الأيديولوجية الصهيونية وموقف تشومسكي منها». خلص فيه الباحث إلى إثبات عنصرية الكيان الصهيوني بوقائع مشهودة، من خلال تقويم تشومسكي نفسه للممارسات الصهيونية، وتقويمه كذلك لعلاقة (الدولة العبرية) بالولايات المتحدة. ويحمد لباحثنا النابه عدم انسياقه وراء تشومسكي على طول الخط؛ فليس من وظيفة البحث الفلسفي العلمي أن يجمّل واقعًا مهما كان. وقد فند جمال الدين حمدان فكرة تشومسكي عن الفصل بين ما يسميه (جوهر الفكرة الصهيونية)، وبين الممارسات اليومية الفعلية على الأرض.

أما الفصل الثالث فقد فصل القول في علاقة الصهيونية بالولايات المتحدة. ولا غرابة أن كان الفصل الأخير عن موقف تشومسكي من القضايا الدولية ومن الصراع في الشرق الأوسط، ودور الولايات المتحدة في الإرهاب الدولي، وتمييز تشومسكي بين إرهاب اللص، وإرهاب الإمبراطور. ثم ناقش مفهوم تشومسكي للسلام، ورؤيته للنظام العالمي الجديد، الذي لا يراه تشومسكي إلا استمرارًا لخمسمئة عام من الغزو.

«وأرجو ألا نقع في الفرح الطفولي بما يصدر عن تشومسكي من أقوال، وما يتخذه من مواقف تميل إلى الحق العربي وتساند حقوقًا ثابتة للفلسطينيين. صحيح أن تشومسكي مفكر موضوعي عقلاني مرموق، لكن من الصحيح أيضًا أن تشومسكي ذاته يهودي لا ينكر يهوديته، وهو - مثل كل يهود العالم - صهيوني لا يتبرأ من صهيونيته.»

قليل من المهتمين بدراسة تشومسكي من يعرف أن الرجل كان قد هاجر إلى إسرائيل، وأمضى سعيدًا بإحدى الكيبوتزات عشرة أشهر، ثم هجرها عائدًا إلى الولايات المتحدة، وانقلب على المشروع الصهيوني والسياسات الإسرائيلية وممارساتها الإرهابية، على مرأى ومسمع من الجميع. وكما ينتقد تشومسكي السياسات الإسرائيلية، فإن اليهود يبادلونه نقدًا بنقد، بل وصل الأمر ببعضهم إلى حد أن وصفوه بأنه يهودي كاره لنفسه. وبالغ بعضهم إلى حد وصفه بأنه - أي تشومسكي - مناصر للعرب ونصير للفلسطينيين.

وأرجو ألا نقع في الفرح الطفولي بما يصدر عن تشومسكي من أقوال، وما يتخذه من مواقف تميل إلى الحق العربي وتساند حقوقًا ثابتة للفلسطينيين. صحيح أن صاحب الحق لا يعدم نصيرًا، وصحيح أن تشومسكي

مفكر موضوعي عقلاني مرموق، لكن من الصحيح أيضًا أن تشومسكي ذاته يهودي لا ينكر يهوديته، وهو - مثل كل يهود العالم - صهيوني لا يتبرأ من صهيونيته، بل إنه امتدح علانية ما يسميه بجوهر الفكرة الصهيونية. ثم هو يعود لكي يخفف من فظاظة أقواله، فيعلن أنه يؤمن بأن أصحاب الأرض الحقيقيين هم كل من الفلسطينيين ومجموعة اليهود الذين كانوا يعيشون على الأرض نفسها، قبل طوفان الهجرات اليهودية إلى فلسطين.

لا يستطيع أحد أن يمنع الناس من لعبة اللغة أو من اللعب باللغة. وعندما يتذكر تشومسكي عقيدته اليسارية أو انتماءه الماركسي، فإنه لا ينسى أن يتمنى وأن يحلم بمجتمع اشتراكي ثنائي الهوية على أرض فلسطين. وأرجو ألا ينسى القارئ العربي - مهما بلغ إعجابه بتشومسكي المفكر والمنظر - أن تشومسكي يؤمن - كما هي حال من تصفهم الآلة الإعلامية بالمعتدلين - بأن دولة إسرائيل أمر واقع وكيان شرعي. لكننا في مقام الدرس الفلسفي النقدي التحليلي، يجب أن نتساءل ونتساءل: عن أي إسرائيل يتحدثون؟ أهي إسرائيل الانتداب؟ أم إسرائيل الهدنة؟ أم إسرائيل التقسيم؟ أم إسرائيل ٦٧؟ أم إسرائيل اليوم؟ أم إسرائيل الحلم الصهيوني؟ بأي إسرائيل يعترف المجتمع الدولي؟



أرجو أن يعلم القارئ أن تشومسكي نفسه - وهو المحلل اللغوي نادر الطراز - يصل في تحليله لتعبير «المجتمع الدولي» إلى أنه تعبير يعني في الممارسة السياسية: «مجلس الأمن والأمم المتحدة»، وأن هذين في الحاصل الفعلي إنما يعنيان مشيئة وإرادة الولايات المتحدة.

قد يقال أن إسرائيل هي العميل الأول للولايات المتحدة، وهذا يعني بطبيعة الحال وجود العميل الثاني والثالث وهكذا. ولكن من جهة أخرى يمكن أن نرى الولايات المتحدة هي نفسها عميلة وخادمة وتابعة لإسرائيل. ومن جهة ثالثة يمكن أن نرى كلاً من إسرائيل والولايات المتحدة كيانًا واحدًا متوحدًا، حتى لو جادل بعضهم بالقول أن مصالح الولايات المتحدة ليست هي مصالح إسرائيل. فالمطلع على حجم الوجود والنفوذ اليهودي في دوائر صنع السياسة والقرار الأمريكي، يدرك أن الكيانين إنما هما كيان واحد متوحد. وليرجع من شاء إلى مؤلفات بول فندلي وعلى رأسها كتاب: «من يجرؤ على الكلام» وكتاب: «الخداع».

رصد الباحث جمال الدين حمدان أشكال الدعم والمساعدة الأمريكية لإسرائيل، في صور الدعم المالي والدبلوماسي والأيديولوجي. وكنا نود من الباحث أن يكون أكثر جرأة: فيتحدث عن الدعم العسكري غير المحدود كميًا وكيفيًا. ولست أظن أن هناك حرجًا في الإشارة إلى المساعدات العسكرية الأمريكية لبعض الدول العربية. ولكن شتان بين نوعية الأسلحة التي تحصل عليها هذه الدول وكمياتها - وهي بطبيعة الحال دفاعية التصميم والإمكانات - وبين تلك التي تحصل عليها إسرائيل، وهي الأسلحة الأقوى والأحدث والأبعد مدى والأقدر على الهجوم الدقيق المؤلم. ولدى مراكز الدراسات الاستراتيجية في لندن وغيرها قواعد بيانات عن تسليح إسرائيل مقارنًا بتسليح الدول العربية مجتمعة. ولا يصعب على باحث متمرس الحصول على تلك البيانات.

يقال دومًا إذا أردت أن تفهم عدوك، فضع نفسك مكانه، وتقمص شخصيته، وفكر مثلما يفكر. لا لتخرج من جلدك، ولكن لكي ترى الأمور على وجهها الحقيقي. ولو فكر العرب بهذه الطريقة لكانت معالجتهم لقضاياهم أكثر فاعلية، ولاسيما في مجال الإعلام. فالإعلام العربي يخاطب الناس في أوروبا وأمريكا بالأسلوب نفسه الذي يخاطب به الجماهير العربية (المستقرة)، وهذا خطأ يجب تصحيحه إذا أريد لإعلامنا العربي أن يزاحم الآلة الإعلامية الصهيونية الفائقة؛ فاللغة الخطابية لا تؤثر في المتلقي الغربي. وإذا كان في العرب من لا يرى للغة من

وظيفة سوى التخاطب، فإن الناس في الغرب قد جعلوا اللغة وسيلة للتفكير والتحليل والنقد وتبادل الحجج والأدلة. كثير من مفردات الإعلام في البلاد العربية لا تعني شيئًا بالنسبة لعقلية الرجل الأوروبي والأمريكي، فأنت لا تسمع من وكالات الأنباء الغربية عبارات من قبيل: «وقد أبرزت الصحف فقرات مطولة من خطاب الزعيم في صدر صفحاتها الأولى». ولا تستعمل الصحف هناك عبارات من نحو: «كانت المباحثات مثمرة وبناءة، تناولت العلاقات الثنائية والقضايا ذات الاهتمام المشترك، وحضرها كبار رجال الدولة من الجانبين. وتصافح الزعيمان عند سلم الطائرة، وعبرا عن التطابق التام في وجهات النظر».. إلخ هذه البهلوانيات اللفظية.

إذا كان للعرب أن يتخلوا عن الإنكار العاطفي، ويتخذوا موقفًا علميًا، فإن عليهم أن يقاوموا إسرائيل بالأسلوب ذاته الذي أنشأت به مجموعات اليهود كيان إسرائيل (القوية).

إنه المجتمع المدني أيها السادة!

إسرائيل في مرحلة ما قبل الدولة، كانت موجودة على أرض فلسطين، موجودة في صورة الوكالة اليهودية والمؤتمر اليهودي والجامعة العبرية ومجموعات الموشاف والكيبوتز واتحاد العمال وجماعات الهاجناه وشتيرن وغيرها. كانت إسرائيل موجودة قبل عام ٤٨ في صورة مؤسسات المجتمع المدني.

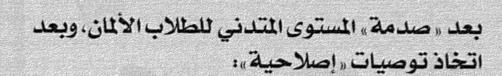
إن جهلنا بتاريخ اليهود هو أحد أسباب فشلنا في مواجهتهم. ولست أعني بالتاريخ هنا تلك الكتب الموضوعة لأغراض التبرير أو إبراء الذمة، وإنما أعني التاريخ الذي أفرز دولة تستعصي على كل محاولات إضعافها، بل هي تزداد في كل يوم قوة إلى قوتها، علميًا وتكنولوجيًا وعسكريًا وسياسيًا.

يبقى السؤال: هل يلقى الفلسطينيون مصير الهنود الحمر؟ إن الجواب عن هذا السؤال لا يجوز أن يدخل في باب التخمين أو التمنيات، وأرجو أن يتذكر كل من يحاول الإجابة عنه أن مصالح الولايات المتحدة مُؤَمَّنة تمامًا في المنطقة العربية، ولن تخرج القوات الأمريكية من المنطقة في المدى المنظور، والمستهلك الأمريكي ينام قرير العين تمامًا: فالعرب غير مستعدين لمجرد التفكير في التلويح - مجرد التلويح - باستخدام النفط للضغط على من بيده ٩٩٪ من الأوراق! فالنفط العربي لم تعد له وظيفة سوى أن يكون (في مقابل الغذاء)، وأحيانًا (في مقابل البقاء).

يحق لصديقنا جمال الدين حمدان أن يفرح ونفرح معه بحصوله على درجة الماجستير بامتياز، ولكن يحق لنا برغم ذلك أن نقوّم موقف تشومسكي من الفكر الصهيوني، بشكل مختلف: إذ لولا الاختلاف لما وجدت الدراسات الفلسفية ابتداءً، ولما وجدت دراسات في فلسفة السياسة. ومن المقرر أنه لا توجد حقائق في دنيا السياسة، وإنما توجد آراء. وعليه فأرجو أن يتذكر الباحثون أن تشومسكي نفسه كان قد رفض قرارًا للجمعية العامة للأمم المتحدة، كان يساوي بين الصهيونية والعنصرية. وقد علل رفضه آنذاك بأن القرار هو - على حد تعبيره - رياء فاضح. ولا عجب أن عادت الجمعية العامة فألغت القرار منذ سنوات. وأرجو ألا تكون سيرة السيدة أولبرايت قد محيت من الذاكرة العربية. كما أتمنى ألا يغيب عنا مشهد أعضاء الكونغرس وهم يصفقون وقوفًا للسيد بنيامين نتانياهو.

الحديث عن الصهيونية (وأخواتها) يظل ناقصًا ما لم يتضمن الإشارة إلى الكتاب الذي دفع مؤلفه حياته ثمنًا له: «أصول الصهيونية في الدين اليهودي»، للدكتور إسماعيل راجي الفاروقي. كما سيظل الحديث ناقصًا حتى يكشف عن سر وفاة الراحل جمال حمدان، وعن أوراقه المجهولة. وسوف يظل موقف تشومسكي من الفكر الصهيوني (وغيره) مجهولاً لكثير ممن لم يطلعوا على كتبه، أو حتى على ما ترجم منها إلى العربية، وهذه قائمة ببعضها لمن كمان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد:

- نعوم تشومسكي ١٩٩٧ **«تواريخ الانشقاق»**، ترجمة محمد نجار، الأهلية للنشر، الأردن.
- نعوم تشومسكي ١٩٩٧ **«ضبط الرعاع»**، ترجمة هيثم علي حجازي، الأهلية للنشر، الأردن.
- نعوم تشومسكي ١٩٩٨**«ماذا يريد العم سام؟»**، تعريب عادل المعلم، دار الشروق، القاهرة.
- نعوم تشومسكي ١٩٩٠ **«الإرهاب الدولي: الأسطورة والواقع»**، ترجمة لبنى صبري، سينا للنشر، القاهرة.
- نعوم تشومسكي ١٩٩٩ **«سنة ٥٠١ الغزو مستمر»**، ترجمة مي النبهان، دار المدى، سوريا.
- نعوم تشومسكي ١٩٩٨ **«إعاقة الديموقراطية: الولايات المتحدة والديموقراطية»**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (اسم المترجم غير مثبت في الطبعة الثانية) ■



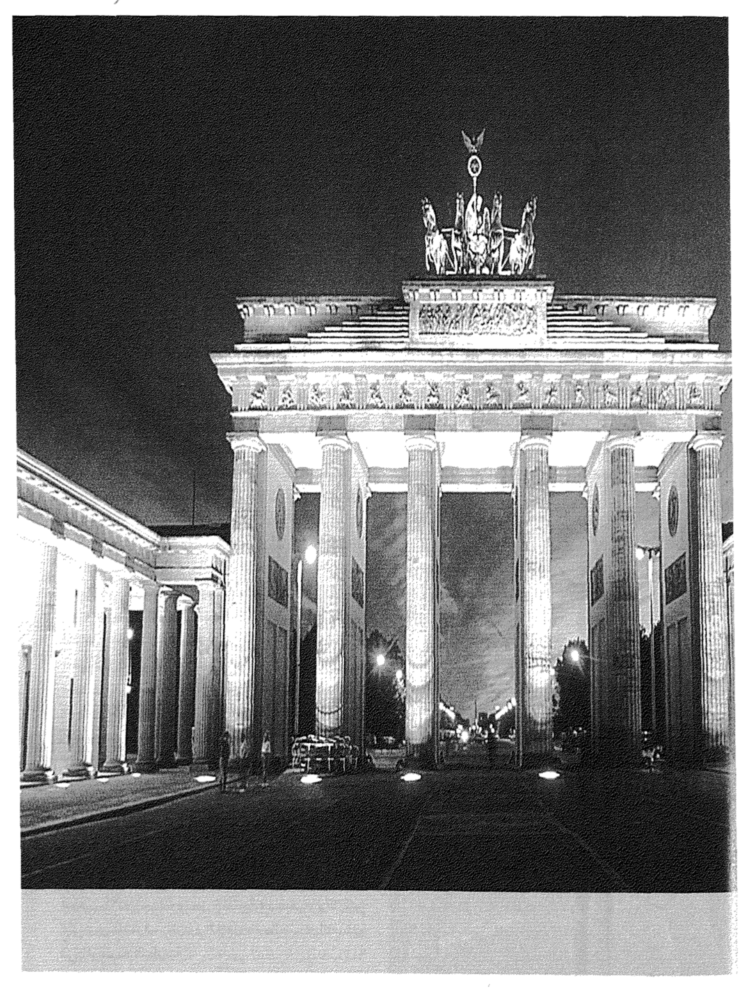
بعد «صدمة» المستوى المتدني للطلاب الألمان، وبعد اتخاذ توصيات «إصلاحية»:

موعدكم 2004!

أسامة أمين *
ألمانيا

لم تؤد الصدمة الناجمة عن تردي المستوى التعليمي للطلاب الألمان، كما اتضح من الدراسة العالمية التي أظهرت نتائجها في شهر ديسمبر الماضي، (انظر العدد السابق من مجلة المعرفة)، إلى مطالبة المعارضة بإقالة وزير التعليم أو الاكتفاء بتبادل الاتهامات، أو بسن قوانين لذر الرماد في العيون، بل بجمع الأطراف المعنية في العملية التعليمية، من سياسيين تعليميين ورجال دين وممثلين عن أصحاب الشركات والنقابات العمالية وعن الطلاب أنفسهم.

* أكاديمية الملك فهد - بون.



كان الهدف محددًا وهو: «كيف يمكن الارتقاء بالمستوى التعليمي للطلاب؟»، وتوصل المشاركون في «ندوة التعليم» التي انتهت من أعمالها يوم الجمعة الموافق ١٠ يناير الماضي إلى توصيات، ربما كان في استعراضها ـ على ما فيها من عموم ودون تحديد لخطوات بعينها ـ فائدة، من باب التعرف على كيفية معالجة الآخرين لمشكلاتهم، التي قد تتفق مع بعض ما نعانيه.

التوصية الأولى تمثلت في «ضرورة البدء مبكرًا في تنمية القدرات الفردية لكل طفل»، وبالتالي فإن المهمة الملقاة على عاتق روضة الأطفال، لم تعد تقتصر على مجرد تسلية الطفل، والترفيه عنه طوال فترة غياب أهله في أعمالهم، بل تتعدى ذلك إلى وضع تصورات محددة، لكيفية الرقي بمعارف الطفل فيما يتعلق بالعالم المحيط، والارتفاع بقدراته الاجتماعية، واكتشاف مواهبه، والتنسيق مع الأسرة لتوفير المناخ اللازم لتأهيله للمراحل التالية.

والتوصية الثانية هي: إعادة النظر في الدراسة الجامعية لإعداد المربين، والدورات التدريبية التالية لتخرجهم، والرفع من مستواها، طبقًا لمستجدات العصر، وما يكتسبه الطلاب من خلال الوسائل التقنية الحديثة.

والتوصية الثالثة: ضرورة تنمية اهتمامات الطلاب بالعلوم الطبيعية والتكنولوجيا، واللغات الأجنبية وبالمواد التي تنمي قدراتهم على الإبداع والابتكار.

والتوصية الرابعة: التوسع في نظام مدارس اليوم المفتوح، في ظل عمل الوالدين في الغالب من الثامنة صباحًا، وحتى الخامسة مساء، وعدم التذرع بأن ذلك سيؤدي إلى «نقل مسؤولية تربية الأطفال من الأهل إلى الدولة» ـ كما كان عليه الحال في دولة ألمانيا الشرقية الشيوعية السابقة ـ لأن الواقع يفرض الابتعاد عن التنظير الأيديولوجي للأمور، ويتطلب حلولاً عملية للوضع الكائن.

وركزت التوصية الخامسة على أهمية الاهتمام بالأطفال الذين يعاني أهلهم انخفاض المستوى الاجتماعي، حيث إن الدراسة المذكورة أوضحت أن هؤلاء الأطفال يمثلون الغالبية العظمى من شريحة الطلاب الأدنى مستوى من الناحية التعليمية، والتركيز على دور المشرف التربوي للاهتمام بالصحة النفسية في المؤسسة التعليمية.

ونصت التوصية السادسة على «ضرورة النظر إلى التعلم باعتباره عملية مستمرة مدى الحياة»، وهو الأمر الذي يسري على المعلمين كما يسري على المتعلمين، وضرورة توفير السبل اللازمة للتطبيق العملي لهذا المبدأ النظري.

إلا أن التوصية السابعة كانت من أهم التوصيات اللافتة لانتباه الكثيرين، حيث حضت على: «عدم الاكتفاء بتلقين العلم للأطفال والشباب، بل بتعليمهم القيم الأخلاقية». علمًا بأن المدارس في ألمانيا تنقسم إلى ثلاثة أنواع، حكومية وهي التابعة كليًا للولاية التي تقع فيها، ويتم فيها تأكيد علمانية الدولة، وبالتالي عدم جواز فرض المربين لمفاهيم دينية على الطلاب، وهو ما لم يكن من نتيجته رفض عدم تعيين معلمات مسلمات بسبب الحجاب فحسب، بل المطالبة برفع الصليب من قاعات الدراسة؛ لأن ذلك «يؤثر على نفسية الطلاب الذين لا يدينون بالمسيحية»، والنوع الثاني من مدارس كنسية تتولى الكنيسة الكاثوليكية أو البروتستانتية دفع قسط من النفقات في مقابل إلزام الطلاب بدراسة التربية المسيحية، كمادة إلزامية، حتى ولو كان الأهل مسلمين، والنوع الثالث مدارس خاصة، ولكل منها مناهج مستقلة، مثل المدارس التي تعمل بنظريات العالمة «منتسوري».

وفي التوصية الثامنة وردت المطالبة: بأهمية توسيع مساحة المشاركة واتخاذ القرارات على يد جميع الأطراف المعنية، من أولياء أمور، وطلاب وغيرهم، ممن كان دورهم هامشيًا حتى الآن.

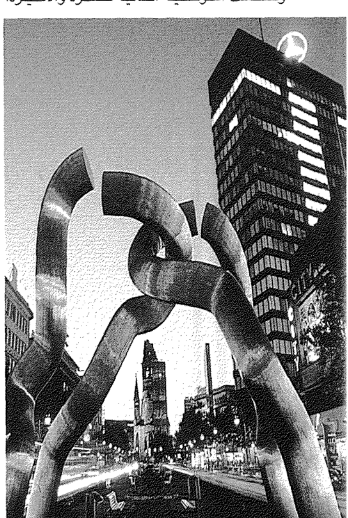
ونظرًا إلى توصل العديد من الدراسات إلى وجود مواد (مثل الرياضيات والعلوم الطبيعية)، يكون فيها التفوق للذكور، في مقابل وجود مواد أخرى تجيدها الإناث، تنصح التوصية الثامنة: بضرورة إثارة الاهتمام لدى كل جنس لخوض المجالات العلمية التي يتفوق فيها الجنس الآخر حتى الآن، إعمالاً لمبدأ المساواة بين الجنسين.

وجدير بالذكر أن النظام التعليمي الألماني يفرض تقسيم الطلاب بعد الصف الرابع إلى ثلاث مجموعات، الأولى التي حصلت على أعلى الدرجات، وتلتحق بالمدارس الثانوية المؤهلة للدراسة الجامعية، والثانية من الطلاب متوسطي المستوى، ويلتحقون بالمدارس التي تؤهلهم للعمل في وظائف مكتبية وإدارية دنيا،

والمجموعة الثالثة تكون للعاملين الفنيين والحرفيين، ولذلك تضمنت التوصية العاشرة أهمية تسهيل سبل انتقال الطلاب من إحدى هذه المدارس الثلاث إلى أخرى، بناء على نمو قدرات الطالب في الصفوف التالية، وعدم الوقوف عند نتائجه في الصفوف الأربعة الأولى فحسب. وهو الأمر الذي يتم حاليًا ولكن على نطاق ضيق، وبعد صعوبات جمة. كما طالبت بنفس هذه التسهيلات عند الانتقال من دراسة جامعية في تخصص ما إلى تخصص آخر.

ولأن نسبة الطلاب الذين ينقطعون عن مواصلة تعليمهم الجامعي تصل إلى نسب مثيرة للعجب، كما هو الحال بين دارسي علوم اللغة الألمانية وآدابها، حيث يتوقف ٨٠٪ من الدارسين عن دراستهم، دون الحصول على شهادة، و٧٠٪ من دارسي الرياضيات، تضمنت التوصية الحادية عشرة تقديم علاج فردي لمشكلات الطلاب لمواجهة هذا الوضع، «الذي يدل على وجود شيء ما خطأ».

وتضمنت التوصية الثانية عشرة والأخيرة:



الاستفادة من التقنيات الثقافية الحديثة في جميع المجالات التعليمية، خصوصًا أن أطفال العصر الحالي يلمون بسبل التعامل مع هذه التقنيات، وهو ما يفرض تأهيل المعلمين لتدريس أطفال هذاالجيل، واستخدام برامج الحاسب الآلي الحديثة في العملية التعليمية.

ونظرًا لأن أطفال الأسر الأجنبية، والتي لا يتقن فيها الوالدان في أغلب الأحيان اللغة الألمانية، وهو ما يتسبب في صعوبات تعليم باللغة لا تؤدي إلى تراجع مستوى الطفل الأجنبي وحده، بل تأخذ الكثير من وقت الحصة، ومن ثم تراجع مستوى الطلاب الألمان، خصوصًا إذا بلغت نسبة الطلاب الأجانب النصف، كما هي الحال في مدينتي برلين وفرانكفورت، فقد طالب المشاركون في الجلسات، اعتبار مسألة تعليم اللغة الألمانية للأطفال الأجانب هدفًا رئيسًا للسياسة التعليمية، وذلك قبل الالتحاق بالمدارس، وفي حصص إضافية خارج أوقات الدوام وداخلها، وتوفير دورات لغة ألمانية للأهل الأجانب، وإشراك هؤلاء الأهل في العملية التعليمية بدرجة أكبر، لمعرفة ما يجب أن يتعلمه أبناؤهم، بحيث يدركون أهمية الارتقاء بمستوى اللغة الألمانية عندهم. إضافة إلى توفير حصص لدراسة اللغة الأم، والثقافة الأصلية للطفل.

ومن جانبه اعترف الرئيس الألماني يوهانس راو في كلمته في الجلسة الختامة بأن «رياض الأطفال والمدارس الابتدائية تعرضت للإهمال الشديد خلال العقود الماضية»، علمًا بأن دولاً صناعية أخرى تنفق على هاتين المرحلتين أكثر من ألمانيا بنسبة ٧٠٪. ولكنه تحفظ على المطالبة بسن قوانين، لأن القوانين لا توفر شيئًا، كما ظهر في قانون أحقية كل طفل يصل إلى الثالثة من عمره في مكان في روضة الأطفال.

يبقى السؤال عما إذا كانت هذه الحزمة من التوصيات كافية للنهوض بألمانيا من السفح الذي تردت فيه تعليميًا. الرد على ذلك سيظهر في عام ٢٠٠٤، حين يأتي الموعد الذي وضعه المسؤولون عن التعليم للتأكد من مدى تنفيذ هذه التوصيات.

وإذا كنا نحن العرب مولعين في كثير من الأحيان بالألمان، الذين استطاعوا أن يقوموا من حطام الحرب العالمية الثانية مهزومين على جميع الأصعدة، ليصبحوا بناة واحدة من أكبر الدول الصناعية والاقتصادية في العالم، فيبدو أن ثقتنا بهم أكثر من ثقتهم بأنفسهم. ■



عصابات الطلاب الصينية تنتشر.. والسبب:

الإمبراطور الصغير

المصدر: مجلة **News Week** ٤ ديسمبر ٢٠٠١م
الكاتب: بولي موني
إعداد: رضا عبدالحكيم رضوان - مصر

في طول الصين وعرضها تظهر عصابات جديدة من الشباب. يزداد ارتفاع عدد الجرائم التي يقترفونها وتزداد وحشيتها. هناك أغنية شعبية يتناقلها طلاب المدارس في مقاطعة «هونان» يبدو أنها تحاكي روح الشباب الأمريكي المعجب بنفسه وتقول: «الذهاب إلى المدرسة مشقة، ويكلف مبلغًا كبيرًا من المال، فلماذا لا ننضم إلى العصابة؟ نأكل، ونشرب، ونكون من ذوي أصحاب المقام، ونقضي كل ليلة مع حبيب؟».

يحدث ذلك في جمهورية الصين الشعبية، في المقاطعة التي ولد فيها «ماو». نرى في تلك السطور أكثر من تبجح يقوم به عدد من المراهقين «المحظوظين» ممن يشاهدون قناة التلفزيون الأمريكية «إم تي في».

وليست هذه كلمات فارغة، ففي إبريل الماضي قامت الشرطة في مقاطعة «سيشوان» بالقضاء على عصابة تدعى جمعية التنين الجديدة: وكانت ترعب الطلاب والمزارعين في المقاطعة، وكان أغلب أفرادها المئة من طلاب المرحلة المتوسطة بين الـ ١٤ إلى١٦ من العمر، ويعتقد أن ٧٠٪ من الجرائم التي يقترفها المراهقون في الصين تأتي على أيادي أفراد العصابات، وحيث ما زالت إحصاءات الجرائم في الصين تعتبر من أسرار الدولة، فإن أغلب الدلائل المتاحة تظهر أن أغلب الجرائم التي يقترفها الشباب كانت في ارتفاع بنسبة كبيرة. ويقول باحثون مستقلون إن عدد الجرائم تضاعف ثلاث مرات بين عامي ١٩٧٨م و١٩٩٨م، وإن ما يقرب من ثلاثة أرباع تلك الجرائم قد تم على أيدي شباب بين الـ ١٤و٢٥، ويقول الخبراء إن أعداد صغار السن تزداد بين مقترفي الجرائم ويزدادون عنفًا أيضًا، وذلك من الاتجاهات المقلقة في مجتمع يزيد من توتره وجود مجموعات مستاءة أخرى.

أما العناصر التي تتمتع بمزيد من الحرية في وسائل الإعلام الصينية الآن فهي ممتلئة بقصص الجرائم المثيرة التي يقترفها الشباب.

ففي إبرايل تم اتهام «ليويانغ» وهو طالب جامعي يبلغ الـ ١٨ عامًا بطعن صديقته البالغة ١٧ عامًا ٢٧ طعنة بعد أن هجمت عليه حاملة مقصًا، وكان لها سجل سابق في أعمال العنف. وقد قيل أيضًا أن «ليو» قام لاحقًا بحرق الجثة في محاولة منه لإخفاء جريمة القتل.

وفي يونيو: تم اعتقال ثلاثة من لاعبي كرة القدم في «شينيانغ» وهم في العشرينيات، بعد أن قيل أنهم قتلوا بائعًا متجولاً رفض تقديم السجائر لهم وإعارتهم دراجته النارية. وقد تم أخيرًا في بكين الحكم على اثنين من الفتيات ومعهما شاب بتهمة سرقة الرجال الذين استخدموا الفتيات كمومسات وحصلوا على مبلغ ٨٥,٠٠٠ دولار.

وقد يكون أخطر الأحداث هو ارتفاع عدد الجرائم التي تقترفها عصابات الشباب، التي بدأت تزداد في المدن الكبرى كبكين وشنغهاي، وفي المناطق الريفية أيضًا. ويقول المختص بعلم الإجرام «فينغ شوليانغ» إن ما بين ٧٠٪ و٨٠٪ من الجرائم التي تحدث في المناطق الساحلية الشرقية يقترفها أفراد العصابات. ويبدأ الكثيرون من هؤلاء في المدارس، حيث يقول الأطفال إنه عادة ما يتم الاعتداء عليهم وسرقتهم من قبل الطلاب الأكبر سنًا، كما هو الأمر في مجموعات ما يسمى بالحماية الذاتية. وكانت جمعية «التنين الجديدة» قد تم تكوينها على ما يبدو «لتقدم إخوتنا ومقاومة الغرباء» يدعون أنهم كانوا يريدون استخدام الأموال التي يسرقونها لإقامة فنادق لأجل فرص عمل لرفقائهم، ولكن وحسب ما يقوله «لي مييجن» وهو أستاذ دراسات إجرام في جامعة الأمن العام الشعبية: إن بعض أفراد العصابات يقومون بخطف زملاء لهم في الدراسة، ويقترفون جرائم الاغتصاب والقتل. وفي بكين تم اعتقال ست من الفتيات في الـ١٦و١٧عامًا لاقترافهن عددًا من جرائم السرقة والاعتداء.

ومن الطبيعي أن يأسف الآباء لتمرد الشباب في كل بلد وفي كل جيل، ولكن علماء الإجرام يشيرون إلى عوامل صينية خاصة تقف وراء موجات الجرائم التي يقترفها الشباب في الصين. وأهم هذه العوامل ما يدعى «الإمبراطور الصغير»، حيث إن السياسة المتشددة التي تتبعها بكين في التخطيط العائلي قد أتت بجيل من الأبناء الوحيدين لآبائهم وأمهاتهم، وإن هؤلاء من المدللين والأنانيين والجشعين. ويقول «بول فرايدي» وهو أستاذ مادة العدالة الجنائية في جامعة نورث كارولينا: إن الشباب هم أقل اهتمامًا بالعائلة والجماعة وأكثر اهتمامًا بأنفسهم، وحسب أقواله فإن الأنانية عامل رئيسي في جرائم الشباب، وإن أغلب الذين يقترفون الجرائم في عالم الغرب يعانون النرجسية، ويحذر قائلاً: «كلما ازدادت أنانية الشباب، ازدادت جرائمهم حدة».

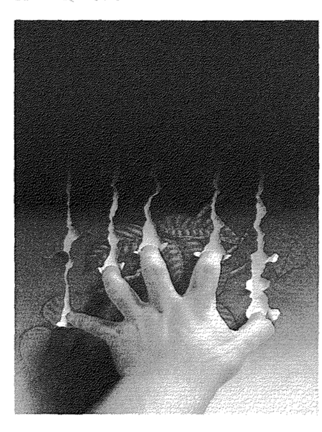
> «أنتج الانتقال إلى اقتصاد سوق جديد متنام فرصًا هائلة لجمع المال لم تكن في الحسبان، وتجلب أمثلة الغنى السريع إعجاب الناس ومحاولات تقليدهم لها».

لا يمكن استخلاص تلك المشكلة من التغييرات الاقتصادية والاجتماعية التي تفجرت في الصين في العقدين الماضيين. ويقول «ليو جيانهونغ» وهو باحث في علم الجرائم في دائرة الاجتماع بكلية «رود آيلاند» إن هذه الظاهرة هي «رد فعل على التغييرات وعلى فقدان الأمل» وقد حلت في طول الصين وعرضها العقلية التي تنادي بـ «المال أولاً» محل العقيدة الشيوعية التي تعاني سكرات الموت. وحسب أقوال «ليو» فإن نسبة الجرائم كانت أقل قبل عام ١٩٧٩م نتيجة القمع الذي كانت تفرضه المؤسسة الحاكمة على الدوافع الاقتصادية. أما الآن فيقول: «فقد أنتج الانتقال إلى اقتصاد سوق جديد متنام فرصًا هائلة لجمع المال لم تكن في الحسبان، وتجلب أمثلة الغنى السريع إعجاب الناس ومحاولات تقليدهم لها» وقد أدت الرغبة المتزايدة في الحصول على الغنى والحاجات إلى ارتفاع حاد في الجرائم الاقتصادية التي يقول عنها «ليو» إنها تزداد ارتفاعًا أكثر من أية جرائم أخرى في الصين. وحسب أقوال «لي مييجن» فقد ارتفعت جرائم السرقة بنسبة ٣٠٠٪ خلال التسعينيات، وليس من المستغرب أن تكون جرائم السرقة والسطو في رأس قائمة الجرائم التي يقترفها الشباب.

ويشير الخبراء الصينيون بإصبع الاتهام إلى الآباء وإلى المدارس ويقولون إنهما قد فشلوا في توفير ما يحتاج إليه الطلاب. ويقول «لي»: إن أغلب الأطفال الذين يعانون المشكلات هم من أسر تفتقر إلى مشاعر الدفء والتواصل. وحسب استطلاع للرأي أجري على ٢٠٠٠ من الشباب المعتقلين لقيامهم بجرائم في إحدى المدن الصينية، كان ٢٤٪ منهم من أسر تعاني الطلاق أو توفي فيها أحد الوالدين، وفي ٢٠٪ من الحالات الأخرى، قام أفراد آخرون من العائلة باقتراف الجرائم، وفيما تبقى من الحالات كانت رقابة الوالدين معدومة. وحتى في البيوت التي لا تعاني المشكلات نجد أن الضغوط الواقعة على الأطفال للامتياز والنجاح في الدراسة تجبر أغلبهم على السير في اتجاه معاكس. ويقول «مينغ كينغابو» وهو أستاذ علم نفس في جامعة دار المعلمين في بكين «إن المطالب التي يفرضها الآباء على الأبناء ليست واقعية، ويؤدي ذلك إلى وضع لا يعود فيه الأطفال راغبين في الذهاب إلى المدرسة، وهم يتغيبون عن الدروس ثم لا يستطيعون العودة إلى البيت، ويقعون في المشكلات، وهناك نحو ستة من كل عشرة من الذين أجري عليهم الاستطلاع تخلوا عن الدراسة، وأكثر من ٩٠٪ منهم يهربون من المدرسة».

وفي المدن الخاصة نجد أن قلة عدد المدارس تزيد من ارتفاع نسبة الجرائم. إن جيوش العمال المهاجرين وأبنائهم - والتي تقدر أعدادها بما بين ٨٠و١٠٠مليون - لا يقدرون عادة على دفع مصاريف المدرسة. ويقول المحللون إن ما بين ٤٠٪ و٦٠٪ من الجرائم التي يتم اقترافها في المدن الرئيسية تقوم بها تلك المجموعات، وإن ثلاثة أرباع تلك الجرائم يقترفها شباب صغار. ويقول «فرايدي» الأستاذ بجامعة نورث كارولينا: «إن المجموعات المتنقلة والتي تفتقر إلى الجذور الثقافية والصلات الاجتماعية هي التي تصاب بالمشكلات، وذلك في أي مكان في العالم».

إن آثار انتشار الجريمة قد بدأت تقلق أكثر علماء الإجرام، وعلى سبيل المثال فإن الفتيات ينخرطن في الجريمة، وقبل الثورة الثقافية كانت هناك جريمة واحدة من كل ٩٩ جريمة تقترف على يد أنثى، وقد بلغت هذه النسبة في بعض المدن الآن ١٥ من كل ٨٥ جريمة، وكثير منها متعلق بصناعة الجنس، وهناك عصابة من



الإناث تسمى «ذي سوالوز» في سيشوان، وفي الوقت نفسه يرتفع تعاطي المخدرات بين الشباب الصينيين ارتفاعًا هائلاً. ومع نهاية عام ١٩٩٧م كان هناك ٥٤٠,٠٠٠ شاب وشابة من الصينيين مسجلين في برامج الإصلاح وإعادة التأهيل، وذلك إضافة إلى المؤسسات الخاصة المعنية بذلك. ويصل تقدير هذا العدد إلى ٨٦٠,٠٠٠ . إن نحو ٧٥٪ من الذين يتعاطون المخدرات هم تحت سن الـ٢٥، والهيروين هو المفضل لدى أغلب هؤلاء.

ومن المعترف به للسلطات الصينية أنها تتعامل مع هذه المشكلة المتفاقمة باستنارة أكثر مما كان معمولاً به عادة في الماضي، ولم تكن الحملات القمعية (التي كانت تسمى الضربات الموجعة والتي ما زالت تقع على عدة أهداف من هؤلاء اليوم) تأتي في الماضي سوى بانخفاض مؤقت في عدد جرائم الشباب، ويتم التركيز الآن على استراتيجية جديدة تدعى «بانغ جياو» أو «التعليم والمساعدة» حيث تقوم مجموعات صغيرة من الآباء والأقارب وبعض الجيران المنتقين بالتعامل مع المنحرفين من الشباب المراهقين. وقد تم تكوين نحو ٩٠ مدرسة للعمل والدراسة في أنحاء البلاد لإصلاح وإعادة تأهيل الشباب الذين تمت إدانتهم بالجنح بدلاً من سجنهم. ■



أنواعها ومهاراتها والداعم للغة العربية منها:

محركات البحث تنبش أعماق الإنترنت

أحمد عبدالقادر الخالد
الرياض



تعتبر عمليات البحث وإنتاج الأبحاث ثاني أكبر النشاطات على شبكة الإنترنت بعد البريد الإلكتروني. وأضحت الإنترنت ضرورة من ضرورات الحياة اليومية. فمع التطور الهائل والسريع في مجال التكنولوجيا دخلت الإنترنت أغلب المنازل. وأصبح الجميع مغرمًا بها لما يجدونه من متعة وفائدة عند الإبحار في عالمها السحري. ولكن مستخدم الإنترنت - مهما بلغ درجات متقدمة من المعرفة الواسعة بمحتوياتها - سيبقى بحاجة ماسة إلى من يساعده في إيجاد ضالته بين ذلك الكم الهائل من المعلومات التي تبتلعها الإنترنت في أعماقها السحيقة، ألا وهي محركات البحث Search Engines التي تساعده في إيجاد كل ما يرغب في الحصول عليه عن طريق نبش تلك الأعماق ووضع محتوياتها المغمورة بين يديه، موفرة بذلك الوقت والجهد للوصول إلى المعلومة المناسبة ومجنبة إياه الوقوع في متاهات البحث.

أنواع محركات البحث:

تختلف محركات البحث في آلية عملها ومضمونها، وهو ما دعا إلى تصنيفها حسب آلية عملها والمحتوى الذي تقدمه للمستخدم (الباحث). وسآتي هنا على ذكر أهمها:

محركات البحث الأجنبية Foreign Search Engines: والمقصود بكلمة (أجنبية) هنا، هي تلك المحركات التي يمكنها التعامل مع لغات إضافية غير اللغة الإنجليزية، كالفرنسية والإسبانية وغيرها. ومن هذه المحركات، محرك ألتافيستا Altavista، غوغل Google، ومحرك إكسايت Excite.

محركات البحث المتخصصة Specialized Search Engines: يعتبر هذا النوع من محركات البحث ذا أهمية كبيرة خصوصًا على صعيد الأعمال والأبحاث، فهنالك العديد ممن يجرون أبحاثًا خاصة أو يبحثون في مسألة معينة في محركات البحث العامة، وغالبًا ما يتكلفون عناء البحث للوصول إلى ما يرمون إليه. غير أن الأمر أضحى أسهل بكثير مما كان عليه سابقًا بوجود مثل هذه المحركات المتخصصة. وأذكر هنا موقع



شامل ومهم جدًا للباحثين على شبكة الإنترنت لما رأيت فيه من الفائدة الكبيرة، حيث يقدم محركات بحث اختصاصية رائعة في أداء عملها بشكل دقيق وهو: www.infinisource.com/search-engines.html

محركات البحث الذكية:
Intelligent Agents

يجمع هذا النوع بين محركات البحث العادية والمتخصصة وينفرد عنها بميزة مهمة جدًا وهي إمكانية تحميل برامج مخصصة لهذه المحركات الذكية على جهاز الكمبيوتر. ومن أهمها:

نيوزروفر News Rover: يعمل هذا البرنامج بشكل تلقائي بعد عملية إعداده، حيث يقوم باستخراج المعلومات عن طريق المجموعات الإخبارية. ويعتبر محركًا مختصًا بعالم الأخبار الشيق بجميع تفرعاته.

إنفوماغنيت Infomagnet: وهي من التطبيقات الذكية لمحركات البحث المتعلقة بالمجال الصناعي. ويسهل هذا البرنامج ترتيب وتصنيف نتائج البحث من خلال التقنية الذكية التي يتمتع بها.

إنفوغيت Infogate: لعله أجمل هذه التطبيقات من ناحية سهولة الاستخدام وواجهة التطبيق الرائعة والمبسطة التي يمتاز بها، فضلاً عن سهولة تحميله على الكمبيوتر. ويمكنك من خلال هذا البرنامج الرائع أن تتعامل مع جميع المجالات من الأخبار والرياضة والمال والأعمال وغيرها من القنوات الأخرى.

المهارات التقنية للبحث على شبكة الإنترنت:

تحتاج عملية البحث على شبكة الإنترنت إلى اكتساب بعض المهارات التقنية، وصقل الأسلوب التقليدي المتبع في البحث، بغرض الوصول إلى المعلومات المطلوبة، حيث يدرك أغلب الباحثين أن عليهم استخدام كلمات رئيسية لإجراء بحوثهم، وأنه من غير الممكن استخدام عبارات كاملة لتعطي النتيجة المطلوبة بدقة عالية. ولكن هنالك تقنيات لعملية البحث على شبكة الإنترنت والتي تغيب عن معظم المستخدمين والتي تعطي نتائج أفضل وأدق نسبيًا:

البحث بالمنطق الجبري أو البوليني Bolean: ويعتمد على استخدام عبارات معينة تعمل على تحديد نتائج البحث وعدم اتساع رقعتها في جلب معلومات غير مرغوب فيها. فإذا أردنا على سبيل المثال أن نبحث عن شخصية معينة، وليكن مانديلا، في وضع معين أو حالة معينة نستخدم المعادلة التالية: Mandela NOT Winne وهنا تأتي نتائج البحث بكل ما يخص مانديلا ما عدا تلك التي تخصه مع زوجتهويني.

وإذا كنا نرغب في أن نحصل على نتائج تخص مانديلا في الصين نستخدم المعادلة التالية: AND China Madela وهكذا سينتج البحث عن كل ما يخص مانديلا بالإضافة إلى كل ما يتعلق به في الصين. ومن المهم جدًا هنا ملاحظة الحروف الكبيرة للروابط الجبرية AND وNOT.

علاوة على ذلك، هنالك مهارات وتقنيات من نوع آخر تعطينا أيضًا دقة في نتائج البحث المطلوبة، وذلك بوضع علامة (+) لربط كلمتين معًا أو أكثر لنحصل على نتائج بحث أفضل. فمثلاً في أثناء بحثنا عن (الموقع العربي العملاق) يجب وضع إشارة (+) بين الكلمات، وستكون نتيجة البحث كل المواقع التي وردت بها كل من الكلمات (الموقع العربي العملاق). وأيضًا



عند وضع كلمتين داخل أقواس التنصيص « » ففي هذه الحالة تكون نتيجة البحث هي المواقع التي وردت بها الكلمتان معًا فقط.

ومن ناحية أخرى، يمكننا إضافة علامة (-) لاستبعاد كلمة ما من نطاق البحث، كأن نبحث في موضوع الأسماك ولكن نستبعد منه كلمة البحرية، وبالتالي ستكون نتائج البحث عن جميع أنواع الأسماك ما عدا البحرية منها.

البحث باللغة العربية:

على الرغم من دخولنا القرن الحادي والعشرين وانتشار رقعة الإنترنت بشكل واسع إلا أننا ما زلنا نعاني في وطننا العربي مشكلة توطين التقنيات، حيث إن معظم محتوى الإنترنت باللغة الإنجليزية، ولا تشكل اللغات الأخرى إلا جزءًا بسيطًا من ذلك المحتوى الغزير والوفير. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف يمكن لهؤلاء الذين لا يجيدون اللغة الإنجليزية إجراء أبحاثهم على شبكة الإنترنت باللغة العربية؟ ولهذا عملت الكثير من الشركات على إيجاد محركات بحث تدعم اللغة العربية لإعطاء الفرصة لأكبر عدد من الناس للاستفادة من محتوى الإنترنت الهائل.

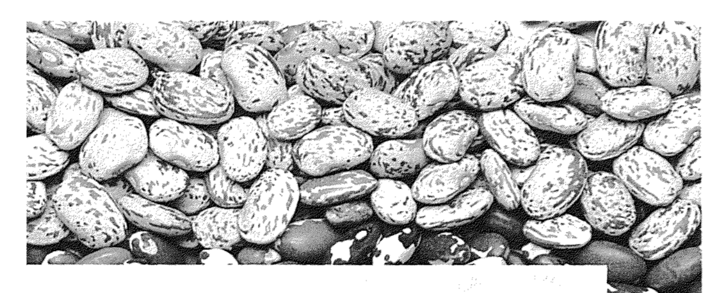
وسنتطرق هنا لبعض محركات البحث التي تدعم اللغة العربية، وأهمها محرك غوغل الذي أعطى نتائج مذهلة عند اختبار دقته، بالإضافة إلى محرك أراب فيستا arabvista والذي تحول اسمه إلى البحار www.albahhar.com .

وطورت شركة الحمادي أيضًا محرك بحث العالم العربي www.awse.com الذي تعتمد آلية البحث فيه على الدليل الرئيسي أو مربع البحث، حيث يحتوي هذا الدليل على إحدى وخمسين فئة رئيسية تحتوي بدورها على فئات فرعية بثلاثة مستويات، تتضمن جميع المواد والمواضيع، لتقدم بذلك المعلومة الشاملة والدقيقة في زمن قياسي للمستخدم العربي. ومن جهة أخرى تم تصنيف فئات الدليل جغرافيًا حسب الدول (عربية/غير عربية) وذلك لتحديد نطاق البحث.

ومن محركات البحث التي تدعم اللغة العربية www.alltheweb.com، الذي يرفع شعار «كل الشبكة، طوال الوقت». حيث تمكن المعهد النرويجي للتكنولوجيا أخيرًا بعد عقد من الزمان أمضاه في الأبحاث، من الوصول إلى أفضل وأشمل محرك بحث على شبكة الإنترنت من وجهة نظر أغلب الباحثين. حيث يضم أكثر من ٢٠٠ مليون عنوان URL في قاعدة بياناته.

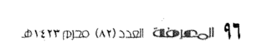
إضافة إلى ذلك ظهرت على الساحة خلال السنوات الأخيرة محركات بحث عربية طورتها شركات عربية ومنها محرك «نسيج» و«أين». ولا شك أن الموقع العربي العملاق «باب» www.bab.com يقدم أكبر دليل عربي توصيفي لمجموعة مواقع يصل عددها أكثر من ١٠٠٠٠ موقع عربي وأجنبي، مصنفة بطريقة خاصة بحيث تغطي أغلب المجالات كالدينية والعلمية والثقافية والرياضية وغيرها. ويعمل محرك البحث استنادًا إلى جميع الكلمات الموجودة في توصيف المواقع، وهو ما يعطي دقة وخيارًا أشمل للبحث، فضلاً عن إمكانية إيجاد الموقع المطلوب عن طريق اسمه أو عن طريق عنوانه URL، حيث إن هذه الميزة لا نجدها في كثير من محركات البحث الأخرى. ■

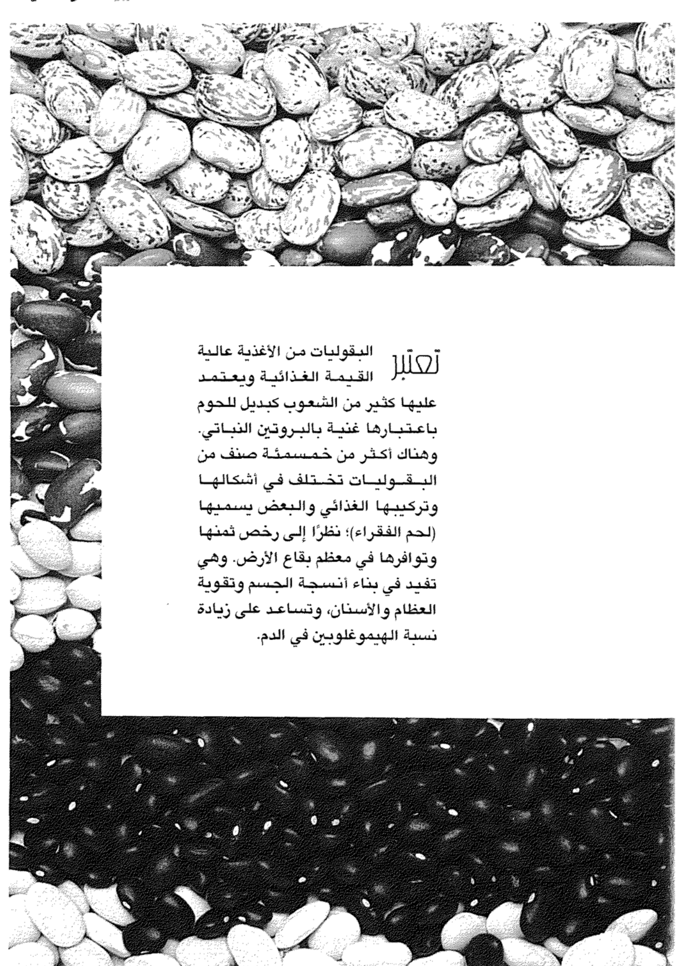




البقوليات..
اللحوم «الخضراء»

أشرف سعد
مصر





تعتبر البقوليات من الأغذية عالية القيمة الغذائية ويعتمد عليها كثير من الشعوب كبديل للحوم باعتبارها غنية بالبروتين النباتي. وهناك أكثر من خمسمئة صنف من البقوليات تختلف في أشكالها وتركيبها الغذائي والبعض يسميها (لحم الفقراء)؛ نظرًا إلى رخص ثمنها وتوافرها في معظم بقاع الأرض. وهي تفيد في بناء أنسجة الجسم وتقوية العظام والأسنان، وتساعد على زيادة نسبة الهيموغلوبين في الدم.

وتعتبر البقوليات مفيدة للتربة التي تزرع فيها لأن جذورها تحتوي على عقد بكتيرية تقوم بتثبيت الأزوت الجوي في التربة، وبذلك تخصب التربة التي تزرع فيها.

البسلة: من الخضراوات المحببة للمستهلك. تؤكل بذورها مطبوخة أو محفوظة في العلب أو تؤكل بذورها الجافة. وهناك صنف اسمه البسلة السكرية تؤكل قرونه الخضراء، وهي مفيدة للجسم ومنشطة وتحتوي على نسبة ٣٠٪ بروتين و٦٠٪ كربوهيدرات. وقد اكتشف العلماء في أكاديمية العلوم الأمريكية أن في البسلة مادة تضعف الخصوبة عند المرأة لذلك ينصحون النساء بالإقلال من تناولها. وتعرف في بلاد الشام باسم البازلاء وهي تحتوي على قدر جيد من فيتامين C ومتوسط من فيتامينات B_3، B_2، B_1 وهي غنية بالعناصر الغذائية الضرورية كالفوسفور والبوتاسيوم والمغنسيوم والكبريت والحديد، ولكن ينصح بمنع تناولها بالنسبة إلى المصابين بداء السكري والتهاب الأمعاء واضطرابات الهضم كما تمنع عن المصابين بالسمنة.

الفاصوليا: تزرع الفاصوليا من أجل الحصول على قرونها الخضراء، وهي غنية بفيتامينات أ، ب، ج، وبها نسبة لا بأس بها من الكالسيوم والفوسفور، كما أنها غنية بالكلوروفيل. أما الفاصوليا اليابسة فتحتوي على البروتين والفوسفور والبوتاسيوم والحديد والكالسيوم. وقد وجد أن عروق الفاصوليا الخضراء تحتوي على مادة تسمى (أينوزيت Inosite) وهي مادة مقوية للقلب، لذلك أقر الأطباء أن منقوع العروق الطازجة ينشط القلب ويقويه، ويؤخذ منه ٧٠ نقطة إلى ١٢٠ نقطة أربع مرات في اليوم.

والفاصوليا غذاء جيد للمرضى فهي تجدد كريات الدم البيضاء وتهدئ الأعصاب، ومدرة للبول، ومقوية للكبد والبنكرياس، وتعطى في حالات النقاهة وبطء النمو، ولعلاج الزلال والسكر. والفاصوليا اليابسة غنية جدًا بالكربوهيدرات وسهلة الهضم وتوصف للرياضيين وذوي الأعمال الشاقة والمراهقين، وذلك لارتفاع قيمتها الغذائية. وتمنع عن المصابين بالسمنة وعسر الهضم والأطفال الصغار.

الفول البلدي: معروف من قديم الزمان واستخدم الإنسان قرونه الخضراء والجافة في التغذية والعلاج. وتشتهر بعض الدول العربية مثل: مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية بتحضير أطباق شعبية متنوعة من الفول.

مكوناته: ٦٨٪ ماء، ١٥٪ إلى ٢٠٪ بروتين، ١٤,٦٪ كربوهيدرات، ١,٥٪ دهن وأملاح معدنية مثل الحديد والفوسفور والكالسيوم، ويحتوي على فيتامينات منها فيتامين (ب) المركب. وترتفع نسبة الألياف في قشور البذور. ويؤدي احتواء بذور الفول على نسبة مرتفعة من حمض الفيتيك Phytic Acid إلى إعاقة امتصاص عنصري الكالسيوم والفوسفور الموجودين بنسب عالية في بذور الفول بالأمعاء، وبالتالي عدم استفادة الجسم بشكل كامل منهما.

استخداماته قديمًا: قال عنه جالينوس - أشهر أطباء روما -: «يجفف ويجلو جرمه (بذوره) فيها من قوة الجلاء شيء، وأما قشره فقوته قوة تقبض ولا تجلو» ولهذا كان الأطباء يصفونه للمصابين بقرحة المعدة ومن به استطلاق البطن أو قيء. وقال عنه أبو بكر الرازي في كتابه باب (دفع مضار الأغذية) «الباقلاء بالجملة يبرد البدن، واليابس منه يخصب، وماء الباقلاء ينقي الصدر».

استخداماته في الطب الحديث: أزهار الفول لها فوائد لإدرار البول، وتنشط الهضم وتساعد في التخلص من الرمال وتهدئة آلام الكليتين، ووقف القيء ويتم ذلك بنقع (٥٠ إلى ٦٠) زهرة في قدحين من الماء الساخن لدرجة الغليان وشرب المنقوع بعد أن يبرد عدة مرات في اليوم. كما أن لب الفول الأخضر إذا غلي وشرب يفيد المصابين بالرمل والحصى والتهاب الصفراء والكليتين والمثانة.

فوائده لمرضى السكر: اكتشف العلم الحديث فائدة تناول بذور الفول المطبوخة ومنها الفول في تغذية مرضى السكر لارتفاع محتواه من الألياف الغذائية، وبخاصة «الصموغ» التي لا تهضم ولا تمتص في الجهاز الهضمي للإنسان، فتقوم بامتصاص جزيئات السكر من على سطوحها الكبيرة نتيجة انتفاخها بالماء داخل الأمعاء، مما يساعد على تخفيف حدة ارتفاع مستوى السكر بالدم، بالإضافة إلى ما يساهم به الفول من كربوهيدرات وبروتين في الطعام، ويمكن حصول مريض السكر في وجبات طعامه على أطباق بذور الفول المدمس حسب الحمية الغذائية التي يصفها له اختصاصي التغذية.

أما بالنسبة إلى مرضى القصور الكلوي فينصح

الأطباء مرضى القصور الكلوي بتجنب تناول الأغذية البروتينية ذات المصدر النباتي كبذور الفول وما توفره الحبوب بقشورها من بروتين نباتي؛ وذلك لانخفاض احتواء الفول على الأحماض الأمينية الأساسية. لذلك يفضل حصولهم عليها من البروتين الحيواني كالدجاج والأسماك. من الملاحظ أن هضم الفول يستغرق مدة طويلة في المعدة لذلك ينصح الأطباء بعدم تناول الفول لذوي المعدة الضعيفة والمصابين بعسر الهضم؛ لأن الفول يرتفع فيه نسبة التانينات التي تثبط عددًا كبيرًا من إنزيمات الهضم مثل التربسين والببسين لذلك فهو يستغرق مدة أطول في هضمه ويعطي إحساسًا بالشبع.

فول الصويا: نبات مشهور يزرع بكثرة في مصر ويحمل قرونًا مثل قرون الفاصوليا عليها زغب ناعمة. ويزرع أيضًا بكثرة في الصين واليابان وكوريا وإندونيسيا حتى أصبح غذاء رئيسًا في هذه البلاد. ويصنع منه حاليًا كثير من المنتجات التي أصبحت تشابه المنتجات الحيوانية مثل: لبن فول الصويا وسجق ولحوم فول الصويا. وهذه بالفعل لحوم ولكنها لحوم نباتية، كما يصنع منه جبن غني بالدهن والفوسفور. وبالإضافة إلى أهميته الغذائية الكبيرة فهو أيضًا يستخدم كدواء؛ فقد وصف فول الصويا بأنه غذاء كامل سهل الهضم يساعد على بناء العضلات والعظام. ويستخرج من حبوبه زيت ذو قيمة غذائية عظيمة. وقد أثبتت التجارب أن هذا الزيت يعمل على خفض نسبة الكوليسترول في الدم. وفي إيطاليا أجرى العلماء تجارب في هذا الصدد وقدموا لفريق من المرضى طعامًا مجهزًا بالدهن والبروتين الحيواني فأدى ذلك إلى ارتفاع نسبة الكوليسترول في دمهم خلال ثلاثة أسابيع من العلاج، بينما قدموا لفريق آخر طعامًا جهز بزيت فول الصويا فهبط الكوليسترول في دمهم خلال ثلاثة أسابيع من العلاج.

اللوبيا: تزرع من أجل الحصول على قرونها الخضراء أو للحصول على بذورها الجافة. وفي بعض المناطق الإفريقية تؤكل أوراقها أيضًا. ويستخدم النبات كعلف للحيوان بعد جمع المحصول، ولكنها تحتوي على نسبة أقل من مثيلاتها من البقوليات في المحتوى الغذائي. وتؤكل بذورها مطبوخة وتتفنن الشعوب العربية في تحضير أطباق شهية منها.

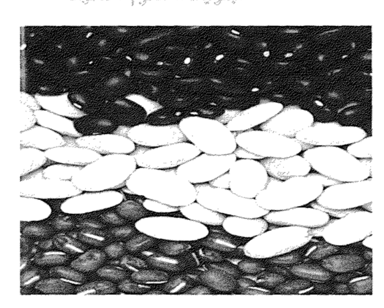
الترمس: من البقوليات الغنية بالبروتين، إذ يحتوى على ٣٠٪ من البروتين، وهو ذو قيمة عالية وطبخ بذوره يدر البول ويهضم الأكلات الثقيلة ويطرد الديدان. ويحتوي الترمس على مادة (الليسين) وهي مكونة من الكالسيوم والفوسفور، لذا يعتبر الترمس مقويًا للأعصاب، ومقويًا للقلب، ويحتوى على مواد فعالة تسمى (القلويدات) وهذه المواد لها تأثيرها السام إلا أننا لا نأكله إلا بعد نقعه عدة أيام في الماء للتخلص من مرارته وتذهب سميته. والجسم يتخلص من هذه المواد السامة أولاً بأول ولكنه ضار إذا ابتلع الإنسان كمية من البذور الجافة غير المنقوعة في الماء. وأخيرًا أجريت أبحاث طبية تهدف إلى استخراج مواد طبية من الترمس لعلاج مرضى الصدفية. وقد أعطت هذه الأبحاث نتائج إيجابية للغاية، وأصبح الترمس أملاً جديدًا لمرضى الصدفية.

العدس: من أغلى البقوليات على الإطلاق في العناصر الغذائية. وقد جاء عنه في دائرة المعارف

الجدول التالي يوضح تركيب بعض البقوليات
(جم/ ١٠٠ وزن جاف وصالح للأكل)

الغذاء	ماء	سعرات	بروتين	دهن	كربوهيدرات	كالسيوم	فوسفور
فاصوليا بيضاء	١٠,٩	٣٤٠	٢٢,٣	١,٦	٦١,٣	١٤٤	٤٢٥
عدس	١١,١	٣٤٠	٢٤,٧	١,١	٦٠,١	٧٩	٣٧٧
فول سوداني محمص	١,٨	٥٨٢	٢٦,٢	٤٨,٧	٢٠,٨	٧٢	٤٠٧
بسلة جافة	٩,٣	٣٤٨	٢٤,٢	١,٠	٦٢,٧	٣٣	٢٦٨
فول صويا	١٠,٠	٤٠٣	٣٤,١	١٧,٧	٣٣,٥	٢٢٦	٥٥٤

الفرنسية «من المحقق أن الجبن والعدس والفاصوليا والبازلاء أغذى من لحم البقر من جهة المواد الزلالية والمواد الكربوهيدراتية والدهنية أيضًا. وكثير من الناس يتوهمون أن اللحم هو الغذاء الأكثر تعويضًا للجسم، ولكن التحاليل أثبتت عكس ذلك. وقد ذكر د(هيج) الإنجليزي أنه لا يهلك الجسم سوى حمض البوليك إذا انتشر في الدم. وهذا الحمض مصدره اللحوم». ولا يوصف أكل العدس إلا لذوي المعدة الجيدة والذين يبذلون جهدًا عظيمًا. وقشر العدس يكافح الإمساك ويدر البول ويعالج فقر الدم ويحفظ الأسنان من النخر، وإذا سلق بالماء وهرس ووضعت منه كمادات على الخراجات فتحها. وينصح الأطباء بمنع العدس عن مرضى السمنة والأمعاء الضعيفة والمصابين بأمراض الكبد والكلى والمرارة.



الحلبة: عرفت الحلبة في بلاد اليونان وتحتوي بذور الحلبة على ٢٢٪ بروتين، ٢٨٪ مواد غروية، وبالتحليل المائي تعطي نوعين من السكريات هما المنوز والجلكتوز. وتحتوي البذور أيضًا على ٦٪ زيوت ثابتة، وتحتوي على مواد هلامية ومادة (السابونين Saponin) وهي مقوية وملينة للأمعاء ومضادة للالتهابات. وكان قدماء أطباء الهند يستعملونها لمعالجة الحالات المرضية.

زيت الحلبة: يحتوي زيت الحلبة على عامل فعال في إدرار اللبن للمرضعات. ويفيد مغلي بذور الحلبة مع التين والسكر والتمر في علاج بعض الأمراض الصدرية المزمنة مثل السعال والربو وضيق النفس. كما يعطى مغلي الحلبة للفتيات في سن البلوغ لتنشيط الطمث وعلاج فقر الدم وفقدان الشهية.

وينصح الأطباء السيدات الحوامل بتناول مشروب الحلبة لأنه يعمل على مرونة عضلات الرحم فيسهل الولادة. وقد استخرجت من بذورها المطحونة كبسولات تعطى للسيدة الحامل في الأسابيع الأربعة الأخيرة من الحمل. ويستعمل مغلي الحلبة لتسكين حدة السعال عند المصابين بالتدرن الرئوي. والبذور تستعمل لعمل لبخة على الدمامل للإسراع من شفائها ولعلاج الجلد المتشقق بدهنه ببذور الحلبة المنقوعة في الماء فيصير ناعمًا.

الحمص: من البقوليات الغنية جدًا بالمواد البروتينية، ويحتوي على كثير من الأملاح المعدنية مثل الفوسفور والكالسيوم والمغنسيوم والكبريت. وهو مغذ جدًا ومدر للبول ومسمن ومنشط للأعصاب. ولكن ينصح بعدم التمادي والإفراط في تناوله وخصوصًا لذوي المعد والأمعاء الضعيفة. والحمص الأخضر سهل الهضم، يحتوي على فيتامينات وسكر ولكن كثرة تناوله تضعف الهضم. ويمكن عمل شوربة للأطفال في سن الرابعة والخامسة. كما يمكن تناوله للتسلية فهو يحتوي على نسبة ١٨٪ بروتين، ٥٪ دهون، ٦١٪ نشويات: لذلك فهو له مكانة مرموقة على الموائد. ■

المراجع

١. عبداللطيف عاشور - التداوي بالأعشاب والنباتات - مكتبة القرآن للنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٩٩٠.

٢. علي علي الخشن، د. أحمد أنور عبدالباري - إنتاج المحاصيل - دار المعارف - ط١ - القاهرة سنة ١٩٧٢.

٣. داود الإنطاكي - تذكرة أولي الألباب - إعداد د. سامي محمود - المكتب الجامعي للكتب - الإسكندرية، القاهرة سنة ١٩٨٠.

٤. د. عبدالعظيم أحمد عبدالجواد، د. نعمت عبدالعزيز - مقدمة في علم المحاصيل - الدار العربية للنشر والتوزيع - ط١ - القاهرة ١٩٨٩.

٥. أبو بكر الرازي - منافع الأغذية ودفع مضارها - دار إحياء العلوم - بيروت، لبنان - بدون تاريخ.

٦. د. محيي الدين لبنية - أسرار طبق الفول - مجلة المعرفة - ع(٣٦) السعودية - يوليو - سنة ١٩٩٨.

٧. د. خالد المحمد - في مطبخك لحم نباتي شهي المذاق - مجلة العربي - الكويت سنة ١٩٩٩.

٨. د. رافدة الحريري - فاعلية الأغذية الوارد ذكرها في القرآن الكريم - كتيب المجلة العربية (١٥) يوليو سنة ١٩٩٨.





مصنع الرياض للأثاث

RIYADH FURNITURE INDUSTRIES

ص .ب ٢١١ الرياض ١١٣٨٣ ـ هاتف ٤٩٨٠٨٠٨ (٩٦٦١) ـ فاكس ٤٩٨١٢١٦ (٩٦٦١)

P.O. Box 211, Riyadh 11383 - Tel: (966-1) 4980808 - Fax: (966-1) 4981216

INTERNET: www. athath. com

E-MAIL: info @ athath. com

التقدم: صناعة اهتمامات

عبدالكريم بكار
ابها



لعل أكبر مشكلة تواجه الدول النامية والمتخلفة هي تحديد الأسباب الحقيقية التي جعلتها تعيش على هوامش الحضارة وأطراف العالم المتقدم. وما ذلك إلا بسبب انخفاض درجة وعيها بنفسها وإمكاناتها والتحديات التي تواجهها، ومن هنا فإن حاجة الأمة ماسة إلى أن تضغط بإصبعها على موضع الداء، وأن تسعى إلى تحديد الأسباب الجوهرية التي أدت إلى الإصابة به، لتهتدي بالتالي إلى سبيل الشفاء.

في اعتقادي أن أفضل طريقة لتحديد أسباب التخلف تكمن في البحث عن القواسم المشتركة ونقاط الالتقاء لدى كل الشعوب التي تعيش على حواف العالم اليوم. وإذا وصلنا إلى هذا الحد من القول، فإنني أرى أن سمة (فقد الاهتمام) تعد من السمات العامة التي يمكن أن نشاهدها أينما تجولنا في أصقاع العالم النامي - ومنه بالطبع العالم الإسلامي - حيث يتجسد في سلوك الناس شعار (لا شيء يهم) وحيث ترى سيلاً لا ينقطع من المواقف التي تنم عن عدم الاكتراث واللامبالاة. وفي المقابل فإن معظم الناس في العالم الصناعي يهتمون بالأشياء الصغيرة والصغيرة جدًا، وتستوقفهم التفاصيل الدقيقة، ويحاولون حساب كل شيء إلى حد الوسوسة.

حين وقعت الأحداث الأخيرة في الولايات المتحدة، اندفع كثير من الناس هناك إلى شراء الكتب التي تتحدث عن الإسلام، وحضر بعضهم دورات في المراكز الإسلامية من أجل فهم الخلفية الثقافية لمن اتهموا بتلك الأحداث. أما عندنا فمن أندر النادر أن ترى شخصًا يحاول سبر أغوار الثقافة الأمريكية أو معرفة طبيعة القوى التي توجه حركتها!

ولذا فإن من الممكن القول أن درجة اتساع اهتمامات أي أمة هي معيار حقيقي لمدى تقدمها ومعاصرتها، والعكس صحيح.

ولعلي أستجلي في هذه القضية النقاط الثلاث الآتية:

- إن الذي ينظر بعمق إلى المرامي البعيدة لآيات القرآن الكريم يجد أنه كان يقصد قصدًا إلى توسيع

دائرة اهتمامات الإنسان المسلم على مستوى الزمان والمكان والأشياء، وذلك كي يساعده على القيام بمهمة الاستخلاف وبسط سلطانه على كل ما حوله. وفي هذا الإطار نجد أن القصص القرآني الذي تناول أخبار الأمم السالفة. جعل المسلم ينخرط في السياق العام لتاريخ البشرية، ليبصر أيام الله - تعالى - فيها، وليبصر ملامح الخير والشر في سلوكاتها. وحديث القرآن الكريم عن المستقبل لم يكن يستهدف إعداد المسلم للنجاح الأخروي فحسب، وإنما استهدف توسيع مدى الرؤية لديه، وتخليصه من أسر اللحظة الراهنة الذي يقع فيه الإنسان الكَلّ المعطَّل. وحديث القرآن الكريم عن سلوك الحيوان (كالنحل والنمل مثلاً) وعن الجبال والأنهار والرياح والأفلاك... يثري ثقافة المسلم بالبيئة المحيطة، ويلفت نظره إلى وجوه التسخير في هذه الأشياء، فيقيم معها العلاقة التي تمكنه من الانتفاع بها. ولايكتفي القرآن الكريم بذلك، بل يوسع دائرة اهتمامات المسلم ليتفاعل مع أحداث كبرى تجري في زمانه - مهما كان بعيدًا عن التأثر بها - كما في إخباره عن الصراع بين الروم والفرس، وإعلامه المسلمين بأن الغلبة ستكون للروم في بضع سنين. بل إن القرآن يصور لنا المشاهد المؤلمة التي تحكي معاناة بعض الناس (كما في قصة أصحاب الأخدود) ليجعل من الحزن وسيلة اتصال مع الناس والعالم. والسؤال الذي يفرض نفسه بعد هذا: لماذا يقرأ المسلمون القرآن الكريم كل يوم دون أن تشتعل لديهم جذوة الاهتمام؟!

- كثير من الناس يملكون كل مقومات العظمة لكنهم لم يصبحوا عظماء لا لشيء إلا لأن اهتماماتهم تافهة. وكثير من الدول تملك ثروات هائلة، لكن خمول شعوبها، وتجرد أبنائها من السعي لأي هدف عظيم حرمها من التفاعل مع المعطيات الحديثة، وجعلها لا تنتفع بثرواتها المتعددة. وقد كان (المال) في الماضي عماد الثراء الشخصي والأممي، كما كان عمود النجاح في النظام التجاري. وقد أخذ كل ذلك الآن في التغير، وأخذت تحل محله أشياء غير مادية، فثراء الأشخاص (وكذلك الأمم) لم يعد يقوم بالأرصدة والممتلكات، وإنما بمقدار ما يملكون من اهتمامات ودوافع وأفكار ومعلومات ونظم. وهذا ما يفسر لنا انتشار الجوع في بلدان عربية تملك الأراضي الخصبة والمياه الوفيرة، على حين تملك دولة (مثل لبنان) مساحة محدودة من الأراضي الزراعية، ومع هذا فهي تصدر الخضار والفاكهة إلى عدد من الدول!

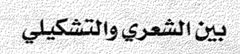
- تسجل الدول الصناعية ٩٧٪ من براءات الاختراع، وتترك لـ٨٠٪ من سكان الأرض ٣٪ فقط. وفي عام ١٩٩٨ سجل اليهود في فلسطين ٥٧٧ براءة اختراع لدى مكتب العلاقات التجارية الأمريكي، على حين سجل العرب ٢٤ براءة اختراع فقط. وكثير من تلك البراءات تسجل من قبل (هواة) ومهتمين غير محترفين، لكنهم ينتمون إلى شعوب تسيطر عليها فضيلة الاهتمام. وأقرب مثال على هذا برامج الحاسب الآلي: إذ إن معظم البرامج الموجودة في الأسواق هي من تصميم هواة. إن أمتنا لن تقف في مصاف الأمم ما لم يسهم كل واحد من أبنائها بشيء مفيد يضاف إلى رصيدها العام ليتشكل لدينا من قطرات الماء نهر أو جدول، ومن الحصى المتناثر تل أو جبل. وإن كثيرًا من القصور الذي نعانيه في هذا الشأن يعود إلى التربية الأسرية التي يتلقاها أبناؤنا، ثم تأتي المدارس لتزيد الطين بلة، فهي لا تهتم بتكوين الشخصية لطلابها، وليس عندها أي برامج أو تدريبات لبعث الاهتمام بالأشياء المفيدة أو الجديدة! وكان عليها عوضًا عن الأرقام الصماء التي تلقنها لطلابها عن إنتاجية العالم المتقدم أن تشرح لهم العوامل والأخلاقيات التي تقف خلف تلك الأرقام، من نحو سعة الاهتمام والمثابرة والجدية والتنظيم والتعاون...

وأن تشرح لهم الدور الرائع الذي تؤديه المبادرة الفردية والهوايات المتعددة والمشروعات الصغيرة في إغناء حياة العالم المتقدم.

إن أمتنا لن تحصل على المقام الذي تستحقه ما لم يصبح الاهتمام بالميزات والتفاصيل والأشياء الصغيرة حركة مجتمع لا حركة صفوة.■



بين الشعري والتشكيلي



تواشج الفنون

محمود عبدالصمد زكريا
مصر

هل يوجد فن نقي؟
هذا هو السؤال الملح الذي أرى أنه يكتسب مشروعية أكيدة في هذا العصر، فمن الصعب جداً، بل من المستحيل أن نتحدث بثقة واطمئنان تام عن نقاء فن ما، عن انغلاقه، عن اكتفائه ببنيته الذاتية، لأن الحاصل بالفعل هو اطراد أشكال وصيغ متعددة، من التواشج والتبادل بين جميع الفنون من شعر وقصة ومسرح وسينما ونحت ورسم.



فمثلاً الشعر العربي لم يعرف قديمًا نظامًا كتابيًا غير نظام توازي الصدور والأعجاز بينهما بياض هو فاصلة الصمت اللازمة للتنفس، لكنه بعد ذلك خرج على هذه الجغرافية الكتابية منذ استحداث الأندلسيين الموشح:

«ينظمونه أسماطًا أسماطًا، وأغصانًا أغصانًا يكثرون من أعاريضها المختلفة، ويسمون المتعدد منها بيتًا واحدًا ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتاليات أكثرها تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات، ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب». (مقدمة ابن خلدون- ص٥٨٣).

بل ذهب بعضهم إلى بناء موشحته على شكل شجرة أو وردة فكانت الموشحة عالمًا يعج بحضور الطبيعة وبالكائن الإنساني وكأن المبدع الأندلسي أراد الارتماء في أحضان الطبيعة، ودخول النص الشعري في إهاب شجرة أو وردة، ثم أفاد الشعراء المهجريون من ذلك الموشح كثيرًا في بنية قصائدهم، وجاءت حركة دادا (١٩١٦م-١٩٢٢م) صرخة جزع ضد الحضارة التي من حصيلتها أن يقتل التعبيري برصاص التكعيبي، وسمعنا عن القصيدة البصرية أو



الملموسة أو التشكيلية أو الإلكترونية، نماذج من التشكيلات الخطية تطمح في أن تحرير القصيدة من الناطق اللغوي للشعر بالرسم، وهكذا نجد الشعر الكونكريتي محاولة للجمع بين العناصر الأدبية والبصرية والصوتية، حيث دخلت الرموز والأشكال والأصوات عالم القصيدة إلى جانب الكلمات، وربما أزاحت الكلمة.

إن اللغة في هذه الأشكال تفقد وظيفتها التعبيرية والمجازية لتكون مادة تشكيلية بالأساس، أو أن غرضها سيكون فراغيًا أكثر منه منطقيًا.

الآن القصيدة التفعيلية العربية تأخذ أشكالاً زجزاجية في كتابتها، حيث تعتمد على السطر الشعري وليس البيت الشعري وتتباين الأسطر الشعرية طولاً وقصرًا.

وإذًا، فثمة محاولات كثيرة كانت وما زالت تستعيض بالتعبير بالصورة البصرية عن مبدأ التعبير بالصورة اللفظية كما هو معروف في الشعر العربي، بل وفي العالم كله. الدادئيون والسرياليون يكتبون حروف قصائدهم من تشكيلات مختلفة على بياض الورق ويصنعون أشكالاً موحية على هيئة قلب أو مرآة أو تاج إلى غير ذلك وكأنهم نسوا أو تناسوا أن:

الشعر فن صوتي وليس فنًا بصريًا، وإن احتوى على التصوير كأحد أهم سماته الفنية.

لقد اعتاد النقاد العرب أن يقرنوا صناعة الشعر وأثره في النفوس بصناعة بعض الفنون الأخرى وبالذات فن الرسم أو التزويق. فالجاحظ مثلاً شبه صناعة الشعر بأنها:

«ضرب من النسج وجنس من التصوير».. ورأى الفارابي أن بين أهل صناعة الشعر وصناعة التزويق مناسبة، مختلفان في مادة الصناعة ومتفقان في صورتهما وفي أفعالهما وأغراضهما، أي أن بين الفاعلين والصورتين والغرضين تشابهًا، وذلك أن موضع صناعة الشعر الأقاويل وموضع صناعة التزويق الأصباغ، إلا أن فعليهما جميعًا التشبيه أو (التمثيل) وغرضيهما إيقاع المحاكيات في أوهام الناس وحواسهم..».(ضمن فن الشعر لأرسطو ص٥٧).

وجعل أبو حازم القرطاجني:

«منزلة الشاعر في محاكاة الشيء كمنزلة المصور الذي يصور أولاً ما جل من رسوم تخطيط الشيء، ثم

ينتقل إلى الأدق فالأدق..» (المنهاج ص١٠١).

كما قسم التخييل بالنظر إلى متعلقاته إلى قسمين:

«تخيل المقول فيه بالقول، وهذا ما يجري مجرى تخطيط الصور وتشكيلها، تخيل أشياء في المقول فيه وفي القول من جهة ألفاظه ومعانيه ونظمه وأسلوبه...

وهذه التخييلات تجري مجرى النقوش في الصور، والتوشية في الأثواب، والتفصيل في فرائد العقود وأحجارها، وذلك لأن النفوس تتخيل بما يخيل لها الشاعر من محاسن ضروب الزينة فتبتهج، ولهذا نقلوا إلى بعض الهيئات اللفظية أسماء الصناعات فقالوا: الترصيع، والتوشيح، والتسهيم، وكثير من الكلام الذي ليس بشعري باعتبار التخييل يكون شعرًا باعتبار التخاييل، وإن غاب هذا عن كثير من الناس» (المنهاج ص٩٣،٩٤).

ويضرب القرطاجني مثالاً: «بأحسن ما يمكن أن يوجد من ضروب التصاوير للأشياء وتماثيلها».. «بتصور - أي انعكاس - أشعة الكواكب والشمع والمصابيح المسرجة في صفحات المياه الساكنة التموج، من الخلجان والأودية والمذانب والأنهار، وكذلك تمثل أفانين شجر الدوح بما ضم من ثمر وزهر في صفحات الماء الصغر إذا كان الدوح مطلاً عليه، فإن اقتران طرتي الغدير الروحية بما يبدو من مثالها في الصفاء - صفاء الماء - من أعجب الأشياء وأبهجها منظرًا» ذاك «أن حال معاينة أشكال هذه الأشياء في المياه أقل تكرارًا على الإنسان من مشاهدة حقائق تلك الصور، فهي لها أشد استظرافًا» (المنهاج ص١٢٧،١٢٨).

لكن يظل كل ما قاله العرب - نقاد العرب - بشأن هذه المناسبة بين الشعر والتصوير جنسًا من التشبيه لا جنسًا من الخلق، وتمثيل «المسموعات التي تجري من السمع مجرى المتلونات من العين..» (المنهاج ص ١٢٨).

فالحلم بأن يكون هناك شعر تشارك فيه الحواس كلها قوامه الألوان والأصوات والعطور، كما صبا الشاعر رامبو إلى ذلك ليس جديدًا، لكن الجديد هو محاولة التخلي عن التعبير بالكلمة وإحلال الصورة محلها، أي أن دعاة هذا الشعر بدل أن يستمزجوا الكلمة بالصورة، تخلى بعضهم عن الكلمة التي هي قوام الشعر باعتبار أن الشعر كلام أي فن من الفنون الصوتية، ومادته اللغة، واللغة صوت ولسان، فهو في الأساس ظاهرة صوتية وليس ظاهرة بصرية.

وعلى كل حال فإن تخلي هؤلاء الشعراء عن الكلمة أو حتى عدم اقتصارهم عليها وتفكيرهم في عناصر أخرى أهمها العناصر التشكيلية هو على نحو ما، ما عمد إليه كثير من الخطاطين العرب من صناعة تشكيلات خطية بديعة، لكنهم - أي هؤلاء الخطاطين - لم يدعوا أنهم شعراء.



الواقع أن ما تقدمه الممارسة الفنية من دلائل على التواشج والانفتاح من شأنه أن يحدث خلخلة ما للنموذجية المحددة لكل فن على حدة، يصح أن ينتج تلاقح الفنون أنماطًا من التهجين وأنماطًا من التناص بالمعنى الواسع لهذا المفهوم (وقد يفهم ذلك من أقوال النقاد العرب دائمًا) غير أن وحدتها الوظيفية باعتبارها أشكالاً رمزية هي ما يشفع لتقاطعها وإن اختلفت أدواتها وطرائقها وقيمتها التعبيرية.

إن ما يسميه الباحث الفرنسي جيرار جنيت (التعدي النصي) إنما يعني تجاوز النص لحدوده المعيارية التي تسطرها مشترطات نوعيته، مراكمته لنصوص موازية، فالنص الشعري مثلاً يرتهن بشكل أو بآخر بالغلاف وحجمه ولونه، بالعنوان الشامل للمجموعة الشعرية كلها، ناهيك من ارتهانه بكيفية استثمار بياض الصفحة والتوصل بالوسائط والرسوم وغيرها، لاشك أن كل هذه المجاورات تملي، بل هي تحتم توريط مجموع النصوص المصاحبة في آلية تفكيك مزمعة، لأن ميثاق التلقي الذي يقترحه نص شعري ينشده صاحبه فقط هو بالتأكيد غير الميثاق اللصيق بنص شعري تقرؤه ضمن منظومة نصوص، فهذا الأخير محكوم عليه «بالتعدي النصي» بناء على انحشاره بين دفتي مجموعة شعرية - أو حتى بين دفتي إحدى المجلات. ■

يا دمنا الأصيل

شعر:
نذير العظمة
دمشق

مــــاذا يكلف حلمنا غــــيــــر الإرادة والطمــــوح
وشــهــادة مــثل انبــثــاق الشــمس من فلك الجــروح
فــاهتف بشــعــبك كي يغــذي نطفــة الضــوء الصــريح
واترك لصـــدرك مـــا بصـــدرك من مـــعـــاناة النزوح
واســـهـــر على زهر يشع، ونم على جـــمـــر يبـــوح
واقـــدح بنبـــضك نخـــوة ألق الدمـــاء بهـــا يفـــوح
هذي خـــيـــام عن مـــيـــامننا وجـــلاد صـــبـــوح
يســتل من خــيل الصــهــيل صــهــيلهــا فــغــدت تنوح
يا أرضنا كـــيف افـــتـــرقنا لا ســـقـــوف ولا سطوح
ومـــتى نقـــوم من الســـفـــينة.. نوحـــهـــا مـــا عـــاد نوح
هذي ســـفـــينتنا تئن رياحـــهـــا من دون روح
يا نوح هل طارت حـــمـــامـــتنا إلى أفق جـــمـــوح
فـــغـــدا النزوح حليـــفنا والموج صـــار لنا مـــســـوح
لا الطين تـشـــتـــم الأنوف ولا التـــــراب لنا يلوح
صـــــدئت بدور لا نـعـــمـــدهـا بشــــريان ذبيح

***

راحـــوا ومـــاتوا غـــيـــر أنك لن تموت ولن تروح
ســـتظل تسطع في النجـــوم تظل تلمع في الجـــروح
مـــا دام في عـــرق دم يهـــتـــز للفـــجـــر الجـــريح
أنت الذي غنيت للألق الذبيح على الســـفـــوح
ولبـــســت درع الموت، لا ملكًا رفـــعت ولا صـــروح
منفـــاك أنت.. فَلِمْ خـــرجت من القـــروح إلى القـــروح؟
الله يا دمنا الأصـــيل مـــتى تعـــود إلى الفـــتـــوح
ومـــتى يحـــرك طارق نار الشـــهـــادة في الطروح؟!

عاشق المجد

شعر:

فهد بن عبدالله الغاوي

حوطة سدير



مَنْ لصب هاجه الشوق وما
عادة المشتاق غير الوصب
تيمته بهواها وكما
تيمته لم يفز بالمطلب

قال ليلاي أما يكفي الجفا
ها أنا ذقت مرار الحنظل
فارحمي حال محب قد وفى
لك عهدًا وعن الحال اسألي
لم تجب كانت سرابًا واختفى
أعذب الوجد بعيد المأمل!

لم يكن يعشق قدًا ولمى
أو بدورًا خلف ليل النُقُب
إذ هوى العشاق بالعشق سما
عاشق المجد سليل العرب

خط بالسيف على صدر العدا
شوقه والحبر سيل من دم
بين جنبيه هزبر ما هدا
عنده الموت لذيذ المطعم
كلما نادى المنادي يسعدا
هب للحين وثوب القشعم

هذا كان ولو كنا لما
جعلوا منا حقير اللعب

أنتَ بالهمة تحيا مكرما
ما أرى العيش سوى عيش الأبي
يا ليالي الوصل عودي واجمعي
من شتات الدهر شمل العرب
شفّنا الشوق إليك فارجعي
وأعيدينا شموس الحقب
جثم الذل علينا فارفعي
وأزيحي عنك ستر الغيهب
يا فتى الإسلام سدت الأمما
حينما سرتَ على نهج النبي
فأعد مجدك أو كن عَدَمَا
أي خير في بقا المغتصب؟

بوشكين أمير الشعراء

عياد العنزي
عرعر

يمثل «الكسندر بوشكين» رمزًا فكريًا وأدبيًا لدى المجتمع الروسي، ويعد مجيئه لعالم الفكر والأدب فاتحة كبيرة في تاريخ تطور الفكر الروسي وأدبه، شخصيته تحمل من التناقضات الأشياء الكثيرة، فرغم بساطة الشخصية ورومانسيته المتوغلة في حب الطبيعة والناس البسطاء تجده في المقابل إنسانًا دائم التبرم والقلق، لربما كانت ظروف الفترة التاريخية التي عاشها لها دور في تقلباته المزاجية.

ولد «بوشكين» عام ١٧٩٢م لأب من أشراف روسيا «سيرجي ليوفيتش»، ولأم تدعى «نادبجيدا أوسيسوفنا» وهي تنحدر من أصول حبشية، أعطته ملامح البشرة الإفريقية بالإضافة إلى اكتساب شيء من الثقافة الإفريقية بواسطة جده لأمه عندما كان طفلاً، وقد اتسمت عبقرية «بوشكين» بسرعة النبوغ المبكر، فقد أجاد اللغة الفرنسية وهو في سن العاشرة بسبب انكبابه على مكتبة والده الزاخرة بكتب الأدب الفرنسي، فقرأ لكبار أدباء فرنسا وعلى رأسهم «بلوتارك» «هوميروس» «لافونين» «راسين».

التحق «بوشكين» بالمعهد الأكاديمي الإمبراطوري فخرج من عزلته وكسب

أصدقاء يكادون يماثلونه في العبقرية والنبوغ مثل: «بوشين» و«دولفيج» حيث نمت لديهم مشاعر التنافس الثقافي وأخذوا يتبارون في طلب العلوم، لكن يبدو أن «بوشكين» أحرز السبق عليهم حيث قال أول قصيدة له في الشعر الروسي وهي: «قصيدة ذكريات تسارسكويه» التي ما إن سمعها أستاذه الكبير درجافين حتى خرج فرحًا بأنه وجد من سيخلفه في الفكر والأدب، وصاح بعد سماعه القصيدة: «درجافين لم يمت.. بوشكين هو درجافين».

لكن «هنري ترويا» الذي ترجم لـ«بوشكين» قال: إنه - أي بوشكين - لم يكن كأستاذه بل يفوقه فكرًا وأدبًا.

وربما تبقى الصفة المشتركة بينهما التقاؤهما على حب العدالة، وهذا هو «بوشكين» يتدرج في صباه من فوق إلى فوق بواسطة عبقريته الفذة وقدرته على براعة التصوير والتقاط الأفكار الدقيقة التي تفوت على الأشخاص العاديين.

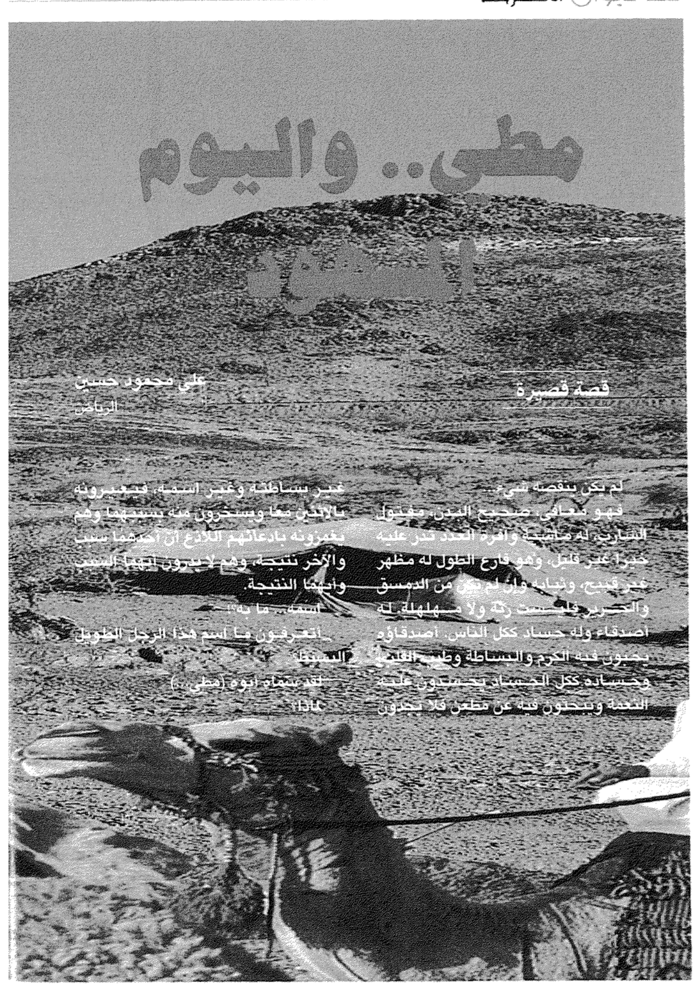
ذاع صيت «بوشكين» في بلاد روسيا، وزادت شعبيته العارمة في أوساط أبناء بلده، ونتيجة هذه الشعبية والأفكار الإنسانية التي تُصوِّتُ للعدالة ضُيِّق عليه ونُفِيَ من موسكو إلى سيبيريا، وقضى بها فترةً ثم نُفِيَ إلى بلاد القوقاز، وفي كلتا المرحلتين سجل شعرًا راقيًا.

وقد أحب الشعب القوقازي المسلم، وألف فيهم قصيدة اسمها يحمل عنوانًا باللغة الأوزبكية هي: «ينبوع باخشي سراي»، ويلاحظ تأثر اللغة القوقازية باللغة العربية من مفردة: ينبوع، وفي هذه القصيدة هام «بوشكين» في طبيعة بلاد القوقاز الساحرة وأعجب بطبائع سكانها التي تميل إلى الهدوء والبساطة.. متأثرًا لحالتهم المعيشية رغم ثراء أرضهم بخصوبتها الزراعية.

وقد أعجب بأخلاق المسلمين وتأثر بقيم القرآن الكريم وأحبها وحفظ سورة الحديد كاملة منه. وحدثت جدلية عاشتها الأوساط الروسية حول إسلامه لكن الحديث لا يسع ذلك.

وها هي مقطوعات من قصائده المترجمة إلى العربية بواسطة الدكتور صبري حافظ في كتابه: «الشعر الروسي الحديث. دراسة وقصائد»، من قصيدة «الشاعر»:

حتى انطلقت روحه الشاعرة
مثل عقاب
تنهض من مجثمها.. مذعورة
ووسط مباهج هذا العالم. وملاهيه المتنوعة
يشوقه أن ينأى بعيدًا عن هذه الحشود
حتى لايحني هامته العامرة.. بالكبرياء
يمضي سريعًا عن هذا العالم الوحشي القاتم
المليء بالأصوات المربكة
والشكوك.. والفوضى
إلى شواطئ البحار.. المهجورة
عبر الغابات الفسيحة
العامرة بالأصوات والأصداء
بعيدًا عن ضوضاء العالم الكبير
أنا لك الآن.. لقد هربت
من نعيم البلاط المتخم بالرذيلة
لكي أنال منك ما هو أغنى.. وأسمى
ذَهَبُ الحقول المتوج
رواء الغابات الأخضر
ففي كل يوم يأسرني من جديد
امتلاء الحدائق بالندى والأزهار
وشراع صياد يبرق من حين إلى حين
وعلى الشاطئ الرطب
تعبر قطعان الماشية سارحة
ومن خلفها تلال وحقول
أكواخ فلاحين منثورة في السهل
طواحين هواء
بيادر تكتظ بحزم السنابل الذهبية ■



مطي.. واليوم

قصة قصيرة

علي محمود حسين
الرياض

لم يكن ينقصه شيء..

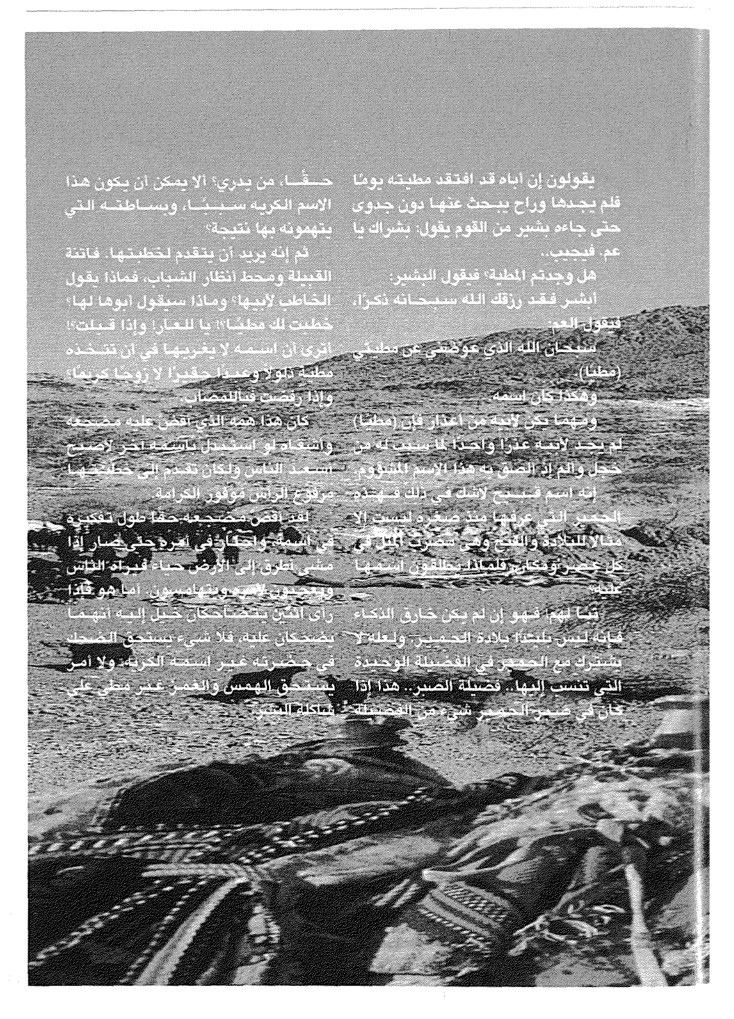
فهو معافى، صحيح البدن، مفتول الشارب، له ماشية وافرة العدد تدر عليه خيرا غير قليل، وهو فارع الطول له مظهر غير قبيح، وثيابه وإن لم تكن من الدمسق والحرير فليست رثة ولا مهلهلة. له أصدقاء وله حساد ككل الناس. أصدقاؤه يحبون فيه الكرم والبساطة وطيب القلب، وحساده ككل الحساد يحسدونه على النعمة ويبحثون فيه عن مطعن فلا يجدون غير بساطته وغير اسمه، فيعيرونه بالاثنين معا ويسخرون منه بسببهما وهم يغمزونه بادعائهم اللاذع أن أحدهما سبب والآخر نتيجة، وهم لا يدرون أيهما السبب وأيهما النتيجة.

اسمه.. ما به؟!

_أتعرفون ما اسم هذا الرجل الطويل البسيط؟

_لقد سماه أبوه (مطي...)

_لماذا؟



يقولون إن أباه قد افتقد مطيته يومًا فلم يجدها وراح يبحث عنها دون جدوى حتى جاءه بشير من القوم يقول: بشراك يا عم. فيجيب..

هل وجدتم المطية؟ فيقول البشير:

أبشر فقد رزقك الله سبحانه ذكرًا، فيقول العم:

سبحان الله الذي عوضني عن مطيتي (مطيًا).

وهكذا كان اسمه.

ومهما يكن لأبيه من أعذار فإن (مطيًا) لم يجد لأبيه عذرًا واحدًا لما سبب له من خجل وألم إذ ألصق به هذا الاسم المشؤوم.

إنه اسم قبيح لاشك في ذلك فهذه الحمير التي عرفها منذ صغره ليست إلا مثالًا للبلادة والقبح وهي مضرب المثل في كل عصر ومكان، فلماذا يطلقون اسمها عليه؟

تبًا لهم! فهو إن لم يكن خارق الذكاء فإنه ليس بليدًا بلادة الحمير. ولعله لا يشترك مع الحمير في الفضيلة الوحيدة التي تنسب إليها.. فضيلة الصبر.. هذا إذا كان في صبر الحمير شيء من الفضيلة.

حقًا، من يدري؟ ألا يمكن أن يكون هذا الاسم الكريه سببًا، وبساطته التي يتهمونه بها نتيجة؟

ثم إنه يريد أن يتقدم لخطبتها. فاتنة القبيلة ومحط أنظار الشباب، فماذا يقول الخاطب لأبيها؟ وماذا سيقول أبوها لها؟ خطبت لك مطيًا؟! يا للعار! وإذا قبلت؟! أترى أن اسمه لا يغريها في أن تتخذه مطية ذلولًا وعبدًا حقيرًا لا زوجًا كريمًا؟ وإذا رفضت فيا للمصاب.

كان هذا همه الذي أقض عليه مضجعه وأشقاه لو استبدل باسمه آخر لأصبح أسعد الناس ولكان تقدم إلى خطبتها مرفوع الرأس موفور الكرامة.

لقد أقض مضجعه حقًا طول تفكيره في اسمه، واحتار في أمره حتى صار إذا مشى أطرق إلى الأرض حياء فيراه الناس ويعجبون لاسمه ويتهامسون. أما هو فإذا رأى اثنين يتضاحكان خيل إليه أنهما يضحكان عليه، فلا شيء يستحق الضحك في حضرته غير اسمه الكريه. ولا أمر يستحق الهمس والغمز غير مطي على شاكلة البشر.

أخذ ينفر من معاشرة الأصحاب، وصار معارفه يفتقدون الكثير من دماثة أخلاقه وطيب معشره، وصار يأخذ بتلابيب الناس وبغير سبب، فكثيرًا ما كان ينشأ بينه وبينهم عراك لسوء ظنه بهم إذا هم ابتسموا أو همسوا.

وعرف أمره صغار القبيلة فأخذوا يهتفون باسمه إذا مر، وأخذت تصيبه حجارة يطلقونها ويهربون، وراعه هذا المصير فلازم خيمته حزينًا كئيبًا فقد لا تلقى أمام عينيه نهايته البشعة المخيفة، فقد كان يمشي إلى الجنون بخطى سريعة.

كان شيخ القبيلة رجلاً قصيرًا سمينًا معروفًا بالدهاء الشديد، يحلو له المكر والمجون، له عينا الثعالب ومكرها. ويجيئه (مطي) ذات يوم وقد تبدل حاله فهزل جسمه واصفر محياه حتى إن عينيه قد غارتا لطول السهر والبكاء. فيشكو إلى الشيخ أمره ويقص عليه اسمه وأن يعلن للقبيلة ذلك في أمر يحرم فيه عليهم أن يتلفظوا به أو يشيروا إليه ولو من طرف خفي، وأن يعرض من يفعل ذلك منهم إلى العقاب الشديد. فهو شيخ القبيلة وملاذه الوحيد بعد الله. والشيخ يسمع هذا وهو يعبث بلحيته ويفتل شاربه ثم يطرق مليًا ويتنحنح ويتلمظ وتمر فترة طويلة يخالها (مطي) دهرًا، حتى يفتح عليه الباري فيقول الشيخ قولاً يفهم منه أنه يوافق على الطلب على أن يؤدي (مطي) للشيخ ما ينفقه على مأدبة كبيرة تناسب المقام يقيمها الشيخ لرجال القبيلة جميعًا يوم يعلن للقوم هذا الأمر الخطير. ويرضى (مطي) بالشروط وعيناه مغرورقتان بالدموع ويمسك بكف الشيخ يقبلها ثم يعود إلى خيمته والأرض لا تكاد تسعه لفرط سروره.

وكان يومًا مشهودًا من أيام القبيلة المبجلة يوم كانت تنحر الأغنام بين التكبير والتهليل والحنطة الوافرة تدخل النار بغير حساب. وكان ديوان الشيخ غاصًا برجال القبيلة كبيرهم وصغيرهم والناس تزغرد والأولاد يرقصون ويلعبون. ويمضي معظم النهار والناس في فرح، أي فرح والرجال تلتهم الطعام بغير حساب والشيخ بادي الرضا والسرور. وكنت تسمع القوم يتجشؤون ويمسحون لحاهم بأكفهم التي تقطر سمنًا كي يزيدها لمعانًا، حتى إذا أصابتهم التخمة أو كادت، نادى الشيخ (مطيًا) وكان يجلس إلى يمينه فيقوم هذا مطأطئ الرأس ويقف بين يدي الشيخ صاغرًا فيقول الشيخ:

- أيها القوم اسمعوا وعوا، وليخبر الحاضر منكم الغائب أن من يسمي (مطيًا) باسمه بعد الآن فهو كلب ابن كلب وملعون ابن ملعون وبغل ابن بغل.

ويكيل الشيخ من مثل هذه السباب والشتائم كيلاً جزافًا ويظل هكذا ساعة من الزمن ثم يتوجه إلى مطي فيسأله عما اختار لنفسه من اسم جديد يُعرف به بين أبناء العشيرة فيقول مطي والدمع يترقرق في عينيه:

- أنا أبخت شيخنا.. والله أنت اللي تختار.

وهنا تعلو وجه الشيخ ابتسامة الرضا والسرور، ويدور بعينيه هنا وهناك فيرى أعينًا تلمع ببريق الإعجاب، وأعناقًا تشرئب لمعرفة ما ينبس به.

فالقوم راضون عنه لما أصابوا بسببه من طعام طيب وسمن لذيذ، وهم يتمنون لو استطاع أن يظفر لهم بمثل هذا كل يوم.

وينقل ببصره إلى (مطي) الواقف أمامه فيكتشف فيه رجلاً عملاقًا جبارًا فقامته طويلة الجميلة وبزته الجديدة وعباته النظيفة.. كل هذه تثير في نفسه إحساسًا غريبًا بالكراهية والحسد..

وهنا يتنحنح الشيخ ويتجشأ ثم يقول بصوت الظافر:

رح... سميناك (جحش)....؟!؟!

وكان (جحش) يغالب دمعة تريد أن تنحدر عندما أقبل الناس يباركون له اسمه الجديد وهم يغالبون ضحكة تكاد تنفجر. ■

لهذه الأسباب الغالبية تفضل المراعي

- **وضعت** المراعي نصب أعينها هدفاً سعت لتحقيقه منذ انشائها تمثل في الحصول على ثقتكم الغالية وذلك بتقديم منتجات طبيعية غنية بالفوائد الغذائية وبجودة عالية.

- **والآن** وبعد مرور خمسة وعشرون عاماً من السعي الدؤوب استطاعت المراعي بتوفيق من الله أن تصبح أكبر شركة ألبان طازجة ليس على مستوى المملكة العربية السعودية فحسب بل وعلى مستوى الخليج العربي وبحصة تصل إلى ٤٠٪ من حجم السوق، وأصبحت منتجاتها جزءاً هاماً من الحياة اليومية.

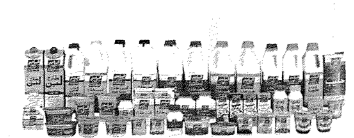
- **وهيأت** المراعي أفضل الظروف البيئية والصحية لأبقارها التي تشكل أكبر قطيع أبقار في الشرق الأوسط يصل عددها إلى ٤٠ ألف بقرة من أفضل السلالات، وتفخر المراعي بحصولها على شهادة الجودة العالمية (ISO 9002) كأول مزرعة أبقار تمنح هذه الشهادة عالمياً.

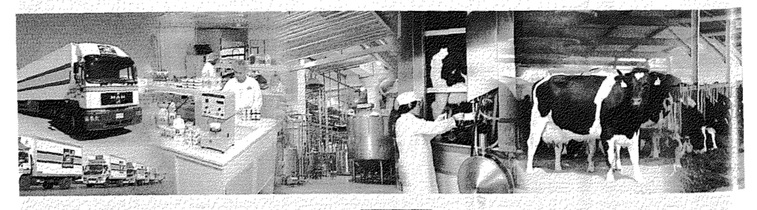
- **وبواسطة** الربط المتكامل بالحاسب الآلي لأكبر وأحدث مصنع ألبان في الشرق الأوسط، بالإضافة إلى تطبيق أفضل أنظمة للجودة الشاملة واجراء أكثر من ٥٠٠٠ اختبار جودة يومياً لمنتجاتها، تمكنت المراعي من تقديم منتجات تفخر بجودتها مما أهلها للحصول على ثقتكم الغالية.

- **وتضمن** المراعي وصول منتجاتها طازجة لكم أينما كنتم بيسر وسهولة عبر أسطول مكون من ٦٠٠ ناقلة مبردة يتم من خلالها نقل أكثر من ٢٥٠ نوعاً وحجماً إلى أكثر من ٢٠ ألف منفذ بيع في المملكة والخليج.

- **وتؤمن** المراعي بأن كل ذلك أهلها لنيل ثقتكم وحملها مسؤولية مضاعفة الجهد نحو المزيد من التطوير والسعي لتقديم الجديد الذي يرضي أذواقكم التي لا ترضى بأقل من الجودة العالية لتمنحوها كل هذه الثقة.

- **وبثقتكم** التي منحتمونا اياها، استطاعت المراعي رفع كفاءة الأداء إلى درجة مكنتها من تقديم منتجاتها العالية الجودة بأسعار أقل.





جودة تستحق الثقة

المراعي ALMARAI

QUALITY YOU CAN TRUST

الخبرة والجودة شعارنا

تهادو تحابوا **عرض خاص** قارن وأنت الحكم

مفاجأة الرواد في تحطيم الأسعار

١٦ صنفاً ب ١٧٥ ريالاً فقط

زورونا لتحصلوا على

صدق أو لا تصدق

عجيب كل هذه ب ١٧٥ ريالاً فقط شيئ ولا في الخيال

جميع هذه الأصناف داخل كرتونة على شكل هدية

١- نصف ك عسل سدر جبلي	٩- ربع تولة مسك مستلق
٢- نصف ك عسل حبة البركة	١٠- ربع تولة مخلط (نسائي)
٣- نصف ك عسل زهور برية (عسل أطفال)	١١- أوقية معمول (نسائي)
٤- ٤٠ غرام حبوب لقاح	١٢- أوقية بخور مبثوث خليجي
٥- ١٠ غرام زعفران إيراني	١٣- بودرة للعرق بجميع الروائح (أقمار)
٦- أوقية لبان	١٤- نصف تولة عطر الفواحة
٧- نصف أوقية عود كمبودي طبيعي	١٥- الفواحة الحديثة
٨- ربع تولة دهن عود كمبودي فواح	١٦- بكت شمع الفواحة

خصم خاص لمبيعات الجملة و الجمعيات الخيرية

١- العليا ت ٤٥٠٧٠٥٨
حي الملك فهد ش الأمير احمد مقابل محطة التسهيلات
٢- الربوة - حي الريان ت ٤٩٦٧٧٨٢
٣- الربوة / غرب أسواق السدحان ت ٤٤٥٤٧٤٦ - ٤٩١١٩٨٥
٤- الروضة ٣ ش انكاس ت ٢٤٩٨٦٦٤ - ٢٢٧١٨٩٨
٥- الملز - ش الاحساء ت ٢٠٦٥١٥٥
٦- أسواق المجد ت ٤٩٣٩٩١١ - تحويلة ١٠٨
٧- الملز - شارع الظهران ت ٤٧٩٠٣٩٠
٨- اسواق المجد ت ٤٤٥٠٣٦٢ سوق حجاب ت ٢٣٢٦٩٥٥
٩- الروضة ٢ ت ٤٩٣٥٤١٤
١٠- السويدي - مقابل مستوصف الشمائل ت ٢٦٦٠٥٤٥
١١- الشفا - سوق العودة ت ٢٧١٢٥١٩
١٢- طريق الملك فهد ت ٤١٣٠٠٠٠ طريق خريص ت ٢٠٨٠٠٠٠
١٣- السويدي - ش النخيل ت ٤٢٨٨٩٩٢
١٤- الشفا - حي بدر ت ٤٢٢٤٥٩٦
١٥- م / شهد التجاري ت ٤٠٥٨٦٨٧
١٦- العزيزية ت ٤٩٥٤٢٣٥
١٧- حي اليمامة ت ٤٥٩٣٤٠٩
١٨- أسواق القدس ت ٤٥٧٢٥٤٧
١٩- الجوازات ت ٤٠٢٠٣٩٦ البديعة ت ٤٢٦٢٨٦٨ الروضة ت ٤٩٣٢٥٨١
٢٠- النسيم شمال أسواق حجاب ت ٢٣٢٨٤٤٠
٢١- حي السلام ت ٤٩٣٢٦٥١
٢٢- الربوة - مقابل سوق المجد ت ٤٩٦١٣١٢
٢٣- القرية الشعبية ت ٤٥٠٧٠٥٨ جوال ٠٥٤١٤١٠٥٩
٢٤- العريجاء ت ٤٣١٢٩٣١ عطارة القصيم شبرا
٢٥- الروضة ٣ مخرج ١١ ت ٢٤٩٦٢٣٩
٢٦- النسيم ت ٢٣١٧٤٩٤ - الروضة ت ٢٤٩٣٢٩٥
٢٧- زهرة البديعة ت ٤٣١٣٧٥٢ الشفا ت ٢٧١٢٢٨٨
٢٨- شارع التخصصي ت ٤٦٥٦٦٣٦
٢٩- الربوة ت ٤٩١٠٥٢٦ تسجيلات صدى الامجاد ت ٤٧٩٣١١٤

٣٠- ظهرة البديعة / أسواق اليمامة ت ٤٢٨٢٠٣٦
٣١- أم الحمام ت ٤٨٢٥٤٢٢
٣٢- الطائف - ش عكاظ ت ٧٣٢١٥٠٥ ج ٠٥٥٧١١١٣٦
٣٣- جدة / ت ٦٨٠٨٢٤٠ أحد بريدة ت ٣٨٢١٣٣٣
٣٤- القصيم - بريدة ت ٣٢٥٠١٩٠ الصفراء ت ٣٨٥٠٩٧٦
٣٥- الاحساء - المبرز ت ٥٨٥٦٠٧١
٣٦- حائل - طريق القصيم ت ٥٣٣٩٤٧٧ جوال ٠٥٥١٥٦٣٣٣
٣٧- الدمام - عنك ش الكورنيش ت ٣٨٦١١١٧
٣٨- القريات ت ٦٤٢٤٢٩٢
٣٩- جدة / حي الصفا ت ٦٧٠٥١١٣
٤٠- مكة - العزيزية ت ٥٥٨٤٩١٢
٤١- المدينة المنورة شارع سلطانة ت ٨٢٦٧٨٣٧
٤٢- جميع صيدليات السقاف بالرياض
٤٢- الجبيل - مجمع الفناتير ت ٣٤٦٠١٠٠
٤٤- المزاحمية ت ٥٢٣٢٠٧٦
٤٥- القويعية ت ٦٥٢٠٤٠٢
٤٦- سكاكا الجوف ت ٦٢٤٢٤٥٦
٤٧- الدمام - حي المزروعية ت ٨٣٢١١١٠
٤٨- نجران - الفيصلية ت ٥٢٣٣٦٠٠
٤٩- االطائف ت ٧٤٨١١٢١ ج ٠٥٥٧١٧٨٢٤
٥٠- الخرج - السوق العام ت ٥٤٨٤١٦٧ الخرج ت ٥٤٥١٤٩٨
٥١- سبت العلايا ت ٦٣٠١٠٤٢ جوال ٠٥٤٧٤٩٧٣٩
٥٢- خميس مشيط جوال ٠٥٤٥٧٨٦٠٣
٥٣- تبوك - الوجه ت ٤٤٣٣٩٠٠ - ٤٤٢٢٥٠٠
٥٤- الدوادمي ت ٦٤٣٠٥٩٧ ج ٠٥٥٢٧٥٨٥١
٥٥- ظهرة البديعة ت ٤٢٨٧٠٩٤ غبيرة ت ٤٤٨٩٠٢٣
٥٦- المجمعة ت ٤٣٢٠٦٤٨
٥٧- ينبع ت ٣٢٢٦٠٨٢
٥٨- جدة - باب مكة ت ٦٤٤٠٢٢١ ج ٠٥٣٢٠٠٠٠٤
٥٩- الكويت جوال ٦٠٥١٥٨

تعلن الرواد عن خصم ٥٠٪ على العود ودهن العود والعسل بأنواعه

خدمة التوصيل مجاناً .. إغتنمو الفرصة **الرواد : ٤٥٠٧٠٥٨ - ٤٥٣٣٨٦٧ - ج ٠٥٤٢٩٨٧٥٢**

سبورة

- الجميع يقوّم الجميع في «تعليم الشرقية».
- أجندلاً يحملن أم حديدا؟
- أبرم عقداً مع طفلك.
- مدحت أم مدحة.

المعرفة

هذه «سبورة» تفتح يديها للجميع.
هي ليست صفحة القراء - كما في المطبوعات الأخرى - مخصصة للصغار فقط!
«سبورة» أسميناها هذا الاسم محاكاة للسبورة إياها..
تلك التي يَكتب فيها المعلم والطالب معاً..
يُكتب فيها العلم ومحاولات التعلّم جنباً إلى جنب.
هكذا هي إذن سبورة المعرفة للكبار والصغار معاً.. هي للجميع بلا استثناء.

المعرفة

تعليقًا على «هل يقوّم الطلاب المعلمين»:

الجميع يقوّم الجميع في «تعليم الشرقية»

عبدالرحمن بن مطلق العتيق
المنطقة الشرقية

من خلال تصفحي لعدد شهر شوال شد اهتمامي الموضوع المعنون بـ «هل يقوّم الطلاب المعلمين» في صفحاته من (١٠٢-١٠٦) للزميل الأستاذ صالح بن عبدالعزيز الزهراني، وكلمة حق أقولها إن ما تناوله الزميل في عرضه لهذا الموضوع التربوي الهادف لجدير بالاهتمام وحري بنا كتربويين أن نأخذه مأخذ الجد من حيث الدراسة والبلورة والتطبيق لأبعاده التربوية الإيجابية على العملية التعليمية.

وفي سياق تعقيبي على هذا الموضوع - بداية - أوجه الشكر للزميل الكاتب، ويسرني أن أشارك بشيء متواضع من الإيضاح لمفهوم التقويم لما يحظى به من أهمية في حياتنا العملية كتربويين، حيث إنه من خلال قراءتي للموضوع لاحظت أن الزميل اقتصر في تناوله لفكرة التقويم على زاوية واحدة وهي تقويم الطالب لمعلمه، والتقويم من هذه الزاوية يقتصر على شريحة واحدة من شرائح العاملين بالميدان التربوي.

وإيضاحي لموضوع التقويم أستمده من تجربة يتم تطبيقها حاليًا في الإدارة العامة، للتعليم بالمنطقة الشرقية، وذلك بصفتي رئيسًا لفريق العمل الذي أعد هذه التجربة «المشروع»، حيث إننا في الإدارة العامة للتعليم بالمنطقة الشرقية ومنذ ما يقارب العام والنصف بدأنا بإعداد مشروع شامل للتقويم يتناول جميع العاملين بالإدارة العامة، واتفق على تسميته بـ«التقويم المتبادل لمنسوبي الإدارة العامة للتعليم بالمنطقة الشرقية» ويعود الفضل بعد الله لسعادة مدير عام التعليم بالمنطقة الشرقية د. صالح بن جاسم الدوسري الذي أعطى الموضوع أهمية خاصة من حيث طرح الفكرة وبلورتها في الاجتماعات الدورية الأسبوعية بالإدارة العامة، ويسرني أن

أوضح المشروع بشيء من الإيجاز وفق الآتي:

أولاً: مفهوم التقويم المتبادل:

«تقويم منسوبي الإدارة العامة للتعليم بالمنطقة الشرقية بعضهم لبعض بدءًا من الطالب ونهاية بالمدير العام».

ثانيًا: الأهداف العامة:

- تطوير الأداء المهني للأفراد للرقي بالعملية التربوية والتعليمية بالمنطقة الشرقية بصفة عامة.
- تفعيل دور التقويم في صنع القرارات التربوية التعليمية والإدارية.

ثالثًا: الأهداف الخاصة:

- تشخيص نقاط القوة والضعف للأفراد المراد تقويمهم.
- عمل تغذية راجعة لمستوى الأداء.
- تكوين صورة واضحة للمسؤولين - حسب أعمالهم - عن مرؤوسيهم.
- تعزيز وتدعيم مبدأ الثقة المتبادلة بين الأفراد.

رابعًا: المعنيون بالتقويم:

الفئة التعليمية:

أ- العاملون بالميدان المدرسي:

(طالب، معلم، وكيل، مدير، مشرف تربوي، مرشد طلابي، مشرف توجيه وإرشاد، مدير مركز إشراف).

ب- العاملون بالإدارة:

(رئيس قسم/وحدة، مدير إدارة، مساعد المدير العام، المدير العام).

الفئة الإدارية:

(موظف،رئيس قسم/وحدة، مدير إدارة، مساعد المدير العام، المدير العام).

خامسًا:

يجري حاليًا في الميدان بلورة فكرة مفهوم التقويم المتبادل تمهيدًا لتطبيقه الفعلي بصفة تجريبية اعتبارًا من هذا الفصل الدراسي الثاني لعام ١٤٢٢ / ١٤٢٣هـ وفق خطة معدة كمشروع يتم تنفيذه على مراحل اتخذت فيه جميع الترتيبات الفنية اللازمة.■

ما تفعل يا ثعالة؟

إبراهيم عثمان

الحدود الشمالية

جاء في كتاب كليلة ودمنة: أن الثعلب رأى حجرة بيضاء بين لصبين فذهب إلى الأسد وقال له: يا أبا الحارث، هل لك في الغنيمة السهلة؟

قال الأسد: وما ذاك؟ قال: شحمة في مكان ضيق لا يقوى على إخراجها غيرك. قال الأسد: أين؟ فأخذه الثعلب إلى المكان، وأراه الشحمة المزعومة، فما كان من الأسد إلا أن أدخل رأسه ليستخرجها فعلق ولم يستطع فكاكًا.

ولما أيقن الثعلب بنجاح حيلته طفق ينهش الأسد من الخلف، فقال الأسد: ما تفعل يا ثعالة؟ قال: أريد أن أخلصك. قال: فهلا جئت من قبل الوجه؟!

قال: لا أحب تخديش وجه الصاحب.

هذا ما جاء في كتاب كليلة ودمنة الذي ترجمه ابن المقفع من الفارسية إلى العربية، وهو منقول عن الهندية قبلاً، - وفي الهنود لا شك حكمة - وكثير من الناس في أيامنا هذه لا يحبون تخديش وجه الصاحب، كما فعل الثعلب على حد زعمه، وهو في الحقيقة عاجز عن المواجهة من الأمام، كما أن الكثيرين أعجز من الثعالب عن المواجهة فيلجؤون إلى المراوغة والنهش من الخلف ليحققوا مكاسب رخيصة، أو يتزلفوا رئيسًا بالملق والمداهنة ونهش أقفاء الآخرين سواء كانوا أصحابًا أو زملاء عمل أو رفاق وظيفة.

ولعمري إن هذا «التثعلب» وإن صح التعبير لهو الجبن الصراح عينه وقد شابوه بالمكر والخديعة حتى بات أمشاجًا تعافها النفس، وتنفر منها الفطرة السليمة.

ولا يسع المرء الحر الكريم إلا أن يأسى لحال هؤلاء النفر، ويتحسر على المثل العليا والقيم الخالدة والأخلاق الفاضلة، وأن يرثي للمبادئ التي ذوت في ضمائر الكثيرين، ولم يبق منها إلا كلمات يتشدق بها بعض الناس دون أن يدركوا معناها، وغمغمات يلوكها من رمى عن قوس.

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم

فأقم عليهم مأتمًا وعويلا ■

لأن المدرسة ربما تقفل ذلك اليوم!:

لماذا يحب الأطفال المطر؟!

منصور عبدالجليل القطري
الرياض

عندما تهطل الأمطار يفرح التلاميذ جميعًا في بلادي وترتفع أيديهم الصغيرة الناعمة بالدعاء إلى الباري أن يجعل المطر أشد نزولاً. وتتم تلك الفرحة في عالم الصغار بمعزل عن مشاعر الكبار الذين يحملون هم نزول المطر وما يترتب عليه من وعورة الطرقات وامتلاء الشوارع بالمياه وانسداد المجاري. والسر في شعور التلاميذ بالفرح يرجع إلى احتمالية أن تغلق المدارس أبوابها!.

نعم إن هذه المشاعر بالكراهية للمدرسة تعتبر مؤشرًا قويًا يجب على المفكرين والمهتمين بالتربية الوقوف عنده كثيرًا.

التعليم وتزييف الوعي الاجتماعي:

لقد كان ولا يزال التلاميذ يشعرون بأن المدرسة موقع جامد للمعرفة، يقبع فيه التلميذ ساعات طويلة يوميًا، ويدرس لسنوات طويلة فيمتلئ بكم هائل من المعلومات النظرية داخل فصل محاط بأربعة جدران خلف سور رفيع لا يرمز فقط لحدود المكان، وإنما يرمز أيضًا لحالة من العزلة والغربة بين المدرسة وما يضج به الشارع الاجتماعي من مشكلات.

لذا لم يندهش ذلك المعلم في مدرسة الأغنياء (أبناء الذوات) عندما قرر أن يفرض على التلاميذ موضوع إنشاء، فأمرهم أن يكتبوا حول موضوع (الفقر) فكتب أحد التلاميذ من طبقة الأغنياء الأرستقراطيين (كان يا ما كان في سالف العصر والأوان أسرة فقيرة. الأب فقير والأم فقيرة والأولاد فقراء، حتى السائق فقير والطباخ فقير والشغالة التي تخدم الأسرة فقيرة وحارس المزرعة فقير...) هكذا تفعل الأسوار المغلقة على فكر التلاميذ.

هذا العصر لا ينسجم مع القوالب الجامدة والأسوار الرفيعة، إنه عصر الاقتحام وعصر التخطيط المنفتح على عالم الحياة، ومن المؤسف أن المؤسسة الإعلامية في أنحاء العالم استطاعت أن تحتوي التلاميذ بينما وقفت المؤسسة التربوية عاجزة مشلولة. فالمحطات التلفزيونية أخذت تتسابق على كيفية جذب التلميذ والمشاهد في البيوت، وجعله جزءًا من برامجها وأنشطتها. واستطاعت بعض البرامج أن توظف فعاليتها الثقافية والاجتماعية وتقدم المال والجوائز، استحوذت بذلك على أفئدة وعقول الصغار!! وهكذا تمكن جهاز صغير (التلفزيون) من أن يفرض نفسه كمعلم خصوصي داخل المنازل ويزاحم دور المدرسة والمعلم والوالدين والجدة!.

مناهج الببغاوات:

التكرار والتلقين دليل فاضح لهزلة لا تزال مستمرة في مدرستنا العربية، والسبب يتمثل في غياب المضمون (المحتوى). لذا فنحن نكرر ذواتنا لأن ما نعرفه قليل وليس

إلى طلاب الثالث الثانوي:



كلية الطب ليست هي الأفضل

بندر محمد الداود
حريملاء

إنها لحظات سعيدة، لحظات فرح، لحظات سرور، وبهجة، وأنس، هل تلك اللحظات التي بشروني فيها بنجاحي وحصولي على الشهادة الثانوية العامة بتقدير ممتاز ونسبة عامة (٩٨,٧٦٪).

حمدت الله وشكرته على توفيقه لي، وبدأت أستعد بعد هذه المرحلة المهمة (الصف الثالث الثانوي) للمرحلة الأهم وهي مرحلة تحديد المصير والمستقبل.

بدأت الأفكار تدغدغني، وبدأت الآراء تقلقني، وبدأت الهواجس تؤرقني، وانتهى بي هذا كله إلى وصول موعد تقديم أوراق التسجيل، يا ترى أأقدم أوراقي هنا أم هناك؟

كل أقاربي يحسدونني على ما أنا فيه ولا يدرون أنني في هم عظيم، فكل من يسألني أين سجلت يتغير وجهه ويضرب بكفيه ضربة توحي بالندم، كل يدلي برأيه وعندما يسمع رأيي يقول إنك تجني على نفسك، أهذا آخر تعبك واجتهادك؟ ألهذا حصلت على هذه النسبة، إنك فعلاً لا تستحقها، إنها لغيرك ممن سينفع غيره ويلتحق بكلية الطب. حقًا إنك مغفل!

بجدير وهو تجسيد لمقولة جوته (كلما تضاءلت المعرفة عند الإنسان ازداد ولعًا بالحديث عن هذا القليل الذي يعرفه).

مناهجنا بحاجة إلى غربلة فهناك أشياء مهمة يجب أن يتعلمها الأبناء، وهناك أشياء غير مهمة يجب أن تلغى وتمحى من الذاكرة لأنها خارج العصر. يقول الفيلسوف نيتشه (هناك أشياء كثيرة ينبغي أن لا نعرفها لأنها ليست مهمة).

عليه يجب أن لا نستغرب إذا نشرت (لوس أنجلس تايمز) تقريرًا في (٢٣ يناير ٢٠٠١م) تقول فيه: إن حجم المواد التي يدرسها طلاب التعليم في الوطن العربي يعادل أضعاف ما يدرسه الطالب الأمريكي! أي أن معدل ما يقضيه الطالب العربي في المذاكرة يفوق معدل ما يقضيه الأمريكي! والسؤال ما هي النتيجة؟

النتيجة لعلها حاضرة في أذهان الجميع وإفرازاتها المتشظية في كل الأنحاء في الاقتصاد وفي الضغوط على الأسرة وفي إهدار الوقت وفي مخرجات التعليم. وهكذا يضطر الإخوة في (مصر) إلى الإنفاق على الدروس الخصوصية بما معدله (٤) مليارات جنيه في السنة الواحدة... إنه التعزيز لثقافة التكرار وكأننا في مزرعة دواجن لتخريج الببغاوات.

هنا لا بد من تسجيل ملاحظة تطال التوجه العام للمناهج في بلادنا لأن المنهج مربط الفرس أو حجر الأساس في مشروع أي مؤسسة تربوية، فمناهجنا قد بالغت في الاعتماد على منهج التلقين والحفظ إلى درجة الإدمان. وهي تقف على النقيض من المناهج الحديثة التي تقسم موضوعاتها إلى (مادة، طريقة، نشاط) ولا تعتمد على المادة فقط كما هي الحال في مدارسنا التي تختصر المنهج في المادة الدراسية المقررة والكتاب الدراسي. لذا فالمناهج لدينا تعمل على تخريج نسخ كربونية من الطلاب، كلهم (متشابهون) أي مصنع للصور الفوتوغرافية.. يحملون شهادات ويتسابقون بسذاجة للوظيفة (خريجون سطحيون) لا يملكون الحد الأدنى من الثقافة والوعي بالحياة.. فبعد الانتهاء من المرحلة الثانوية تقف الفتاة أو الشاب بلا قرار ينتظر من والديه أن يختارا له أو لها القرار بالنيابة! وقد علق طه حسين ذات مرة قائلاً: (إن بناء مكتبة وسدها العجز الذي يعانيه الطلبة خير عندي من بناء جامعة.. فإن عشرة طلبة مثقفين خير عندي من مائة خريج سطحي).

إننا نطمح أن تكون المدرسة صورة مصغرة من الحياة يتدرب فيها التلاميذ على حب العمل وسرعة الإنجاز والعمل من أجل تنمية مجتمعاتهم المحلية وأوطانهم، والتعرف على حل مشكلات المجتمع والبيئة، وكيفية تنمية مواهبهم وقدراتهم الخاصة، وأخيرًا كيف يفكرون باستقلال ويتخذون قراراتهم باستقرار ونضج.

وأختم الحديث بمشهد رائع لأحد الأطفال الصغار عندما سئل ذلك السؤال التقليدي: ماذا تتمنى أن تكون في المستقبل؟ طبيب؟ مهندس؟ أم تاجر؟ ماذا أجاب هذا الطفل الذي تمنيت أن يكون مسؤولاً عن التعليم لمدة يوم واحد فقط؟ لقد أجاب بما لا يستطيع الكبار التعبير عنه... لقد تلفظ بكلمات موجزة لكن لها رائحة الياسمين ولها ضياء قنديل يشع بالشمس... لقد قال:

(إني أتمنى أن أكون إنسانًا مؤثرًا في مجتمعي). ■

هذا ما قاله لي أحدهم وحطم شيئًا من حماسي، ولكن طالما كان عمي يعوض ذلك الحماس المفقود ويشجعني للمضي نحو ميولي ورغبتي - فله مني كل تقدير واحترام - فميولي نحو الحاسب وأرى أن كلية علوم الحاسب والمعلومات هي الأنسب لي.

فأنا شخص لا أحب رؤية المرضى، ولا أطيق سماع آهات التألم والتوجع، وطالما ابتعدت عن المدرس في أثناء التشريح في مادة الأحياء بالمرحلة الثانوية، لا أحب الحفظ بل أحاول الفهم حتى في مواد الحفظ. بل إنني سألت أطباء عن الكلية فنصحوني بالابتعاد عنها ووصفوها بأنها مقبرة الذكي.

ولكنني مع هذا تساءلت لماذا كل المجتمع يرى أن كلية الطب هي الأفضل؟ وغيرها من الكليات ليست شيئًا أمامها! لا أدري هل لأن الطبيب يقابل طبقات المجتمع مباشرة، وفي أوقات حرجة قد ينفعهم فيها أو يضرهم أم لأنه يلبس البالطو ويعلق السماعة؟!

هذه معاناتي أبثها لكم عبر هذه المجلة المتميزة «المعرفة»، التي طالما حلت المشاكل وعدلت المفاهيم وأصلحت الموازين.

وأبشركم أنني سجلت بكلية الحاسب وقبلت فيها فأسأل الله لي ولجميع الطلبة التوفيق في الدنيا والآخرة، وأنصح كل طالب بأن يكون مقتنعًا برأيه وأن يسير خلف ميوله ولا يهتم بآراء الناس بقدر اهتمامه برأيه هو نفسه، لأنه لن يدرس ولن يكابد مرارة الاختيار إلا أنت أيها الطالب المسكين، فمن يتكلم ليس كمن في الميدان يطبق ويجرب. ■

«إبرة التطعيم» تفجّر بالونة «الأسبوع التمهيدي»!

نبيل بن محمد البدير
الاحساء

حينما يزداد المبنى الصرفي للكلمة العربية فإنه يزداد المعنى.. هذه حقيقة بليغة ومفيدة، فالكلمة الواحدة تأتي بصور جميلة وبديعة وكثيرة كلما تنوع بناؤها..

واليوم المبنى الصرفي للتعليم تعددت مبانيه فتعددت وكثرت معانيه الجميلة، فلله در الباني، ولله در تلك القدرات البنائية الرائعة التي استطاعت أن تجعل من التعليم متعة، بل بالترفيه يحصل التلميذ الصغير على تعلم قوي ومفيد وكثير وكبير..

وها هي المدارس اليوم تقوم بحفل مميز لصغارنا المبتدئين في الدراسة اسمه: (الأسبوع التمهيدي). نعم، لقد شاهدت هذا الأسبوع فوجدته حفلاً أكثر من رائع يستمتع فيه الصغير بالكعك والحلوى في جو من الحنان الدافئ، والابتسامة التي لا تفارق الوجوه المحيطة بالطفل في ذلك الجو الأسري في المدرسة..

وجدته مهرجانًا مثيرًا بعرض الألعاب الرياضية، والأطروحات الذكية، والمهارات الإبداعية، والمسابقات الثقافية المحببة للطفل، فلا يكاد الأسبوع التمهيدي يمضي بسلام.. إلا وتجد الطفل قد حط في المدرسة رحاله، وتعلق بها حبه ووده واستقام ورضي حاله، وأصبح بينهما ود وولاء ونسب، وزال ما في نفسه من بقايا التردد والحرج، وانطلق يدرس ويتعلم وكله سرور وفرح.

هذا الأسبوع المميز إنما هو نتاج خبرة، وإبداع فكرة، قد تحققت أهدافه ومعانيه، ووصلت مقاصده، وأثمرت شجرته، حتى أصبح من الأساسات المهمة، في لحظات اليوم الأول الملمة، بالنسبة للطالب والمعلم وأهله حاملي التفكير في حل هذه المشكلة المغمة..

ولكن بيت القصيد أن إبرة أحبطت خبرة، وأزعجت هذا النتاج العظيم للأسبوع التمهيدي.

هذه الإبرة هي الويل التمهيدي للتلميذ.. فهي تشعر التلميذ الصغير بأنه سيقبل على إرهاب وإرعاد ووعيد، وكأن الإنذار والتهديد، بأن الأسلوب أسلوب حديد، وأن ما سيأتي أشد فلا تفرح أيها الجديد!

إنها إبرة التطعيم من أجل السجل الصحي للطالب، أعني أن الطالب وقبيل أن يقبل في المدرسة فإنه لا بد من ذهابه إلى الوحدة المدرسية لإكمال إجراءات التسجيل بالكشف الصحي للطالب، وهذا أمر جد جميل.. لكن غير الجميل فيه أنه يصحب هذا الكشف إبرة تطعيم، بل قد تكون أكثر من واحدة..

وفي يوم التطعيم شاهدت منظرًا مؤسفًا، عزاء من النياحة والبكاء، فعندما يرى الصغار طفلاً مثلهم يتولاه المرض بتلك الإبرة، أو عندما يرونه خارجًا منه يبكي صارخًا بعد أن طعنه بتلك الإبرة.. هنا يأتي العامل النفسي.. والطفل قد (أوجس في نفسه خيفة).. وشارك قبل دوره بالبكاء.. وأسكب العبرات، ثم صاح بشدة وامتنع وقال: لا أريد الإبرة.. لا أريد المدرسة!!!

وهنا الخطر قوله (لا أريد المدرسة) كلمة زرعتها الإبرة في نفس الطفل الذي كان يتشوق للمدرسة، ويذكر أباه بقرب تسجيله بها.. حتى لا ينسى!!

أصبح يقول لا أريد المدرسة إن كان سلاحها المدمر إبرة.. وزرعت في نفسه العداوة.. وهدمت الأحلام.. وأعدمت المودة بين الحبيبين الطفل والمدرسة.

فلماذا تنكأ على السعيد جروحه؟!

وتطعن عروقه.. ويسيل دمه.. وتهال دموعه؟!

هلا أخر هذا الطعن أو تقدم..

لماذا يربط باليوم الأهم..

فهذا الصغير لا يجد للأسبوع التمهيدي الذوق والطعم..

لأنها قد خَربت عنده الأحلام وقتلت فيه الهمم..

وأصبح القاع عنده أحب من القمم..

فهذه دعوة مفتوحة..

إلى ذوي القلوب المفتوحة..

أن تكون مواعيد هذه الإبرة مفتوحة..■

أجندلاً يحملن أم حديدا ؟

أحمد بن محمد عطيف
جازان

ليس عيبًا ولا مشينًا أن يحمل المشرف معه حقيبة - غير حقيبة الإشراف - يضع فيها شيئًا من كتب التربية والمجلات العلمية والأقلام الثمينة وأنواعًا من الكيك الفاخر ونماذج للوسائل البصرية الإلكترونية المتطورة ولفيفًا من هذا وذاك.

وفي وقت المشرف التربوي سعة تساعده على عرض ما معه بأسلوب يدفع إلى الشراء دفعًا لأن الذي يقدر على تسويق تلك النظريات البهلوانية وتلك الأفكار التربوية لقادر على بث القوة الشرائية لدى طاقم المدرسة التي يزورها.

وليس هذا فحسب، بل سيكون المشرف التربوي مضطرًا إلى الإقامة في المدرسة أطول فترة ممكنة من اليوم الدراسي، وفي هذا فائدة عظيمة للوزارة تتمناها منذ زمن بعيد ولم تستطع تحقيقها حتى الآن ولاسيما أن المشرف سيصرف له بدلات من صافي الأرباح بواقع واحد في المائة بدل حمل + خمسة في المائة بدل خطر.

ولوزارة المعارف أسوة حسنة في الخطوط السعودية التي جعلت قسمًا للمبيعات على طائراتها وهي في أحوال مادية أحسن مما عليه وزارة المعارف التي ما إن يطرح مشروع تربوي حتى يتلفت الجميع إلى الدعم المالي الذي بطبيعة الحال مفقود كله أوبعضه، وفي كلتا الحالتين عجز مفحم للقائمين على ذلك المشروع أو غيره.

فقبل السخرية من هذا الطرح الرجاء التفكير العميق في الفوائد الجمة التي تعود على طباعة الكتب والبحوث التربوية والورش والمخيمات التربوية والوسائل البصرية والسمعية وغيرها من المشاريع التي تنتظر الدعم المادي، وأنا متأكد من نجاح المشروع بل ومستعد لدفع تأمين مالي كبير عند عدم نجاحه - طبعًا بالصيغة السابقة دون تغيير - بشرط أن تجعل لي خمسون هللة فقط في حال نجاحه لمدة عام كامل. وبالطبع فهناك فوائد جمة من هذا المشروع لعل أهم هذه الفوائد وأكبرها:

أن الجميع سوف ينتظر المشرف بشوق شديد جدًا وتتعلق العيون بحقائب المشرفين ويبقى على الشفاه سؤال معلق من عهد الملكة الزباء إلى اليوم:

أجندلاً يحملن أم حديدًا. ■

فشل التخطيط تخطيط للفشل

حسن سليمان آل هادي
رجال ألمع

الإنسان بطبعه يحلم ويتمنى مستقبله ناجحًا، قد تحققت له الأماني والآمال. ويأتي ذلك من خلال قاعدة الأهداف التي رسمها، ورسم معها خطة العمل التي يحقق بها هذه الأهداف ابتداء من التعليم وانتهاء بالعمل، وما يترتب عليه من بناء الأسرة والاستقرار المستقبلي. لكن هل كل تلك الأهداف ستكون أمنية وأملاً يتحقق؟ لابد أن يتبادر في ذهن كل مؤمل ومتمن أنه لابد من العوائق التي قد تحول دون تحقيق تلك الأهداف، ومن يحدث له ذلك، فإني أرى أن المؤملين يقسمون إلى فئتين: فئة تنهار وتتوقف لا أقول عند أول عائق بل عند أصعب العوائق فتفسد عليه آماله وأمانيه، أما الفئة الثانية: فهم من يرسمون التوقعات ومعها الحلول لاحتمالية أي عائق، فإذا صادفه ذلك العائق كانت لديه الحلول واستطاع أن يمضي نحو تحقيق أحلامه بمشيئة الله - جل وعلا - فهو المدبر لكل شيء سبحانه. والأمثلة على الفئتين اللتين ذكرتا كثيرة. والفئة الثانية هي الشريحة الناجحة في المجتمع بلا شك. ومن خلال ما كتبت أخاطب الفئة الأولى فأقول: إن تنظيم الأمور في حياتنا البسيط منها، والصعب، والتخطيط لها وكيفية تحقيقها، ووضع الحلول لأي عائق هي الطريقة المثلى لنجاحنا بإذن الله، فهو سبحانه يحب إذا عمل أحدنا عملاً أن يتقنه، والتخطيط غاية الإتقان.

وقبل أن أختم ما سطرت يجب أن يعرف الجميع (أن الفشل في التخطيط تخطيط للفشل) وفي اعتقادي أن العبارة بين القوسين واضحة وجلية.. وفق الله الجميع.■

أبرم عقدًا مع طفلك !

صلاح صالح معمار
المدينة المنورة

في البداية لو سألنا أنفسنا لماذا يخطئ الطفل؟ لوجدنا أن الجواب لأنه في حالات كثيرة لا يعرف السلوك الصحيح ولذلك علينا أن نعلمه. وعندما نعلمه السلوك الصحيح قد يخطئ لأنه لم يتلق هنا تشجيعًا وتعزيزًا لسلوكه الصحيح وهو ما جعل احتمالات تكراره تضمحل، لذا علينا أن نعزز السلوك الصحيح ونشجعه في أطفالنا.

ويخطئ الطفل في أحيان أخرى لأنه وجد في الخطأ ما يشبع حاجاته ولم نوفر له البديل الصحيح، والتعامل في هذه الحالة يكون بتوفير البديل دون أن يجد الطفل متعته في ممارسة الخطأ. وقد يخطئ الطفل في هذه مجتمعة ويحتاج منا إلى أن نتفق معه على السلوك الذي ينبغي له أن يمارسه والسلوك الذي ينبغي ألا يمارسه.

لذلك يجب علينا معرفة خطوات تعديل السلوك. والتي قسمها لنا الدكتور عادل غنيم إلى خمس خطوات في كتابه خمس خطوات لتعديل سلوك طفلك وهي:

أولاً: تحديد السلوك الخاطئ.

تعتبر خطوة تحديد السلوك الخطأ البداية الصحيحة لتعديل سلوك الطفل، ولكن من المهم مراعاة بعض الإجراءات التالية:

- لاحظ سلوك الطفل بدقة واحكم عليه في ضوء معايير صحيحة وليس تبعًا لمزاجك المتقلب.
- قبل أن نحاكم الطفل في تصرفه علينا أن نقف على فهم دوافع سلوكه. ففي بعض الأحيان يبدو تصرف الطفل أنه خطأ كبير في حين أنه قد يكون محاولة من الطفل لتقديم مساعدة.

مقال: أن تجد أم طفلتها الصغيرة تقطر ملابسها ماء فعاقبتها لكنها عرفت بعد ذلك أن ما كانت تريده الطفلة هو ملء دلو من الماء لتنظيف باب المنزل كما رأت أمها تفعل، فوقعت وانسكب الماء.

- انتبه إلى الأسباب البيئية للسلوك الخاطئ.

من المهم أن نتأكد أن البيئة تساعد على تهيئة ظروف مواتية لضبط سلوك أفرادها وتقوم على تنشئة حسنة لأطفالها.

ثانيًا: إيقاف السلوك الخاطئ.

أكثر الطرق شيوعًا في إيقاف الخطأ اللجوء إلى العقاب البدني ولكن هناك بدائل يحسن بنا أن نفكر فيها ومنها:

- تغاض عن الخطأ الصغير الذي يحدث للمرة الأولى.
- أشعر ابنك بأنك تلاحظ سلوكه «بالنظر أو الاقتراب أو اللمس أو الإشارة».
- اطلب من الطفل التوقف عن سلوكه.
- حذره من توقيع عاقبة مخالفته.
- نفذ العقاب ومن أمثلة تلك العواقب:
- قم بحرمان الطفل من أحد الامتيازات إذا استمر في ارتكاب الخطأ.
- اطلب من الطفل أن يقوم بإصلاح ما أفسده قدر الإمكان.
- قم بعزل الطفل في غرفة بمفرده مدة محددة إذا كان يمارس سلوكًا عدوانيًا.
- عبر عن عدم رضاك عن سلوك طفلك غير المقبول سواء بالكلام أو بالإيماءات المختلفة كتعبيرات الوجه. ومن المهم أن يكون التوبيخ على السلوك وليس على شخص مثل قول أنا أكره هذا السلوك فيك ولا أقول أنا أكرهك.

ثالثًا: علم طفلك السلوك الصحيح.

يجب استخدام طرقًا مناسبة لتعليم السلوك الصحيح للطفل ومنها:

- قدم للطفل نموذجًا فعليًا للسلوك الذي ترغب في تعليمه إياه «النمذجة».
- لقن الطفل ما يساعده على تعلم السلوك الجديد «التلقين».
- اشرح للطفل سبب ما تطلبه منه من مطالب والعواقب الناتجة عن فعل التصرف غير اللائق.

رابعًا: عزز السلوك الصحيح.

من الغريب أن الآباء والمعلمين ينتبهون إلى السلوك الخاطئ أكثر من انتباههم للسلوك الجيد، وبهذا نضيع فرصة جيدة لتثبيت ودعم وتقوية هذا السلوك.

ومن القواعد المهمة لتعزيز السلوك هو عدم الاعتماد على التعزيز المادي فقط لكي لا يصبح الشخص ماديًا. ومن القواعد أيضًا أن يكون الثناء على السلوك وليس على الطفل.

خامسًا: أبرم عقدًا مع الطفل.

وأستطيع أن أقسم العقود إلى نوعين هما:

- اتفاق مكتوب بينك وبين الطفل يتضمن المهمة المطلوب من الطفل تأديتها والمكافأة التي سيحصل عليها عند تأديته هذه المهمة.

مثل «سآخذك إلى مدينة الألعاب إذا أحرزت نتيجة جيد جدًا في الاختبار».

- اتفاق مكتوب بينك وبين الطفل يتضمن بعض الأعمال أو التصرفات التي يجب على الطفل تجنبها وبعض أنواع العقاب التي سيجنيها الطفل حين القيام بتلك التصرفات.

مثل «إذا قمت بضرب أخيك الأصغر مرة ثانية فسوف أقوم بحبسك في غرفتي مدة يوم كامل».

هذه هي الخطوات التي أحببت أن يطلع عليها إخواني المعلمون والآباء لتعديل ما يمكن تعديله من سلوك خاطئ وغير مرغوب فيه من أبنائنا الطلاب.

ولن يتم تعديل سلوك ما لم يكن هناك ملاحظة ومراقبة دقيقة للسلوك، وينبغي عدم استعجال النتائج. فبعض أنواع السلوك الخاطئ هو عبارة عن تراكمات عمرية يصعب تعديلها بسرعة.

كما أن من المهم جدًا في تعديل السلوك عدم التباين والتناقض في تطبيق الثواب والعقاب في الدائرة المحيطة بالطفل. والمقصود أن لا يكون هناك تناقض بين المعلمين في تعديل سلوك الطفل أو تناقض بين الأبوين.. فما الفائدة من البناء وغيرك يهدم؟!. ■

بين تربيتين

محمد بن سعود آل طالب

حوطة بني تميم

تندهش كثيرًا، تتعجب، تعقد حاجبيك وأنت ترى صورتين في غاية التناقض، الأولى منهما مضيئة مشرقة في مجتمع تقوضت حضارته وانهد بنيانه، والثانية مظلمة فاقدة للوعي الحضاري في مجتمع يحمل حضارة الضياء وقنديل النور المشع.

المشهد الأول:

المكان: أحد المنتزهات الجميلة في جزء من غابة كثيفة الأشجار في منطقة سيبيريا في روسيا الاتحادية.

الحدث: طفلة صغيرة لم تتجاوز سنواتها الخمس تقبل علينا فرحة جذلانة تحرك الريح خصلات شعرها الأشقر، يناولها صاحبي واحدة من الحلوى من طبق كان بيننا، تأخذها بفرح الأطفال وتنزع غلافها القرطاسي بعجلة لتلتهم ما بداخله لكن القرطاس لا يزال بيدها، تتوقف لحظة تلتفت يمينًا وشمالاً، حتى تقع عيناها على صندوق النفايات البعيد جدًا عنا، تركض إليه ونحن نراقبها من بعيد وقد أخذ منا العجب كل مأخذ، تلقي ما بيدها في الصندوق ثم تعود إلى أطفال حولنا تكمل معهم اللعب، لم يوجهها أحد بذلك، وأرض المنتزه ترابية والصندوق بعيد!!

المشهد الثاني:

المكان: مطار الأمير محمد بن عبدالعزيز بالمدينة المنورة في صالة الانتظار الخارجية.

الحدث: طفلة صغيرة لم تتجاوز سنواتها الخمس تقبل مع أبيها والصراخ والضجيج يسبقانها في مكان تظلله السكينة ويسكنه الهدوء التام، يشاء الله أن يختار الرجل المقعد الفارغ بجوارنا مع طفلته التي تنتهي اللحظة من شرب علبة الماء التي في يدها، ثم ترميها أرضًا أمام العدد الكبير الذي تمتلئ به الصالة وأبوها يبادلها ابتسامة لا مناسبة لها، أظن هذه الابتسامة جرّأتها على أن ترفع طاولة الشاي التي أمامها في عبث طفولي ممجوج حتى ينسكب عصير تركه أحد المسافرين فوق الطاولة ويشوه البلاط الرخامي الجديد. بل وحتى تتسخ ثياب صاحبي (هو نفسه صاحبي الأول، والفاصل بين المشهدين أقل من الشهر) كل ذلك لا يحرك في أبيها ساكنًا، لكن حتى لا أظلمه أتذكر أنه نقل الطفلة من المقعد الذي على يمينه إلى الآخر الذي على اليسار. أما العصير المنسكب على الأرض وثياب صاحبي التي اتسخت ومشاعر الحاضرين، كل ذلك لا يهم.

تعليق:

لا أظن أحدًا ينكر أن الصورتين كلتيهما نتاج تربية وتعليم ليس خاصًا بهذه الطفلة أو تلك بمفردهما وإنما هي تربية شاملة للأسرتين كلتيهما بل للمجتمعين كليهما، وإلا فكيف تفوقت ونجحت حضاريًا طفلة الأسرة الملحدة على طفلة الأسرة المسلمة؟. ■

للموهوبين فقط

جمعان بن محنوس العمري
المخواة

مر بنا قبل أربعين سنة تقريبًا في قريتنا الصغيرة الهادئة والراقدة بين أحضان الجبال رجل يصطحب معه راديو صغيرًا وهو أول راديو يدخل القرية، واستغرب أهالي القرية أن الحديد يتكلم وأصبح حديث مجالسهم.

مكث ذلك الرجل مدة من الزمن بتلك القرية يعمل في بناء المنازل، وفي كل مساء يجتمع حوله مجموعة من ساكني القرية يستمعون لتلك المعجزة.

وذات ليلة خطر ببالي سؤال تتجلى فيه براءة الطفولة وشقاوتها معًا، وسألت والدي بقولي:

لماذا لا نشاهد الشخص الذي يتكلم يا والدي؟

نهرني والدي وقال لو تكلمت مرة أخرى بمثل هذا الكلام سأدخلك مع النحل بالخلية معطرًا.

ووالدي يعلم أنه في ذلك اليوم لسعتني نحلة، ويعرف مدى خوفي من لسع النحل، زيادة كلمة معطرًا هذه، لأن النحل بمجرد أن يشم رائحة العطر ينزعج وينشط في لسع من به الرائحة العطرية، ولم أردد السؤال مرة أخرى خوفًا من وضعي مع النحل بالخلية معطرًا.

بعد مضي خمسة عشر عامًا تقريبًا من تلك الحادثة عاد أحد المسافرين إلى القرية، ومعه تليفزيون صغير يشتغل بالبطارية لعدم وصول الكهرباء للقرية وجاءت المعجزة الأخرى التي ترد على سؤالي البريء قبل خمسة عشر عامًا، وشاهدنا الصورة مع سماع الصوت عند المالك الوحيد للتليفزيون بالقرية، وعندها ذكَّرت والدي بسؤالي ورد عليَّ يحفظه الله بقوله: «يا ولدي هذا شيء لا يصدقه العقل، ولم أعتقد أنني سوف أرى مثل هذا في حياتي، ولم أقل لك تلك العبارات في حينها إلا تلافيًا وتحاشيًا للوم الناس لك».

توالت الأيام وتتابعت الاختراعات وكثرت الاكتشافات وزادت الابتكارات وأصبح الراديو والتليفزيون والتليفون والفاكس أمورًا مألوفة ومعروفة لدى الصغير والكبير.

وها نحن اليوم نشهد معجزة العصر الحديث (الإنترنت) الذي يرى من خلاله المبحرون المعجزات من

كيف تحفزهم للتعلم؟

علي السيد
الرياض

يُصدم كثير من المدرسين والآباء الذين يرغبون في التحصيل العلمي لأبنائهم بعدم تحفز بعضهم لتلقي ذلك العلم سواء أكان مادة شرعية أو أدبية أو علمية، أو قل: - إن شئت - عدم وجود الدافعية عند أولئك للاستماع من المدرس أو من الأب أو من أية جهة أخرى. وهذه القضية، بل هذه المشكلة أقضَّت ولا تزال تقض مضاجع المدرسين المخلصين والآباء الغيورين على تعلم أبنائهم. فما العمل؟ بل ما الدواء الناجع في مثل هذه الحالة؟

لا شك أن على المدرس أو الأب في مثل هذه الحالة أن يفتش عن السبب فقد يكون السبب تخلفًا عقليًا مثلاً، وبهذا يحال الطالب إلى المدارس المتخصصة.

وقد يكون السبب ضعفًا في المادة الدراسية، فمثلاً: كيف لطالب تكون عنده الدافعية لتعلم عملية القسمة في مادة الرياضيات وهو لا يعرف عن عملية الضرب شيئًا، بل إنه لم يحفظ جدول الضرب. وهنا يأتي دور المعلم في ترميم معلومات الطالب وإعطائه الحلقة المفقودة أو الكم الناقص كي يستطيع الطالب أن يماشي المدرس محتسبًا في ذلك الأجر من الله. وهناك أمور أخرى مساعدة أوجزها في ما يلي:

- تذكير الطلاب بين الفينة والأخرى بالأجر والمثوبة التي ينالها طالب العلم من الله، وذلك من خلال تلاوة بعض الآيات على مسامعهم مثل قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾، وكذلك ذكر بعض الأحاديث الشريفة التي تحث على طلب العلم والأجر الذي يناله من الله في ذلك كقوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، وقوله

صوت وصورة ورسائل ووسائل وقنوات وأخبار... إلخ.

أما أنا فقد حرمت من الاستمتاع بهذه المعجزة لأني لا أجيد السباحة في مثل هذه البحار التي فيها ما فيها من المخاطر لتقدم سني، وخشية على نفسي من خوض غمارها، وحسن الخاتمة أرجو.

مع اعترافي بفوائدها الجمة ومنافعها العظيمة، ففيها خدمة للبشرية وتوفر الجهد والوقت والمعلومة بأسهل الطرق وأيسرها، وتستطيع من خلالها رؤية أقاربك وأصدقائك ومن تعرف ومن لا تعرف وهم في أبعد البلدان، وتتحاور وتتشاور معهم وتناقشهم وتناظرهم من خلال الكاميرا الصغيرة وتعرض عليهم ما تريد عرضه من الأشياء وتأخذ رأيهم حتى في لون وشكل الهدية التي تنوي إرسالها إليهم، وأصبح العالم كله عبارة عن شاشة صغيرة وليس قرية كما يقولون.

وسؤالي هو:

هل سيأتي زمن نستطيع إرسال هذه الهدايا لأقاربنا وأصدقائنا البعيدين عنا عبر الإنترنت بسرعة إرسال الخطاب عبر الفاكس بعد إجراء بعض التطورات وإضافة بعض العوامل المساعدة كالأطباق الطيارة أو الموجات السيارة تعبر من موقع إلى آخر حاملة معها تلك الهدايا.. الله أعلم.

أعلم يقينًا أن أغلب من سيطّلع على هذا السؤال سيقول: ادفنوا هذا الرجل حيًا خشية عليه من العين، إمعانًا في السخرية والاستهزاء، وأرد على من يقول ذلك بقولي عذرًا يا أخي العزيز، السؤال ليس موجهًا إليك فهو موجه إلى فئة لست منهم، يهتمون بالاختراعات والابتكارات وبكل جديد في مجال التقنيات الحديثة في عصر التطورات السريعة، فرجاء لاتساهم في تفتير عزائمهم وتشارك في إخماد جذوة حماسهم. دعهم يفكروا ويبتكروا واشحذ هممهم وقوّ عزائمهم وشد من أزرهم ولا تدخل اليأس في نفوسهم، ولا تواجه كل محاولة للاختراع والابتكار بقولك هذا مستحيل وهذا مستبعد، وخلافه من عبارات التثبيط.

ولكن قل فكروا جربوا حاولوا، أعيدوا المحاولة، ولكل مجتهد نصيب.

وأرجو أن يكون الرد على سؤالي السابق بالفعل لا بالقول.

وأسأل الله أن يأتي ذلك اليوم الذي نرسل فيه هدايانا إلى أقاربنا وأصدقائنا في أبعد البلدان، وفي سرعة البرق الخاطف، وعبر ما يخترعه أبناؤنا الطلاب الموهوبون بالمملكة العربية السعودية، وليس عبر اختراعات الآخرين، وما ذلك على الله بعزيز. ■

ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» وقوله ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة» وغيرها من الآيات والأحاديث، كما على المعلم تذكير الطلبة بفائدة العلم للإنسان في الحياة الدنيا، والفرق بين العالم والجاهل من خلال ضرب الأمثلة لمكانة العالم في المجتمع ومكانة الجاهل...

- إقامة علاقة ودية بين المدرس وبين هذا الصنف من الطلبة، فحبُ الطالب للمدرس يدفعه للاستماع إليه والتلقي منه.

- إشاعة روح من المرح في جميع الدروس، ومحاولة إيجاد فاصل منشط (نشيد، طرفة، قصة هادفة) ويكون ذلك حتى في المواد العلمية بل هو ضروري أكثر من المواد الشرعية والأدبية؛ وذلك لاستقطاب مثل هؤلاء الطلبة.

- بُعْد المدرس أثناء أداء الحصة عن العبوس والتجهم والصراخ واستخدام الألفاظ التربوية مع هذا الصنف من الطلبة يعين بإذن الله على إيجاد الدافعية لدى المتعلم.

- إسماع الطالب الذي يعاني عدم وجود الدافعية عبارات التشجيع والثناء، ولا بأس أن يعطى بعض الهدايا في فترات متقاربة.

- إشعار المدرس الطالب بحرصه على مصلحته، وأنه مستعد لمساعدته في أي أمر يطلبه منه وتذليل أية صعوبة يواجهها الطالب.

- وأخيرًا دعاء المدرس لهذا الطالب وأمثاله في أوقات الدعاء المستجابة بأن يفتح الله مغاليق عقولهم.

وقد تقول - أخي المعلم -:

ماذا عسى أن ينفع الدعاء مع هؤلاء؟ نقول لك: إن الأمر كله بيد الله، وهو القادر على كل شيء، وإذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون، وهو الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فإذا وجد حبك في تعلم هذا الطالب وإخلاصك في عملك وحرقتك في أن ينهض من الوهدة التي هو فيها والإكثار من دعائك له، فإنه عز وجل لن يرد يديك صفرًا.■

مدحت أم مدحة؟

دريد الخطيب
الرياض

هل (الخطأ الشائع خير من الصواب المهجور)؟ أم (اللهم عرفنا بالخطأ وارزقنا اجتنابه وعرفنا بالصواب وارزقنا اتباعه)؟

رأيان متناقضان، ولكل رأي نصيب من الصواب والأحقية، وعلى ضوئهما سأستعرض هذه القضية اللغوية.

من المعروف أن مصادر الأفعال الثلاثية كثيرة الصيغ ولا تعرف إلا بالرجوع إلى المعاجم، وما لفت نظري هو خطأ شائع يتعامل به جميع الناس دون الإشارة إلى أنه خطأ، ولكننا نتعامل معه على أساس: (الخطأ الشائع خير من الصواب المهجور)، والخطأ هو أن يسمى العلم الإنسان على وزن (فعلة)، ولم أضبط الوزن لأن الحركات تختلف من اسم لآخر تبعًا لحركات الفعل الثلاثي وعلى سبيل المثال الأسماء التالية: (حِكمة - رأفة - رِفعة - نشأة - مِدحة - نجدة - صفوة - ثروة...).

وقد كتبت الكلمات السابقة بشكلها الصحيح، علماً أن العامة يكتبونها على الشكل التالي: (حِكمت - رأفت - رفعت - نشأت - مدحت - نجدت - صفوت - ثروت...).

والسؤال الآن: من أين جاءت التاء المفتوحة؟

أغلب الظن أن هذا الخطأ يرجع في تاريخه إلى العصر العثماني، فقد استخدمت هذه الأسماء للعلم الإنسان إبان ذلك العصر، فسمى العثمانيون بها أبناءهم تأثرًا بلغتنا العربية وتيمنًا بها بدافع الدين المشترك، وللعلم فإن اللغات تختلف في نطق الحروف، فلفَظَ الأتراك ممن تعلموا العربية التاء المربوطة في هذه الأسماء على طريقتهم فكانت تاء مفتوحة وكتبوها على هذا الأساس، وتبعناهم في ذلك الخطأ، وأصبح بعضنا يفند قواعد وأساسات لهذا الخطأ.

والآن، هل نبقى على قاعدة (الخطأ الشائع خير من الصواب المهجور)؟

أم - وقد عرفنا الخطأ والصواب - نصدع بالحق ونعرض عن الخطأ؟ ■

بيتك الثاني

عبدالعزيز بن صالح اللاحم
القصيم

كل إنسان عاقل لا يرضى أن يتحدث الناس عما يجري في بيته من السلوكيات والتصرفات الخاطئة، ويغضب إذا سمع من يتحدث، ويرى أن هذا من الغيبة وكشف العورة! ويتخذ من يتحدث عدوًا يجب الحذر منه، وربما يخاصم أو يضرب ابنه أو أخاه الأصغر إذا سمعه يتحدث عن شيء حصل في البيت، ويحاول بشتى السبل ألا يعرف أحد ما يجري في بيته مهما كان إلا ممن يرجو منهم العلاج والإصلاح، وربما لا يطلع عليه أحد، ويعالج الأمر بنفسه بسرية تامة، وهذا شيء طيب فالله سبحانه وتعالى ستار يحب الستر.

ولكن - للأسف - إذا جئت إليه في بيته الثاني (المدرسة) رأيت منه ما تشيب منه الولدان وتقشعر منه الجلود والأبدان: فهو يتحدث بكل ما يراه ويسمعه في المدرسة وإن كان لا يُرى إلا بالمجهر! فيتكلم عند زوجه وعند صديقه وعند الغوغائيين أمثاله في كل ناد ومجلس.

ومن قال إن مدرسة تسلم من السلوكيات والتصرفات الخاطئة؟ ولكن من الحمق وسوء الأدب أن تجد من يكشف هذا العوار لبقية المجتمع مع أنه لولاه لبقي الأمر مستورًا، فتجده إذا خرج من المدرسة، وجلس مع الآخرين بدأ يصور لهم ما حدث في المدرسة تمامًا وكأنهم يرونه، وسمعت الأخبار تأتيك من حيث لم تُزوَّد: حصل عندنا في المدرسة غش، وخصام وضرب وهروب... وهلم جرا من هذا الكلام الذُبابي!

وربما تحصل مشكلة في مكان ضيق كالفصل مثلاً، ولا يعلم بها إلا من حضرها من طلاب ذلك الفصل والمعلم في تلك الساعة، فلا يخرج الدرس إلا وتكون هذه المشكلة أول ما يخرج من الفصل! فتصبح حديث المدرسة في ذلك اليوم عند الغوغائيين فقط، فإذا غابت الشمس كانت كالظلام لاتجد بيتًا إلا دخلته! أما من عنده نور وإيمان وطهارة في اللسان فإنه لا يرضى أن يتندر ويتفكه بها، ويتضايق إذا سمع من يتحدث بها، ويحاول إسكاته وردعه.

وقد يحصل خلاف في المدرسة بين معلم وزميله أو بين معلم وطالب أو بين طالب وزميله فيُظهر كل واحد منهما للآخرين أنه مظلوم، وأن الحق معه مئة بالمئة، وأنه حاول علاج هذا الخلاف بكل ما أوتي من قوة وحكمة لكنه لم يجد من الخصم قبولاً، فيدلع لسانه بمُر الكلام، فلا تسمع منه حينئذ إلا الغيبة والسخرية (وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) وهل تُفسر الغيبة إلا بذكرك أخاك بما يكره وإن كان فيه ما تقول؟!

وقد يريد هذا الشخص أمرًا فلا ينفذ أمره فيقيم الدنيا ويقعدها، وكأن أمره ونهيه من وحي السماء، فترى منه السب والشتم وسوء الظن، ولو أن هذا الخلاف مع أبيه أو أخيه أو ابنه في البيت فإنه - بلا شك إن كان عنده مثقال ذرة من عقل - سيكتم هذا الخلاف، ويرى أن من المصلحة كتمانه، ومن سوء الأدب نشره وإعلانه، ويرضى برأيهم وإن كان مخالفًا لرأيه من أجل المصلحة العامة في البيت، ولكن هذا السلوك يختفي تمامًا في المدرسة وكأن قول الرسول [: «من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة» خاص بالبيت!

ومما يلقيه الشيطان في قلوب البعض أنهم أدوا النصيحة، فلم يُستجب لهم ولم يُسمع لرأيهم، وما علموا أن الواجب المناصحة المستمرة بكل صدق وإخلاص فإن استجيب لنصحهم فالحمد لله وإن لم يُستجب فالواجب ألا يتكلموا عند الآخرين بملء أفواههم: فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ولايكون المسلم مؤمنًا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومن المحبة أن تُخلص في نصحه وأن تستر عورته وألا تذكره عند الآخرين إلا بخير وإن كنت تختلف معه في بعض الأمور.. ومتى كان الناس متفقين في كل شيء؟!

إننا - معشر المعلمين والطلاب - بحاجة إلى أن نكون يدًا واحدة، وأن يستشعر كل واحد منا أن المدرسة بيته، وأن من فيها إخوانه، فلا يذكر أحدًا منهم إلا بما يراه ويسمعه عنه من الأمور التي تشرح الصدر وتبهج القلب وتدفع إلى المزيد من البذل والعطاء، ويغض طرفه ويكف لسانه عما يراه أو يسمعه من أخطاء لا فائدة ولا جدوى من ذكرها أمام الآخرين الذين لا هم لهم إلا القيل والقال.■


صافيو
حليب الصافي طويل الأجل
بشكله الجديد
الصافي AL SAFI
دانون DANONE
صافيو
حليب
بالفانيلا
حليب
بالموز



فشلت في التوفيق بين المبادئ والسياسة!



أليست المدرسة أدخلت التراب؟!







المتفوقون يتعلمون في المنزل.



نسي« ثلاث فقرات » من آداب الطعام!


إنتظار !
الوهيبي



الحياة جملة من الأحداث والمواقف..
ومع كل حدث هناك وجهة نظر..
وملامح الشخصية تحددها وجهات النظر..
و«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول: إن اختلاف وجهات النظر طبيعة إنسانية ينبغي ألا تفسد للود قضية، كما نردد دوماً!
وإذا كان تضاد وجهات النظر نقمة، فإن تنوعها نعمة يجب أن نحسن تناولها.
ضيفنا العزيز:محمد سعيد طيب الكاتب السعودي المعروف.
يقدم لنا شيئاً من وجهات نظره فيما يلي:

محمد سعيد طيب:

الصالونات الثقافية.. ثقافة الـ ½ نجمة!

* بين «الحمد» و«السعادة» و«الطيب» ما نصيبك منها؟
- نصيب وافر وكبير! صدقني! خصوصًا الأخيرة منها!!

* حلمنا الوردي بالقرن ٢١ هل استحال كابوسًا؟
- كان ثمة أمل حتى داهمتنا كارثة ١١ سبتمبر! لقد تغير كل شيء، واستدار الزمان - إن صح التعبير - وأصبحنا أمام كابوس حقيقي! إنني أشعر أن الأرض تهتز من تحتي!

* رفع الرايات .. بيد من؟
- بيد القادرين على رفعها! أين هم؟ إنني لا أرى أحدًا!

* مجتمعاتنا العربية نوافذها موارية؟
- وبعضها مقفلة تمامًا، ويعتقدون - واهمين - أنهم الأفضل والأحسن، والأرض تهتز من تحتهم، ولكنهم لا يشعرون..!

* مشروع النهضة «التلفيقي» هو المعمول به في وطننا العربي؟!
- لله درك، من أين أتيت بهذا المصطلح الجميل؟!

* الكرامة كانت هنا.. في خارطة العرب؟
- نعم كانت، وراحت، مع كل الأسى!

* أي حقوقنا نحن عاجزون عن استرداده؟
- كل الحقوق، هل ترى غير ذلك؟ قل لي بربك!



- الأرض تهتز من تحتي.
- لا أرى أحداً قادراً على رفع الرايات.
- مجتمع المؤسسات ليس حلماً أفلاطونياً.
- ما زلنا نكذب على شبابنا!!






- **نحن الأفضل نحن الأحسن.. نحن المجانين!**
- **المثقف عندما يتسنم منصباً.. نخسر الاثنين!**
- **«المصداقية» خشبة الخلاص للإعلام.**
- **يستهويني لقب «عمدة الصحافة».**

*** مجتمع المؤسسات، حلم أفلاطوني؟**

- ليس أفلاطونيًا في بلدان أخرى، كشمال أوروبا، أو اليابان، أو حتى أمريكا التي تكرهون - بحق - حكومتها!

*** في المرحلة القادمة، مم تخشى على شبابنا؟**

- أخشى أن نستمر في ازدواجيتنا، وأن نواصل الكذب عليهم، وأن نستمرئ كل عاداتنا «الحميدة» في التدليس والتزوير والنفاق.

ترى.. من الجاني؟ ومن الضحية؟!

*** الطفرة الإعلانية دليل أكبر على الطفرة الاستهلاكية؟**

- ربما كان الأمر كذلك.

*** الإنترنت كم يحتل من السوق الإعلانية؟**

- يحتل نصيبًا متواضعًا حتى تاريخه، لكنه سيكون كبيرًا، وعلى حساب الوسائل الصحفية في الدرجة الأولى!

*** لدي منتج جديد أريد أن أنزله إلى السوق بقوة.. نصيحتك؟**

- نصيحتي أن لا تقول، مهما كان منتجك: نحن الأفضل، نحن الأحسن، سينفض الناس من حولك، ويلصقون بك عدة أمراض نفسية، أبسطها: الجنون والكذب.

*** ترجمة الأدب العالمي ضرورة لا ترف؟**

- نعم ضرورة لا ترف.

*** أطفالنا يجرون خلف «هاري بوتر»؟**

- وهل وجدوا مثالاً محترمًا، أو قدوة نبيلة، يجرون خلفها؟!

*** زيارة الطبيب النفسي، لا تزال عيبًا؟**

- في كل المجتمعات المتخلفة فقط!

*** رحلتك «التهامية» سيذكرها التاريخ أم الجغرافيا؟**

- كانت خطوة متواضعة على طريق شاق وشائك!

*** ما أصعب شيء تعترف به؟**

- ليس عندي ما أخجل منه! وليس عندي ما أخشى منه!

*** أن تكتب مقالاً، أو تتحدث تلفازيًا، أيهما تحب؟**

- عندما أكتب مقالاً، كأني أنحت في صخر، صدقني!

*** الحوارات الفضائية المباشرة، ماذا أعددت لها؟**

- كل - ما في وسعي - من «مصداقية»!

*** وسطنا الإعلامي.. ما خشبة خلاصه؟**

- المصداقية ما غيرها! والباقي - أيضًا - تفصيلات غير ذات بال!

*** لقب عمدة الصحافة.. لمن؟**

الموضوع جدير بالتأمل، ولا يخلو من إثارة!! دعني أفكر.. والبريد بيننا!!

*** المثقف عندما يتسلم منصبًا من سنخسر؟**

- سنخسر الاثنين - معًا - في الأغلب الأعم.. والاستثناء شذوذ. يؤكد القاعدة ولا ينفيها!

شوف.. كل المثقفين الذين تسلموا مناصب، ماذا جرى لهم، وماذا جرى للمناصب، وكم كانت خسائرنا؟

*** الصالونات الثقافية .. ثقافة الـ ٥ نجوم؟**

- إنها ثقافة النصف نجمة.. على الأكثر.. هذه هي الحقيقة، وهذا هو اليقين! ■

الحياة صور وشخصيات و.. أحداث..
الحياة قصص صغيرة تصب في روايات طويلة..
نحن نرى.. نسمع.. نتكلم و.. نسجل..
حروف مبعثرة تكوّن فيما بينها مفردات واقع يصافحنا كل يوم.. ونحياه.

المعرفة

نسي «ثلاث فقرات» من آداب الطعام!

سؤال: ما الدور التربوي الذي من الممكن أن تؤديه المدرسة في شخصية التلميذ؟

وهل من السهل حقًّا أن نسلم بوجود أدوار تربوية متعددة للمدرسة بحيث يمكنها التأثير على السلوك العام للتلميذ أو تهذيبه أو توجيهه؟

يأتي التلميذ الذي يلتحق بالصف الأول من منزله مشبعًا بعشرات الأفكار المرئية وغير المرئية، عشرات الطبائع السوية وغير السوية، عشرات السلوكيات الخاطئة والصحيحة التي كونها على مدى ست سنوات كاملة متصلة متتابعة. ويستلمه معلم الصف الأول المكبل بمنهج طويل - خصوصًا في منهج البنات - ودروس متراكمة وخطة طويلة في زمن قصير لا يحتمل التمديد أو التأجيل.

ودور المعلم كما نتفق - أو كما نزعم - تربوي في الدرجة الأولى.

لكن الحقيقة التي يجب أن ننصاع لها في هذا الخصوص أن المعلم في مدارسنا ليس لديه من الوقت ما يكفي للتوجيه، وبعبارة أدق فقد جاء هذا المعلم لتنفيذ الخطة الدراسية والمنهج الدراسي فحسب، وليس لديه مهمات أخرى تنتظر منه ويحاسبه عليها.

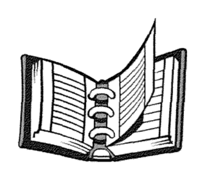
لاشك أن المعلم - أي معلم - حينما يشاهد سلوكًا شائنًا أو غير مقبول من أحد التلاميذ، في الصف الأول - مثلاً - إنه لن يدع هذا السلوك يمر بهدوء، بل سيتخذ حياله موقفًا، كأن يوبخ التلميذ، أو يعاتبه أو يعاقبه أو يلفت نظره - على حسب السلوك نفسه وما يستدعيه.

لكن: ما الأثر الذي يمكن أن تتركه ردة فعل المعلم في نفس التلميذ؟

وما الدرس الخلقي والتربوي الذي سيتعلمه؟

وهل يمكن أن يكون لهذا الموقف العابر أثر بالغ في نفس التلميذ، وهل من الممكن تعديل شخصيته وسلوكه عبر موقف كهذا؟

المشاهد أنه قد يكون للمواقف التربوية التي تحدث بهذه الصورة التي يقودها المعلم انطلاقًا من موقف قد يحدث بالصدفة أمامه، قد يكون لها أثر طويل أو قصير المدى في نفس التلميذ، لكن غالبًا ما يكون امتناع التلميذ عن تكرار مثل هذه السلوك ناتجًا عن الخوف أو



فاطمة السهيمي
عسير

الخجل من المعلم وليس ناتجًا عن قناعة أو ندم.

والدليل أنه قد يكرر الموقف نفسه في غياب المعلم، أو في وجود معلم آخر لا يولي مثل هذه المواقف اهتمامًا، وإن كنا ـ من باب الإنصاف ـ لا يمكن أن ننكر أن هناك إمكانية لتعديل الصغير سلوكه الخاطئ، نتيجة اقتناعه بسلبية ما فعل، وشعوره بالذنب، وعزمه على البحث عن الأفضل، هذا يحدث، لكن في النادر، والسبب قلة المتابعة التربوية من المعلم للتلميذ، فالموقف ينتهي عند المعلم بمجرد اتخاذه تلك الخطوة، كما أنه قد انتهى كذلك عند التلميذ عند نفس الخطوة!

وحسب ممارسة عملية شخصية لي تقارب الثماني سنوات في ميدان التربية، أرى أن المساحات التربوية المتاحة للمعلم ضيقة للغاية، ومحدودة جدًا.

وما دروس السلوك ومنهجه وتوزيع درجاته في الصفوف الأولية من المرحلة الابتدائية إلا دليل صارخ على طغيان العملية التعليمية لدينا على الجانب التربوي بصورة واضحة لا تقبل الجدال أو الشك.

فمادة السلوك ظاهرها حمل لواء التربية وبثها في المناهج التعليمية الأخرى، وباطنها حشو الحقائب بمزيد من المقررات الزائدة التي لا داعي لها ولا سبب.

فالسلوك ـ يا هؤلاء ـ يجب أن يكون في كل مادة، وقبل كل مادة، السلوك من العيب أن نقتنع به مادة تربوية محصورة في ٤٥ دقيقة مملة من الكلام المردود الخالي من كل مضمون.

وتلميذ صغير مؤدب وخلوق ينطلق نحو أبيه حاملاً كشفًا بدرجاته وأمام السلوك ترزح ٤٥ أو ٤٠ من ٥٠، يحتارالأب، هل في سلوك طفلي ما يشين؟!

نعم أيها الأب المهمل، ولدك اليوم نسي ثلاث فقرات من آداب الطعام، على كل فقرة ٣ درجات.

– لكن ابني مؤدب ويلتزم بالهدي النبوي في الطعام قبل أن يدخل مدرستكم ويدرس سلوككم.

ماذا نفعل به إنه لم يجب عن السؤال والدرجات كما ترى موزعة توزيعًا دقيقًا.

– ينطلق وهو يضرب كفًا بكف ولديه يقين أن ذلك الآخر الذي حقق ٥٠ درجة يأكل وهو مستلق على السرير، ولكنه حفظ النقاط عن ظهر قلب!!

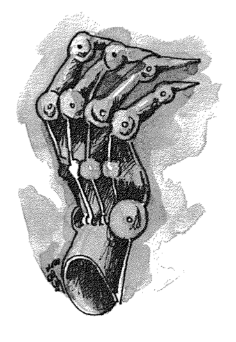
أمل:

ليس الحلم أن تتجمد كل مشاعرنا فلا تهتز لإساءات الآخرين.

لكن الحلم أن نضبط هذا الغليان الذي يتأجج في الداخل ونكتم هذه النار التي تضطرم في الخافق.

ونواجه الموقف وكأننا لم نكترث للأمر.■

قفاز إلكتروني بدلاً من لوحة المفاتيح والماوس



قد يفلح قفاز إلكتروني عالي التقنية وقادر على تتبع حركات اليد في تغيير الطريقة التي نستخدم بها الحاسوب، إذ يستطيع القفاز (بي ٥) الذي طورته شركة إيسنشيال ريالتي أن يحل محل لوحة المفاتيح والماوس، ويسمح بالتالي للمستخدم بالتحكم في الكمبيوتر عبر تحريك يديه وأصابعه في الفراغ فقط.

يتمتع الاختراع الجديد بخفة الوزن وسهولة الاستخدام وينتظر ألا تتجاوز قيمته ما بين ١٣٠ دولارًا و١٥٠ دولارًا. ويقول ديفيد ديفور نائب رئيس إيسنشيال ريالتي إنه يمكنك دخول أي برنامج أو لعبة، وأن تبدأ بتشغيلها عبر تحريك أصابعك في الفراغ فقط. يذكر أن الشركة تعمل على تطوير هذا القفاز منذ ثلاث سنوات، وتستعد لطرحه في الأسواق أواخر هذا العام. ■

الأعلى بين الدول الآسيوية:

28٪ من مراهقي كوريا يدخنون!

في محاولة لخفض معدلات التدخين بين المراهقين في كوريا الجنوبية، أصدرت وزارة التعليم والتنمية البشرية في سيؤل قرارًا بحظر التدخين في جميع المدارس، وشن حملة لإقناع التلاميذ بالإقلاع عن هذه العادة السيئة، وذلك عقب تأكيد دراسة أسيوية أن معدلات تدخين المراهقين في كوريا الجنوبية في تزايد مستمر.

من ناحيتها حذرت صحيفة كوريا تايمز من أن التدخين أصبح مشكلة اجتماعية وصحية خطيرة، حيث تكشف الإحصاءات عن أن ٢٧,٦٪ من التلاميذ الكوريين ما بين سن ١٥ و١٨ يواظبون على التدخين، في حين ارتفعت نسبة التدخين بين الفتيات إلى ١٠,٧٪ لتصبح كوريا الجنوبية بذلك من أكثر الدول الآسيوية التي يتجه فيها المراهقون إلى التدخين مبكرًا. ■



اكتب ألف مرة:

«لن أشتري طيرًا بعد اليوم»!

في قضية غريبة من نوعها حكم قاضي محكمة الأحداث في طهران على اثنين من الفتيان بكتابة ألف مرة عبارة (لن أشتري طيرًا بعد اليوم).

وكان اثنان من الفتيان دون الثامنة عشرة من العمر قد أحيلا لمحكمة الأحداث بسبب نزاع نشب بينهما على طير انتقل من قفص أحدهما إلى قفص الآخر.

وقال أحدهما ويدعى رضا إنه غير مستعد لإعادة الطير إلى صاحبه الأصلي رحمان بعد أن دخل الطير بنفسه إلى قفص الطيور الذي يحتفظ به في سطح المنزل. ورفض رضا تهمة سرقة الطير لأنه هو الذي جاء بنفسه ليدخل قفص طيوره التي اعتاد تربيتها في منزله. وبعد سماع القاضي لإفادة الاثنين قرر الإفراج عنهما بعد أن أخذ منهما تعهدًا بعدم مزاولة تربية الطيور مع كتابة عبارة (لن أشتري طيرًا بعد اليوم) ألف مرة وتقديمها إلى المحكمة. ■

بمساعدة عصير الليمون وعسل النحل:

أطول محاضرة في التاريخ!

في محاولة منه لتسجيل رقم عالمي جديد ألقى أستاذ جامعي برازيلي محاضرة بلغت مدتها ٧٢ ساعة متواصلة. وعبر البروفيسور خوسيه لويس بيريرا باسوس صاحب الإنجاز عن ثقته بأن هذا الإنجاز سيسجل في موسوعة غينيس للأرقام القياسية العالمية، وذلك لأن أطول محاضرة سابقة استمرت لمدة ٧ ساعات متواصلة، وألقاها الزعيم الكوبي فيدل كاسترو قبل بضع سنوات.

وطوال المحاضرة الماراثونية، التي ألقيت في قاعة محاضرات بجامعة تيريسينا، كان «باسوس» يشرب بين الفترة والأخرى قليلاً من عصير الليمون الممزوج بعسل النحل كي لا يبح صوته.



والجدير بالذكر أن المحاضرة قد بدأت بحضور أكثر من ٢٠٠ شخص لم يصمد منهم سوى سبعة أشخاص فقط. ■

منحته إياه مجلة «تايم»:

أينشتاين يحوز لقب شخصية القرن

منحت مجلة تايم الأمريكية لقب شخصية القرن للعالم الأمريكي الألماني الأصل ألبرت أينشتاين الذي أرست نظرياته الأساس للكثير من نظم التكنولوجيا الحديثة، بما فيها الأسلحة النووية.

وقد وصفت المجلة أينشتاين بالعبقري، واللاجئ السياسي ذي الحس الإنساني المرهف، وكاشف أسرار الذرة والكون.

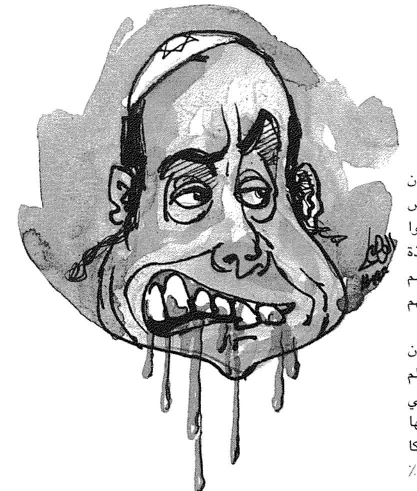
وقالت إن أينشتاين يبرز شامخًا كأعظم عقل بشري وقمة لرموز عصر حفل بالفتوحات العلمية والتكنولوجية. ■

افتتاح مدرسة لـ«الهاكرز» في فرنسا

تم مؤخرًا في باريس افتتاح مدرسة لـ«الهاكرز» تحت اسم (زاي) والمدرسة الجديدة تجتذب فئات ثقافية واجتماعية ومهنية متنوعة كرجال الشرطة ورجال الأعمال والذين يريدون أن يصبحوا «هاكرز». ويقوم خبراء اقتحام «هاكرز» شبان بإعطاء الدروس للمتدربين بأسمائهم المستعارة. وتراوح مستويات المراحل الدراسية من مبتدئ مرورًا بالمتوسط وأخيرًا المحترف أو المتطفل. ويكلف المستوى الواحد ٤٥٠ فرانكًا فرنسيًا أي حوالي ٦١ دولارًا أمريكيًا.

ويدعي المدربون أن المهارات التي تدرس في مدرستهم مقصود بها مساعدة الناس على حماية مواقعهم من هؤلاء الهاكرز المبتدئين. حيث يتم التركيز في المدرسة على نوع محدد من الاختراق وهو الاختراق الجيد وغير المؤذي، ويسمى أيضًا باختراق القبعة البيضاء، فيما تقوم شرطة باريس بمراقبة هذه المدرسة بعناية كبيرة لرصد ما يتم فيها من دروس ومناهج تعليمية.■

تلاميذ إسرائيل الأكثر عنفًا في العالم



أكد مجلس حماية الأطفال الإسرائيليين أن إسرائيل باتت تتصدر سلم العنف بين تلاميذ المدارس بين دول العالم، إذ إن ٢٤٪ من تلاميذها تعرضوا للعنف خلال سنة ١٩٩٩م. وذكر أحد أساتذة الجامعات أن الإسرائيليين يريدون أن يغدو أبناؤهم عنيفين ضد الأعداء، لا أن ينقلب العنف من بعضهم على بعض.

ويشير الجدول المنشور بهذا الشأن إلى أن إسرائيل ليست صاحبة أعلى نسبة عنف في العالم وحسب، بل إن نسبة العنف فيها تبلغ حوالي ضعفي نسبة الدولة التي تليها وهي أستراليا بـ١٤٪، ثم تليها كل من الولايات المتحدة بـ١٠٪ وإيطاليا بـ٩٪ وبلجيكا بـ٨٪ وتركيا وفنلندا بـ٧٪ وكندا بـ٦٪ وهولندا بـ٢٪ واليابان بـ١٪.■

أليست المدرسة أدخلت التراب؟!

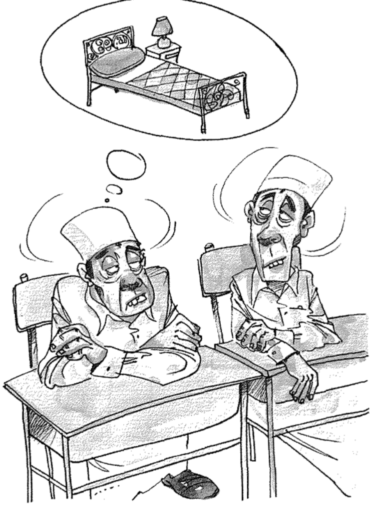
سعود بن سليمان اليوسف
الرياض

وصلت إلى آخر فصل دراسي في الجامعة، وحينما اقترب موعد التربية العملية (التطبيق) كنت أسعد الناس، فقد اشتريت أربعة أقلام ملونة للسبورة، وبقيت ليلتها أكتب على مرآة غرفتي وأمسح!! وأشرح وكان الطلاب الخياليون أمامي مشاركين، وهم ممتازون علميًا، وكانوا يحبونني - بصفتي أستاذًا - أكثر من أي شيء حتى إنهم حينما انتهت الحصة بدت علامات الحزن عليهم!! الله.. ما أروع غرفتي حينما تخيلتها فصلاً كانت أشبه بمدينة أفلاطون.

وحينما استيقظت باكرًا ووصلت إلى الحي الذي وصف لي أن المدرسة فيه أخذت أتطلع إلى المباني الكبيرة أبحث عن المدرسة، وأنا أحدث نفسي: جئتكم يا طلابي وسوف تكون حصتنا رائعة بمشاركتكم واحترامنا المتبادل، وسأجعلكم تحبون الدراسة وتأخذونها متعة و... كل هذا وأنا أبحث عن المدرسة، وبعد جهد سألت شخصًا واقفًا عند باب بيته (البائس) عن المدرسة - وكان في نيتي أن أتصدق عليه لبؤسه - فقال: هذه هي المدرسة، فإذا هي البيت الذي وقف عنده الرجل!! إذًا ليس هو البائس ، فلمن تكون الصدقة إذًا؟!

دخلت تلك المدرسة (البيت)، وأنا أضرب خمسًا بخمس، ووقفت أمام الطابور الصباحي في الملعب، فعلمت من البداية لماذا يعزف الطالب عن الدراسة: فقد كان من يدربهم في الطابور يقول لهم بعاميته الرنانة: «ما لكم، أيديكم مقطعة؟ ارفعوها، وإلا فو الله لأجلدنكم جلدًا» أف! هكذا يستقبل الطالب عند دخول المدرسة؟ ثم جاء دور الإذاعة المدرسية فإذا الطالب يخلط بين العامية والفصحى، ويقرأ كأنه يقرأ لوحة إعلانات، وبصوت هامس وبسرعة، وكانت قراءة الطالب لا تقف إلا عندما ينتهي نَفَسُهُ، وربما انتهى عند حرف جر أو في منتصف الكلمة وحين يأخذ نفسًا يكمل من حيث وقف!! ثم إن مكبرات الصوت ساعدته على هذا الانحطاط في القراءة فهي بين صفير وتشويش، مع أن الإذاعة مجال لتطبيق بعض المواد، لكن هكذا خرج التطبيق.

وكنت عرفت ماذا سأدرس عن طريق الهاتف، دخلت الفصل (المطبخ) المكتظ بالطباخ.. بالطلاب، وكانوا في السنة الثالثة المتوسطة: فإذا طالب نائم، وطالبان يتشاتمان بسباب ليس حتى عند ابن الرومي الشاعر، وطالب يستأذن، وطالب يضحك، وطالب يبادرني: «أستاد - بالدال - أنا ما جبت الكتاب» وطالب يسأل: «وين لستاد



بدر؟» أجبت عن أسئلتهم، وأيقظت النائم، والمتشاتمان أصلحت ذات بينهما بعد أن علمت أن أحدهما هو العريف ويطلب منه الآخر أن يأخذ منه علكًا لئلا يكتب اسمه.. ثم سلمت فلم يرد السلام إلا اثنان!! ثم أخرجت أقلامي الأربعة الملونة - التي اشتريتها - وحين التفت إلى السبورة وجدتها سبورة طباشير!! فسقط قلمي من هول الصدمة واختفى، وحين بحثت عنه وجدته - بعد لأي - وقد غاص في الغبار المتراكم على أرض الفصل، ووجدت - أيضًا - في تلك الصحاري شيئًا من الركاز (ما بقي من دفن الجاهلية) وجماجم وسيارات متعطلة!! اقترحت عليهم أن يزرعوا أثلاً ليوقف زحف الرمال، ثم طلبت من أحد الطلاب أن يحضر لي طباشير، فجاء بها في أقل من خمس عشرة دقيقة، وشرعنا في شرح المصدر المؤول، وكانت أمثلتي على النحو التالي: «يعجبني أن يشاركني الطالب» و«يعجبني أن الانتباه متحقق منكم» وبين دقيقة وأخرى أوقظ طالبًا قد أناخ بكلكل رأسه على الطاولة وارتفع رغاؤه! ثم اهتديت إلى فكرة عبقرية لا أظنها تتأتى لغيري، فقلت له: قدم الطاولة حتى تصبح بعيدة عنك، فدفع بها ولكن الطاولة تأبى، فاكتشفنا أن الذي يمنع الطاولة من التقدم هو حديدة (المجلى) الذي كان هنا!! فجاءته فكرة أكثر عبقرية من فكرتي فأسند رأسه إلى الجدار الذي خلفه ونام، فعلمت أن لدينا نوابغ من الطلاب لكن ضعف النشاط المدرسي والكبت طمرا هذه العقول. كان الطلاب مرعبين - برغم قصر قاماتهم في الغالب - لأن كل طالب قد وضع (شماغه) على كتفه! لكني كنت بعدما أكتب جملة على السبورة أتنحنح وأصاب بكحة من غبار الطباشير، فيظن الطلاب أني إنما أفعل ذلك تنبيهًا لهم؛ فيهابونني! وربما صحت الأجسام بالعلل. انتهت الحصة الأولى وكانت الثانية (حصة فراغ) لي فسألت عن المكتبة؛ فقيل لي: لقد سألت عن عظيم؛ لأن نية إنشاء المكتبة تختلج في نفوسنا، فقلت: شيء جميل، تبلغ النية ما لا يبلغ العمل. إلى أين أذهب..

إلى أين؟ ذهبت لأتفرج على الطلاب في حصة التربية البدنية وهم يلعبون، فرأيتهم يلعبون بدون أستاذ، ومنهم من يلعب بثوبه، وهم يلعبون كرة القدم!! منذ كنت في الأولى الابتدائية - منذ خمس عشرة سنة - وهذا هو النمط السائد، ينزل الطلاب إلى الملعب بدون أستاذ وبعضهم بثيابهم البيضاء ويلعبون كرة القدم، لا بأس فالأدهى والأمر أن أرضية الملعب كانت رملاً، وقوائم المرمى خشب من إحدى العمارات المجاورة، وقد تعب صدري من الغبار وأنا أتفرج، فما بالك بمن يلعب وفي الشمس أيضًا؟! انتهى الطلاب من لعبهم وبعد أن غسَّل بعضهم كان طالب قد لفت انتباهي بهدوئه، فعزمت أن أبدي إعجابي بهدوئه لأحثه على ذلك ووقفت لأسلم عليه - وكنت عزمت أن أبعد يدي إذا أراد أن يقبلها احترامًا لي - فإذا به يسلم عليَّ وكأنني في مقهى أو استراحة (في الثمامة)، كانت يده تهوي عليّ من ارتفاع شاهق حتى آلمتني!! وقلت له: يعجبني هدوؤك، فقال: «لا والله، ليس لي نفس في اللعب اليوم وإلا لأريتك كيف يخافونني، ويخافون من (تمزيعي) ركلي للكرة من آخر الملعب»!

يا حرام.. وإعجابي ذهب هدرًا؟ ومع هذا فقد تركني وذهب وهو يضرب بـ (شرابتيه) جوربيه في الجدار ليخرج التراب منهما! أليست المدرسة أدخلت التراب؟ ■

حياة كل واحد منا، جملة من النجاحات والإخفاقات . .
وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته. حسناً . . وعماذا هو يتحدث إذاً، عن إخفاقاته؟ ربما!
الفشل ليس عيباً، فهو وقود الانتصارات . .
«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.
ف: فرصة تمنحك إياها - المعرفة - لتسجيل اعترافاتك.
ش: شهادة.
ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك! ، وضيف هذا العدد هو :
د. سعد بن طفلة العجمي، وزير الإعلام الكويتي سابقاً.

المعرفة

سعد بن طفله العجمي:

فشلت في التوفيق بين المبادئ والسياسة!

لابد أن أعترف بداية بأن هذه واحدة من أصعب المقابلات التي أجريتها في حياتي، وأن سؤال مجلتكم الغراء حول الفشل الذي واجهته في حياتي هو سؤال يمتزج بالعبط والذكاء معًا، فلقد أبدع صاحب هذه الفكرة بمواجهة موضوع الفشل الشخصي لشخصيات يعتقد أنها حققت النجاح في مسيرة حياتها.

وصعوبة المقابلة تتأتى من ناحيتين: أولاً: كونها تحاول زعزعة كبرياء عروبي عندي - يصل إلى درجة متقدمة من المكابرة - وهو صلب كالصخر وصلد كالجلمود، بناه لنا بنو يعرب كابرًا عن كابر، وورثناه عنهم بكل عز وفخار ومكابرة، وجوهره أننا لا نحب أن نعترف بالفشل، فالفشل كلمة تنم عن الخيبة، وكم كنت أتمنى لو أن المقابلة كانت حول الإخفاقات وليس الفشل، ذاك أن كلمة الإخفاق تعني الكبوات التي يمر بها المرء في طريق حياته، بينما لكلمة الفشل مدلول يوحي بالوصمة والختام والنهاية.

وثانيًا: أن هذه المقابلة عاملتني كمن هو في خريف عمره، أو كمن أعلن التوقف عن الطموح والاستسلام للزمن، وأنا لست كذلك، بل ربما كم تمنيت أن أكون كذلك، فأنا لا أزال في منتصف العمر، وبالكاد جاوزت الأربعين عامًا من عمري، وطموحي في الحياة يعانق عنان السماء، وأعتقد أنني في بدايات طرق عديدة للنجاح إن شاء الله، ولذا فإنني أعتبر هذه المقابلة مبكرة نوعًا ما، وإذا طال بي العمر فإنني سأحقق



- بنو يعرب لا يعترفون بالفشل!
- القمع يهب الحرية لذتها.
- المبادئ أقالتني من الوزارة.
- التنازلات طريق البعض للنجاح!



- **هربت من التجنيد الإلزامي!**
- **ترعرعت مع بنت عدنان وفشلت ـ بجدارة ـ أن أكون شاعراً.**
- **عقلي الباطني يكبت أنواعًا أخرى من الفشل!**

نجاحات أخرى في حياتي مصحوبة بالإخفاقات بين الحين والآخر، وهكذا هي الحياة، وهذه هي الدنيا.

ولعل من نافلة القول أن الفشل ـ إذا ما عنينا به الإخفاق ـ هو الذي يعطي النجاح كينونته، تمامًا مثلما يعطي الليل للنهار نوره، ومثلما يمنح الظلام للنور بصره، ومثلما يعطي المرض للعافية طعمها، ومثلما يعطي الجوع للشبع كفايته،ومثلما يتفضل القهر على العزة بنشوتها، ومثلما يهب القمع الحرية لذتها، وهكذا، أي أن الفشل والنجاح متلازمان، وما كان لأحدهما أن يدرك لولا الآخر.

والحق أني مؤمن إيمانًا راسخًا بأن الاستمرار في الحياة يتطلب الاستمرار في النجاح، فكل عمل يومي روتيني بسيط يقوم به الإنسان بالشكل المطلوب يعد نجاحًا، وعلى الناجح أو من ينشد النجاح والاستمرار ناجحًا أن يعمل على تحويل كل فشل يمر به في حياته إلى نجاح، فالطريقة الوحيدة لتجاوز الفشل والتغلب عليه، هي بتحقيق النجاح، فلا يزيل الفشل سوى النجاح، ولا يوقف النجاح سوى الفشل.

والفشل الذي واجهته في حياتي متعدد بتعدد النجاحات التي حققتها أيضًا، ولعل أكبر فشل واجهته في حياتي وما أزال أعانيه حتى الآن هو عدم قدرتي على التوفيق بين المبادئ والقيم التي أؤمن بها وبين ممارستي السياسية، ولقد كان هذا التنافر بين المبادئ والسياسة في حياتي في أوج تنافره يوم تبوأت كرسي الوزارة، حيث فشلت أن أكون مثل كثيرين في عالم السياسة يقولون ما لا يفعلون، ويشار لهم بإعجاب على أنهم من دهاة السياسة وجهابذتها، ولقد بذلت قصارى جهدي كي أوفق بين المبدأ والموقف ففشلت في ذلك أيما فشل، ووجدت نفسي أمام خيارين لا ثالث لهما: فإما المبادئ أو السياسة، فكان أن اخترت المبادئ واستقلت من الوزارة.

والمحير في الأمر هو أني لا أعرف إن كنت أريد أن أتخلص من عقدة الفشل هذه أم لا، فالتخلص منها يعني التنازل عن المبادئ، والتمسك بها يعني الاستمرار في الفشل.

وأعتقد أن الفشل الآخر الذي واجهته في حياتي هو عدم تثبتي مما كنت أنشد تحقيقه بعد الانتهاء من مرحلة الدراسة الجامعية، فلقد مررت بمرحلة من التردد استمرت لمدة سنة تقريبًا، رحلت خلالها إلى فرنسا للدراسة ثم عدت إلى الكويت لأرحل من جديد إلى الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على شهادة الماجستير وللهروب من التجنيد الإلزامي.

أما الفشل الذريع الذي منيت به وما أزال أعايشه بكل جدارة وتفوق فهو فشلي في أن أكون شاعرًا، فقد ترعرعت بين كنف بنت عدنان، ونهلت من أمهات دواوين شعرها، وكان أبي ـ رحمه الله ـ شاعرًا شعبيًا (نبطيًا) وخطيبًا مفوهًا وإمامًا بالمعايشة، ومن القلائل بين أقران زمانه الذين كانوا «يفكون الخط» بالفطرة، وكل هذا كان يدفعني ببلاهة إلى الاعتقاد أنني شاعر أو لابد أن أكون كذلك. وسأذيع لك سرًا للمرة الأولى وهو أن لي محاولات مخجلة لم أتجرأ على إخراجها إلا لبعض المقربين جدًا، والذين كانوا يجاملونني بقولهم «إن لي مستقبلاً» وها هو العمر يمضي ولم أتبين مستقبل قريحتي الشعرية بعد، وعسى أن اعترافي بهذا الفشل في هذه المقابلة بداية التوقف عن محاولاتي اليائسة في أن أكون شاعرًا.

هذا ما أستطيع تذكره الآن من الفشل الذي مررت به في حياتي، ومن يدري لعل عقلي الباطن قد عمل على كبت أعداد أخرى من الفشل في حياتي وعدم إذاعتها للناس تمسكًا بقيمنا العربية في رفض الاعتراف بالإخفاق والفشل.■



أحياناً المشاعر الكبيرة لا تحتاج إلا إلى عبارات صغيرة، كما أن بعض الأفكار الكثيرة تحتاج إلى كلمات قليلة للتعبير عنها.
هذه هي لغة السر في سر اللغة!
«ثرثرة» ..لا يقصد بها دوماً كثرة الكلام، بل قد تعني الكلام الذي يُلقى على عواهنه.. بكل بساطة.
هكذا «ثرثرة» هنا، كلام يلقى على عواهنه.. فخذوه أنتم أيضاً على عواهنه.. بكل رحابة صدر.

المعرفة

«التفحيح في دار ابن لقمان»!

عبدالعزيز بن محمد الثبيتي
الرياض

طلب مني الحضور إلى مكان زعموا أنه في (المربع) - حي يقع في كبد الرياض - فذهبت ووجدت بناء يوحي إليك بأنه عتيق قديم قدم التأريخ، سوره عال، ونوافذه محاطة بالحديد، وحوله عشرات الدواب الحديثة. بحثت عن الباب حتى وجدته. لم أستطع الدخول إليه إلا بصعوبة بعد أن تمايلت واتسخت ملابس، فقد كان مغلوقًا - كلمة منحوتة من مغلق ومفتوح - ثم بحثت عن البوابة الداخلية ووجدتها بعد لأي. كل شيء يوحي بالأعمال الشاقة، فالبوابة حديدية تعلو سطح الأرض، والنوافذ مرتفعة، والمكان هادئ، فلا صوت ولا صورة.

دلفت مع الباب ورأيت عجبًا، أرضًا يعلوها الغبار وقد انخسفت أطرافها، وتمايل وسطها، أنوارًا خافتة مدورة من الطراز القديم التي تلفظ أنفاسها الأخيرة، رجالاً يذهبون ويجيئون في حركة مستمرة يحملون فوق ظهورهم أكياسًا تنوء بحملها الجبال الرواسي. بحثت عمن أسكن إليه وأبثه روعي، فأمسكني أحدهم وقال: ما وراءك، وما الذي أتى بك إلى هذا المكان منفردًا أعزل؟ قلت: لقد دعيت.. وقبل أن أكمل قال: دعيت؟! أنت من نريد تعال معي. وذهب بي من غرفة إلى غرفة، ثم قال لي: اجلس هنا. فجلست، وفجأة جاء مرة أخرى وقال: تعال معي. فقمت، ثم جاء آخر وقال: هاته هنا. فدخلت غرفة فلما هممت بالجلوس جاء ثالث فقال: لعلك تأتي معي للغرفة الأخرى. فقمت حتى استقر بي النوى في غرفة كئيبة لا يرى سقفها، ونوافذها عالية، وقد اصطكت فيها الطاولات وتزاحمت، ووضع فيها مكيفان بائسان، أما الأنوار فلا أذكر أهي موجودة أصلاً أم لا!

جلست مع مجموعة على طاولة علاها الغبار من أسفلها، ثم جاؤوا بكيس ووضعوه أمامي فأدركت



حينها أنها الأعمال الشاقة التي كنا نقرؤها في الروايات حينما يؤمر أحدهم بتفتيت الحجارة. قلت لأحدهم: كم حكموا عليك؟ فرد بسخرية: ثلاثة أسابيع تامة كاملة ينطح بعضها بعضًا، فقلت له: ما قضيتك؟ فنظر إليّ باحتقار وزم شفتيه ثم التفت إلى ذلك الكيس نظرة بؤس وشقاء وقال: قضيتي أني معلم. ثم أردت الكلام فقاطعني وأشار أن أصمت وقال: لنعمل فوراءنا الكثير. ثم بدأ العمل! قلت لأحدهم ماذا أعمل؟ قال: كل ما عليك فعله أن تقوم بفتح الكيس وتبدأ ولا تكن مهذارًا. فتحت الكيس فوجدت أوراقًا كثيرة كتب عليها كتابات وطلاسم ظننت أنها من فعل السحرة ويريدوننا أن نفك عقدها، فتحمست لتمزيقها وقلت: باسم الله. فنهرني أحدهم وقال: ما تصنع؟! قلت: أقطعها إربًا إربًا ليسلم المسحور، ويخزى الشيطان المدحور. فقال بلطف: يبدو أنك ظريف يا فتى صحح ولا تضيع أوقاتنا فأمامنا ألوف مؤلفة من روائع الأدب، وبواقع الإعراب،

وشنشنات الإنشاء، وسمادير البلاغة، ابدأ فتح الله عليك فأمامك أهوال وأهوال. قلت: بالله عليك إلا أفصحت هل هذا سجن، أم محاكم تفتيش؟ قال لي: يا فتى هذه لجان التصحيح! فبهتُ وقلت: ما ظننتني إلا في دار ابن لقمان! وكيف أصحح في هذه الأجواء العبقة؟!! وأين؟ فقال: هنا في هذا المكان الذي تجلس فيه، أما ترى هذه الطاولات، لقد صحح عليها سيبويه والخليل، ومعهم المتنبي والحسن بن الهيثم وشكسبير وغيرهم كثير، لقد احتسوا الشاي بهذه الأكواب التي نشرب بها الآن، ألا ترى الآثار؟ ألا تشم عبق التأريخ ونسمات أولئك الأفذاذ من علمائنا الأبرار؟ كلها مطبوعة على هذه الأكواب. انظر إلى هذه الخريطة التي رسمها الإدريسي بالملح على هذه الكأس، واقرأ هنا على الطاولة: (ذكريات أبو ديفيد) جون شارلمان، لقد خطتها أنامل قيصر الروم! وخلف الكرسي الذي تجلس عليه كتب عمرو بن كلثوم معلقته. كانوا يجلسون هنا ويصححون مستقلين ومنبطحين وقائمين وراقدين كما نفعل الآن، لم يتغير شيء، بل حتى هذه الكراسي المكسوة بالجلد التي تراها منحدرة إلى الأسفل تئن من وطأة الأحمال التي تعاقبت عليها حتى خرجت أحشاؤها ومالت ثم انبسطت فما عادت تسمى بذلك الاسم. قلت: وكيف تسع هذه الغريفة الكبيرة المترامية الأطراف هذا العدد القليل - سبعة وعشرين نسمة - بمكيفين عليلين؟ قال: هذا من خوارق العادات فلا تكذب ما ترى، ولا تحدث أحدًا بذلك حتى لا تتهم في عقلك وبدنك! قلت: سمعًا وطاعة، لكن.. فقاطعني: إن لم تخرطم وتبرطم وإلا فلن ننتهي إلى الأبد، فأمامنا مفاوز وقفار موحشة مع قلة الزاد وفقدان المعين، فاستعن بالله ولا تعجز، واصبر فإن النصر والظفر مع الصبر. قلت: بالله نستعين وعليه نتوكل ولا حول ولا قوة إلا به، اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيرًا منها. ثم انهمكنا في التفحيح!

أذن المؤذن بلا صوت! وحضرت الصلاة، وتوجهنا للمصلى الذي يقع في وسط المبنى، دخلنا بهوًا كبيرًا بني بالطوب الأبيض بلا ملاط أو أصباغ هكذا كما صنع، وتراءى لي بعد التحديق - لأن العامل على ما يبدو نسي أن يضع الزيت في السراج وعذرًا فقد كنا نستخدم حاسة اللحس! - تراءى لي على الجدران وفي قبلة المصلى آثار لأقدام قطاط - إي وربي - يبدو أنها



كانت تحاول الهرب من ذلك الأتون. علا سقف ذلك المبنى مجموعة من الصفائح الحديدية بلا عوازل. والمكيفات - من باب إحسان الظن - من النوع الصحراوي الذي يهدر هديرًا بنسمات من فيحه، تحرق الوجه حرقًا حتى تظن أنك في تنور، أما الخشوع في الصلاة.. فنسأل الله الإخلاص.

تلفت ذات اليمين وذات الشمال فإذا الممرات والدورات والبرادات وغرف التصحيح و... ظن خيرًا ولا تسأل عن الخبر.

انتهينا بعد أن انتهت أرواحنا، وعزمت على المضي قدمًا في هذا التحدي، فأنا من هواة الدخول في موسوعة جينس للأرقام القياسية، ولن تثنيني مثل هذه المغامرات التي تزهق الأرواح فما زلت في ميعة الصبا وشرخ الشباب.

وبعد فمن بلي بمثل بلواي فليقدم! فبالرغم من مرارة العذاب وبعد الشقة وفقد الأحبة، إلا أن روعة المغامرة ولذة الانتصار وحلاوة الظفر أعذب، ولو لم يكن فيها إلا قصة بطل أو نادرة من النوادر تحكى أو خارقة باقعة تؤنس الصديق وتغيظ العدو أو حديث مجلس يقطع عذاب الصمت أو هذيان ممرور لكفى!! فلا تتردد أخي والله المعين. وللحق فقد جاءت الحلاوة بعد أن جف العرق قليلاً وفي وقت قياسي على غير العادة وهذا من العجائب فنحمدك ربنا.

وإلى لقاء بعيد مع مغامرة من مغامرة محاكم التفحيح. ■

المعرفة توقع «اتفاقية تعاون» مع مكتب التربية العربي لدول الخليج

في إطار توثيق علاقات التعاون بين مجلة المعرفة والجهات التربوية والثقافية استقبلت المجلة مؤخرًا مدير عام مكتب التربية العربي لدول الخليج د. سعيد المليص وعددًا من المسؤولين في المكتب.

وقد جرى توقيع «اتفاقية تعاون» بين المجلة والمكتب، وقعها كل من رئيس تحرير المجلة ورئيس مكتب التربية العربي لدول الخليج.

وشملت الزيارة الاطلاع على خطوات إصدار المجلة ومشاهدة الفيلم التعريفي لها كما تبودلت وجهات النظر حول العديد من القضايا التربوية المحلية والخليجية.

الدكتور سعيد المليص كشف ـ ببراءة ـ أنه كان من قراء مجلة المعرفة في إصدارها الأول (أي قبل أكثر من ٤٥عامًا) وأنه لا يزال يحتفظ بالأعداد الأولى من المجلة، الدكتور سعيد أكد ـ أيضًا ببراءة ـ أنه كان حينها موظفًا (وليس طالبًا!) بوزارة المعارف. ■



رئيس التحرير ورئيس مكتب التربية العربي لدول الخليج يوقعان اتفاقية التعاون

المعرفة وروناء تكرمان المعلنين والمشتركين

المعلنون والمشتركون المميزون في مجلة المعرفة ومطبوعات روناء للإعلام المتخصص كانوا ضيوفًا مكرمين في حفل أقامته مؤخرًا روناء للإعلان والتسويق في فندق الشيراتون بالرياض.

وقد كرمت المعرفة وروناء المشتركين الذين تجاوزت اشتراكاتهم السنوية، أكثر من ٢٠٠ نسخة من المجلة، والمعلنين ذوي العقود السنوية وشملت قائمة المكرمين من المشتركين في مجلة المعرفة كلاً من (أرامكو السعودية، الخطوط الجوية العربية السعودية، الرئاسة العامة لتعليم البنات، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، مجلس الشورى، وزارة الإعلام، وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة).

أما المعلنون في مجلة المعرفة المكرمون فهم (التركي للاستقدام، التعاونية للتأمين، السعودية للتأمين(ميثاق)، الشركة الدولية، الشركة السعودية للصناعات الدوائية، الشركة السعودية للنقل الجماعي، الشركة الوطنية للتنمية الزراعية (نادك)، العالمية (صخر ميديا)، الوطنية الزراعية، بيت التقسيط السعودي، جمعية البر الخيرية (شمال الرياض)، دواجن الوطنية، زجول لتقنية الاتصالات، شركة أسمنت اليمامة، شركة ألبان العزيزية، شركة الخزف السعودي، شركة الصافي ـ دانون المحدودة، شركة المراعي المحدودة، شركة الهوشان، شركة الهوشان عبر الخليج، لجنة تنسيق مصانع الألبان، مؤسسة نجوم الخليج لأنظمة الكمبيوتر، مجموعة الجريسي، مدارس الحصان الأهلية، مدارس الرواد، مدارس رياض نجد، مدارس دار العلوم الأهلية، مزارع فقيه للدواجن، مستشفى التأمينات الاجتماعية، مصنع الرياض للأثاث، مكتبة العبيكان، مكتبة المؤيد). ■



صورة ممثلي الجهات التي تصدر مطبوعاتها لدى روناء للإعلام المتخصص يتوسطهم د. خالد العواد ممثلاً لوزارة المعارف.

هل تنجح في الرقي بمستوى الرسالة الإعلامية

تأسيس الجمعية السعودية لعلوم الاتصال

في أزمة «الإرهاب» الأخيرة، ظهر سؤال واحد قوي تردد في مجالس النخبة، وصار علامة على صدمة قاسية أصابت الناس في العالم العربي: لماذا فهمنا العالم خطأ؟

أو بالأحرى، لماذا ينظر إلينا العالم كله على أننا إرهابيون مجرمون كارهون لأمريكا، ويصورنا الإعلام الغربي على أننا سفاحون وقتلة، بينما نحن في منتهى المسالمة والهدوء والإعجاب بكل ما هو غربي؟! والجواب جاء على شكل سؤال آخر: ما الذي يمكن أن نفعله على الصعيد الإعلامي لنوصل رسالتنا للغرب؟

وجاء الجواب في قمة أخيرة لمنظمة المؤتمر الإسلامي بقرار تأسيس محطة تلفزيونية إسلامية (هذه رابع مرة يصدر فيها القرار دون أن يجد مكانه للتنفيذ، وأرفف منظمة المؤتمر الإسلامي المليئة بالدراسات الصادرة والواردة تشير إلى مصير القرار بنسخته الرابعة)، كما بدأ بعض الناس يدرسون مشاريع إعلامية دولية مثل تأسيس موقع إنترنت باللغة الإنجليزية عن الإسلام، وآخرون يدرسون فكرة إنتاج برامج تلفزيونية، ومجلة إسلامية باللغة الإنجليزية والفرنسية، وأعلن رجال أعمال سعوديون أنهم يعملون على تأسيس قنوات فضائية بمختلف اللغات بحلول عام ٢٠١٠م.

لكن استعراضًا سريعًا لتجارب الإعلام الدولي السابقة يؤكد عدة حقائق تغيب عن البال:

الأولى: الإعلام الوحيد الذي نجح في اقتحام أسوار العالم لم يكن الإعلام الياباني أو الألماني (رغم قوة هذه الدول وتميزها)، بل الإعلام الأمريكي وحده هو الذي تفوق في التأثير وإيصال الرسالة الأمريكية لكل شبر على وجه الأرض، ولهذا أسبابه، منها قوة الاقتصاد الأمريكي الذي يسمح للأمريكيين بالتحرك بكل شكل يرغبون فيه، ووجود الدراسات الاستثمارية الأمريكية الناجحة، وقوة كلاسيكيات الإعلام لدى الأمريكيين، والاعتماد على النجاح في الجوانب الترفيهية والدرامية، وأخيرًا لأن العالم كله مفتون بالحلم الأمريكي ويبحث عنه ويستمتع به.

الثاني: وسائل الإعلام غير الأمريكية التي استطاعت التأثير في العالم اعتمدت في ذلك على عمل إعلامي محترف ومخطط له بنجاح، وقناة مثل BBC لم تنجح إلا لأنها سيدة وسائل العالم في أصول المهنة الإعلامية، ولم تنجح قناة الجزيرة إلا لأن موظفيها كانوا يومًا موظفين في الـ BBC قبل أن تستقطبهم الدوحة.

نحن في العالم العربي لدينا مجتمع وثقافة مليئة بالتخلف والمشكلات والضعف الذي ينعاه أصحابه قبل أعدائه، ولدينا إعلام بعيد تمامًا عن الأصول المهنية.

كيف يمكننا الوصول للعالم إذا كانت الصورة الحقيقية عن العرب في منتهى الرداءة، وكنا ضعيفين إعلاميًا حتى مقارنة ببعض دول العالم النامية؟

هذه ليست دعوة للتوقف، بل هناك الكثير من الجهود التي يمكن أن تبذل على كل الأصعدة للوصول برسالتنا للغرب وتحسين الصورة، ولكنها دعوة للنظر لواقعنا العام ولواقعنا الإعلامي في محاولة لإزالة الغبار عن الصورة.

وفي هذا السياق يمكننا التفاؤل بكل محاولة لتنظيم الواقع الإعلامي العربي وجعله أكثر حرفية ومهنية، ومن ذلك خطوة تأسيس «الجمعية السعودية لعلوم الاتصال» والتي خرجت أخيرًا بجهد أساتذة قسم الإعلام بجامعة الملك سعود، وعلى رأسهم الدكتور عبدالرحمن العناد عضو مجلس الشورى، وانتخاب الدكتور علي بن شويل القرني رئيسًا لها، والدكتور منصور كدسة نائبًا له، بالإضافة إلى عدد من أعضاء هيئة التدريس بأقسام الإعلام بجامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في اللجنة الإشرافية.

هذه المؤسسة خطوة أولى على طريق طويل لتأسيس المعايير المهنية للعمل الإعلامي السعودي والعربي ومراقبة تطبيقها ومنع الصحفيين العرب «المحترفين» والمميزين من الانقراض. ■

في ظل غياب كامل للمصورين الصحفيين العرب:

«جوائز صور الصحافة العالمية» عن مآسي المسلمين!!

الدعوة للاهتمام بالتصوير الفوتوغرافي في العمل الصحفي العربي التي وجهها الكاتب الصحفي طارق إبراهيم نائب رئيس تحرير جريدة الوطن عبر صفحة كاملة من صفحات الجريدة تجاوبت مع حقيقة واقعة وأليمة في مسيرة الصحافة العربية مقارنة بمسيرة الصحافة في مختلف دول العالم.

صحفنا ومجلاتنا العربية ممتلئة بنوعين من الصور: الصور الشخصية الرسمية وصور المؤتمرات والمحاضرات، والصور النسائية التي يبدو أنه يبذل لها الكثير من الوقت والجهد ويتفرغ لها معظم المصورين المحترفين في العالم العربي!!



أما الصور الجادة القادمة من ميدان الحدث والتي تعبر عن معاناتنا الإنسانية كشعوب عربية ومسلمة على تنوع أشكال هذه المعاناة فهي نادرة تمامًا، ولا تلقى اهتمامًا من أي مطبوعة عربية تقريبًا. ولا أدل على ذلك من أن الصحف العربية تعين دائمًا مراسلين لها في كل مكان بينما ترفض تعيين أي مصورين، وتعتمد اعتمادًا كاملاً على وكالات الصور الأجنبية التي تنقل بالطبع رؤية هذه الوكالات. ويقاس على هذا بالطبع المحطات التلفزيونية.

المثقفون العرب ينادون:

المساواة.. المساواة.. بين الكتب والبطاطا!

سوسن الأبطح التي تكتب عمودًا صحفيًا بجريدة الشرق الأوسط، أعلنت ضم صوتها إلى صوت الناشرين العرب في الدعوة إلى «المساواة الكاملة» لحقوق الكتب مع حقوق الخيار والبطاطا في العالم العربي.

وجاءت دعوة الناشرين العرب هذه بعد أن رأوا المعاملة المدللة للبطاطا في المطارات العربية ورأوا معاملة الاضطهاد التي مرت بها دور النشر العربية المشاركة في معرض القاهرة الدولي للكتاب الذي يعتبر أكبر تظاهرة عربية للكتاب.

والاضطهاد الذي يتحدث عنه هؤلاء الناشرون لا يتناول ما تعودوه من إجراءات الفسح والتقويم للكتب، بل إن ما حصل في ميناء دمياط تجاوز ذلك إلى حجز شحنات الكتب الخاصة بـ٧٨ دار نشر عربية طوال فترة المعرض، الأمر الذي أدى إلى بقاء أجنحة الكثير من الدور العربية خالية تمامًا إلا من أصحابها المشغولين بالاتصال بكل من يعرفونه ومن لا يعرفونه أملاً في إطلاق سراح الكتب قبل انتهاء فترة المعرض.

ولكن قرار الإطلاق جاء مع غرامة ضريبية عالية جدًا على الكتب إضافة إلى دفع أجور التخزين في ميناء دمياط، وهو ما زاد في النهاية على قيمة الكتب نفسها، فترك الناشرون كتبهم في الميناء ورحلوا عائدين إلى بلادهم.

والكاتبة سوسن الأبطح عبرت عن انزعاج خاص لأن أحدًا من المسؤولين العرب في مصر أو

لقد كانت صورة محمد الدرة خير سفير للمأساة الفلسطينية حيث نشرت في معظم صحف العالم من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ورغم أن المصور كان عربيًا فقد كان مراسلاً لوسيلة إعلامية أوروبية. من جهة الصحافة العربية لا يوجد حتى الآن مصور صحفي عربي واحد معين من قبل وسيلة عربية في فلسطين، ناهيك من مراكز المآسي الأخرى في العالم الإسلامي وناهيك من وجود مصورين لالتقاط تفاصيل حياتنا اليومية في البلاد العربية الأخرى.

لقد كان انبهار الأديب والروائي الفرنسي الشهير إميل زولا (توفي عام ١٩٠٢م) بالصور شديدًا إلى درجة أن ترك الكتابة وتفرغ للتصوير مؤمنًا أن الصورة الناجحة تعكس ما لا يمكن للكلمة فعله رغم عدم وجود تقنيات التصوير والطباعة الموجودة حاليًا. وبالرغم أن وسائل الإعلام العربية تعرف أن قراءها ينظرون للصور فقط في معظم الأحيان إلا أن مقارنة بسيطة بين أي مجلة عربية ومجلة من «العالم الآخر» ستريك الفرق!!

ولعله من المؤلم أن ترى الصور المستقاة من معاناة العالم العربي والإسلامي تفوز بأفضل جوائز مسابقة «صور الصحافة العالمية» (عمرها ٤٥ عامًا) ولكن لن تجد صحفيًا عربيًا أو مسلمًا واحدًا بين الفائزين. كانت الصورة الفائزة التي أعلنت خلال الشهر الماضي لمصور دانماركي من مخيمات اللاجئين في أفغانستان لطفل أفغاني استسلم لرحمة الموت في سلام وهدوء والأيدي المتشققة تحمله بكفنه في لحظة اعتيادية في مخيمات كان يموت فيها المئات كل يوم. كما كانت هناك عدة صور أخرى فائزة من أفغانستان فاز بها فرنسي مراسل لمجلة نيوزويك وأمريكي مراسل لمجلة تايم (فازت بجوائز التغطيات الصحفية)، وفي جائزة الأخبار فاز إيطالي مراسل لمجلة نيوزويك بصورة تعكس أحداث الجزائر، وفي جائزة «شخصيات في الأخبار» فاز دانماركي مراسل لمجلة رافوستيرن بصورة لجنازة طفل فلسطيني في رام الله، وفي جائزة «بورتريه» فازت مصورة من جنوب إفريقيا مراسلة لشبكة «مراسلون يدرسون الحياة» بصورة لطفلة تمضغ علكة في حقل قصب في باكستان. أما صور «الحياة اليومية» ففاز بها مصور بريطاني مراسل لجريدة نيويورك تايمز عن صورة لناس في مترو الأنفاق في كوسوفو. ■

في البلاد العربية التي تنتمي إليها الكتب لم يرض بالتدخل لحل المشكلة ونصرة الكتاب ومساعدة الناشرين العرب المساكين، كما أن اتحاد الناشرين العرب واتحاد الكتاب المصري بقيا ساكتين تمامًا وكأن شيئًا لم يحصل.



وجاء على نفس المنوال، البروفيسور روي متحدي أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة هارفارد الأمريكية الشهيرة (من أصل إيراني) بعد زيارة له لمكتبة جامعة القاهرة التي وجد فيها وفي نظام الفهرسة الخاص بها «صورة واقعية لمأساة مصر» ودليلاً على تخلف الثقافة والتعليم العالي في العالم العربي، مطالبًا (وبكل جدية) في مقال نشره في جريدة الـ«واشنطن بوست» الحكومة الأمريكية التدخل سريعًا لحل هذه المشكلة لأن من مصلحة الأمريكيين ألا يكون العالم العربي متخلفًا إلى درجة عجزه الكامل عن اللحاق بمقتضيات الحضارة والمدنية المتسارعة. لكن دعوة المساواة التي وجهتها الأبطح والناشرين وطلبات التدخل الأجنبي التي قدمها البروفيسور نسيت تمامًا حقيقة مهمة، وهي أننا نأكل البطاطا ونستفيد منها، لكن أحدًا لم يوضح لنا ما قيمة الكتب وما فائدتها لـ«شعوب لا تقرأ»؟.. فلتعش البطاطا وليعش الخيار!! ■

عندما يخيف كاتب يهودي أمة كاملة!!

المدارس الإسلامية.. هل تفرخ التطرف؟!

الكاتب الفلسطيني المعروف منير شفيق كتب مقالاً في جريدة الحياة دافع فيه عن الجامعات والمدارس الإسلامية في العالم العربي مؤكدًا أنه لا يمكن أن تكون «محضنًا يولد الإرهاب» لحجج كثيرة ذكرها، ومنها أن هذه الجامعات وما تعلمه قديم جدًا سابق على ظواهر ما يسمى بالإرهاب، وأنها عادة تحت إشراف حكومي يجعلها بعيدة عن تيارات التمرد والمعارضة.

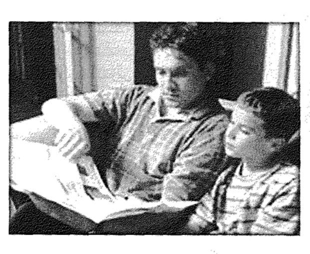
بعض الحجج التي ذكرها منير شفيق هي نقاط ضعف مؤلمة في واقع الجامعات والمدارس الإسلامية في بعض الدول، ولكنها في الوقت نفسه «مطمئنة» للأمريكيين الخائفين من جامعاتنا الإسلامية. فهذه المدارس حسب رأي شفيق أقل من أن تساهم بشكل حاسم في تشكيل وعي وثقافة طلابها، وهي لا تملك مشروعًا فكريًا ذاتيًا يمكن الحكم عليه بالصواب أو الخطأ، وهي بعيدة تمامًا عن الحياة العامة للناس وهامشية الدور، وتعاني «إشكالية عدم استيعاب الحداثة» إضافة إلى حقيقة مرة في كثير من المجتمعات الإسلامية وهي أن واقع تطبيق وفهم الإسلام في المجتمع لم ينطلق من الجامعات والمدارس الإسلامية بل هي بعيدة كل البعد عن تشكيل هذا الواقع إن لم تكن تتناقض معه تمامًا.

اللافت للنظر أن الدفاع عن الجامعات والمدارس الإسلامية وتوجه بعض الدول العربية فعلاً لمراجعة مناهجها جاءت إثر مقال كتبه الكاتب الأمريكي اليهودي المتطرف «توماس فريدمان» في عموده بجريدة نيويورك تايمز. والأمر نفسه ينطبق على عدة دعاوى أطلقها فريدمان وأثارت ضجة في العالم الإسلامي وفي الأوساط الإعلامية التي انبرت للرد عليه والدفاع عن مجتمعنا الإسلامي.

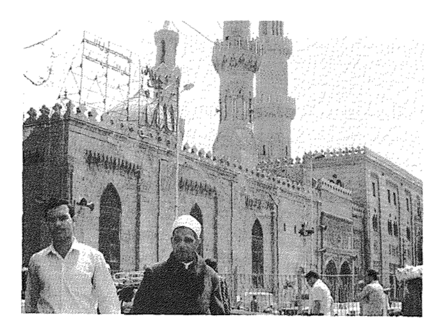
ورغم أن الكتابة في جريدة نيويورك تايمز معناها اعتلاء منبر إعلامي له تأثير كبير في نخبة أمريكا، ورغم أن توماس فريدمان

المتفوقون.. يتعلمون في المنزل

في زمن المجد، كان الذكي من الطلاب يجتاز مراحل العلم ويحفظ المتون ويتقن فنون العلم في سن صغيرة، فلا يبلغ العشرينيات من عمره إلا وقد صار من العلماء والمحدثين من تشرأب الأعناق للأخذ عنهم، ونماذج هذا كثيرة جدًا في تاريخ سلفنا الصالح، ومنه الإمام ربيعة الرأي الذي بدأ يحدث الناس في المسجد النبوي وهو في أول سنوات عمره بعد البلوغ. في زمننا هذا، أصبح «الذكاء الزائد» مستحيلاً، والسبب أن أكبر عباقرة العرب لا يمكنه أن ينجح للصف الرابع الابتدائي، إلا بعد أن يجلس لسنة كاملة في الصف الثالث الابتدائي، يزامل أطفال الصف الثالث لسنة كاملة ويتحمل محدودية المناهج لسنة كاملة حتى تأتي



الاختبارات وينجح، وهكذا لا تمر السنوات حتى يصبح مستوى عقل الطالب مثل عقل زملائه، يزيد عنهم ما يكفيه للتفوق عليهم والهروب من أذاهم،



قـريب من اللوبي اليـهـودي في أمريكا والأجندة التي يتبنونها، فإن إطلاقه لأي دعاوى لا يكفي للإيمان بأن هذا هو رأي الإدارة الأمـريكيـة أو النخبة أو الشعب في أمريكا، ولا يكفي لتحميلها كل هذه الأهمية. بل الحقيقة أن توماس فريدمان يعتبر في أمـريكا على نطاق واسـع كـاتبًا «مـؤدلجًـا» و«راديكاليًـا» وهـو محسوب بقوة على مصالح اللوبي اليهودي، وينظر إلى كتاباته بشأن الشرق الأوسط دائمًا على محمل الشك. وللتذكير فقط، فقد تعاطف فـريدمـان مع لوبي المسـيـحـيـة الصـهـيـونيـة الذي سـعى في عـام ١٩٩٩م إلى اسـتـصـدار قـرار من الكونجـرس لمقـاطعـة الدول التي «تضطهد الأقليات المسيحية في بلادها» اقـتـصـاديًا، ونشـر العـديد من المقـالات التي هاجم فـيـهـا السـعـودية ومـصـر والسـودان وسـوريا والأردن بعنف، ومع ذلك فـشل مـشـروع المقـاطعـة وانتـقـد الكثيرون في الكونجرس وخـارجه تطرف هذا التـيـار الذي اضطر أن يقفل ملف هذه القضية إلى الأبد.

ربما كـان علينا أن نتـذكـر أن وضع الدول الغـربيـة بما فـيـهـا أمـريكا مـخـتلف عن العـالم العـربي ولذا فـالكاتب فيـها لا يعبر عن رأي البـيـت الأبيض بل إن تقـاليـد الصـحـافـة الأمـريكيـة تمنع تمامًا الضـغـط على أي كـاتب لنشـر أو الامـتنـاع عن نشـر رأي مـعين بعـد التـعـاقد مـعـه رسـمـيًا (وإن كـانت هناك مخالفات كثيرة لهذه التقاليد في الخفاء). ■

وربما كـان هذا أحـد أسـبـاب عـدم وجـود نماذج العلماء الشباب في حياتنا المعاصرة إلا ما ندر.

ربما كـان الحل لهـذه المشكلة أسلوب التـعليم الذي بدأ ينتشر في مختلف أنحاء العالم سواء كان ذلك في اليابان أو أمريكا أو أوروبا أو غيرها، وهو «التعليم المنزلي».

بينمـا ينظر الآباء والمعلمـون لدينا أن تعليم المنازل هو للمتخلفين والضعاف والفقراء فإنه في العالم المتقدم أصبح للأذكياء والعباقرة ومن يريد أهلوهم تنشئتهم تنشئة علمية خاصة.

حتى نسـتـفـيـد من فـوائد التـعليم المنزلي دون الوقوع في سلبياته فلابد من برنامج اجتماعي كامل يشرح للآباء كيفية رعاية طلاب المنازل علميًا، وبرنامج مدرسي كامل لمساعدة طلاب المنازل على الاستفادة القصوى من الجلوس في المنزل واستهلاك المناهج، ونظام اختبارات يسمح للطالب أن يتقدم بسرعة في مراحل التعليم الدراسي، وحملات إعلامية تحسن من صـورة طالب المنازل، ومـواقع إنتـرنت وتكنولوجـيـا ووسائل تعليمية مصممة خصيصًا لطلبة المنازل، ونظام مقنن للدروس الخصوصية، وآباء يحلمون بأبناء نابغين، وأطفال لا يخجلون من الطموح.

اليابان تفخر بأن واحدًا من كل ١٢ من طلابها «نابغـة» وهؤلاء مـعظمـهم طلاب «منازل» ويدخلون الجامعة في عمر الثالثة أو الرابعة عشرة، بينما في أمريكا هناك ٨٥٠ ألف طالب منازل حسب دراسة أخـيـرة لوزارة التـعليم الأمـريكيـة. وفي الشـهـر الماضي قـدم في الكونجـرس الأمـريكي مـشـروع قـانون يسمح لطلاب المنازل بالمشـاركة في الأنشطة اللاصفية للمدرسة حتى لا يتسبب أسلوب تعليمهم في عزلة الطلاب عن الجو الاجتماعي العام. ■

هل لنا



حسن بن عبدالله آل الشيخ
رحمه الله

في غمرة الأحداث والمفاجآت التي نلقاها في هذه المرحلة الحرجة والحساسة من دنيانا، يبرز سؤال مهم، يجب أن نتعرف على الإجابة عنه، وهو: هل لنا شخصية؟

وإذا كان كذلك فهل حافظنا عليها؟

والإجابة دقيقة ومتشعبة، فالإسلام قد منح أتباعه كل مقومات الشخصية المثالية، لكن أتباعه ومعتنقيه كثيرًا ما يبتعد بهم واقعهم عن تلك المقومات، وليس ذلك فقط، بل ربما عملوا على هدمها والتنكر لها.

وهو واقع مرير مؤلم يقض دائمًا مضاجع المخلصين الغيورين على دينهم وأخلاقهم وتقاليد مجتمعهم، ولكنهم في كثير من المواقف يفتقدون القدرة على تغييره واستبداله.

والمسببات لهذا (التحول) كثيرة لا تخفى على المسلم الغيور، فالحرب التي يخوضها ديننا الإسلامي مع أعدائه لا يجهلها أحد، فهي حرب سافرة ومستترة، جند الأعداء لها كل الأسلحة والوسائل، وطوعوا من أجلها كل مهاراتهم في سبيل إغراء المسلمين بها وتحسينها لهم.

وبمرور الزمن يتضاءل الوازع الديني في النفوس، وبتأثير تلك الأسلحة المجرمة يفقد الكثيرون حماسهم لدينهم، أو التصاقهم بتقاليدهم، وليس ذلك فحسب، لكنهم يتعشقون البدائل التي يفرضها الأعداء عليهم، ويجدون في تقليدهم بها أمرًا محببًا.

وتمضي السنون ويتفاقم الخطر ويجد الآباء والموجهون أنفسهم في موقف العاجز عن مواجهة الواقع المؤلم والمدمر.

ويحاولون، لكن من منطق (الدفاع) الذي كثيرًا ما يتراجع أمام الزحف الماكر، ويبقى الهجوم والغزو هما سلاح أعدائنا، ونجد الضحية ديننا ومجتمعنا وتقاليدنا وفلذات أكبادنا، ويشتد الصراع، ويشعر الغيورين والمخلصون أنهم فيما يشبه المأزق. فهم لا يرضون بما انتهت إليه الأمور في الكثير من بلادنا الإسلامية الشاسعة، وهم مع ذلك لا يستطيعون عمل شيء واضح. وتبقى المسؤولية بعيدة عن ممارستها، وعند ذلك لا تستغرب ما يحدث لأننا مهدنا له وساعدنا على استفحاله.

والله وحده المستعان والمؤيد.■

من كتاب (الشيخ حسن آل الشيخ: الإنسان الذي لم يرحل).